الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة أبي بكر بلقايد /تلمسان.

كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم التّاريخ وعلم الآثار .

شعبة علم الآثار.

تخصص :علم آثار المغرب الاسلامي.

مذكرة لنيل شهادة الماجستير موسومة ب:

الزّليج الزّياني في القرنين 13م-14م/ 7هـ - 8هـ

(دراسة فنية للزّليج المكتشف في حفريات المشور 2008-2009م)

إعداد الطّالب :

دندان محمد الأمين

إشراف الدّكتورة :

مهتاري فايزة

أعضاء لجنة المناقشة

أ د/ معروف بلحاج	**. أستاذ التعليم العالي**	**. جامعة تلمسان**	**. رئيسا**
د/ مهتاري فايزة	**. أستاذة محاضرة (أ)**	**. جامعة تلمسان**	**. مشرفا ومقررا**
أد/ بشير رضوان	**. أستاذ التعليم العالي**	**. جامعة تلمسان**	**. مناقشا**
د/ بن حمو محمد	**. أستاذ محاضر (ب)**	**. جامعة تلمسان**	**. مناقشا**

السّنة الجامعيّة: 1434هـ .1435هـ/2013م .2014 م

الإهـــــداء

إلى من حملتني وهنا على وهن وسعدت لسعادتي وحزنت لحزني.

والدتي.

إلى من زرع في قلبي حب الحياة وكان مثلي الأعلى.

والدي.

إلى سندي في الحياة اليومية الإخوة والأخوات:"**فوزية،أنور،أسامة،حورية**".

إلى براعم الدار:**ريهام آية،آلاء ناردين،ياسر زكرياء.**

إلى من ساعدني في الدراسة الجامعية:الأستاذ **بن عزّة محمد** و الزميلة **عبير شنوفي** .

وإلى كل من ساهم في بلوغي اللحظة التي أخط فيها هذه الكلمات.

دندان محمّد الأمين.

أتقدّم بجزيل الشّكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة المشرفة، الدّكتورة:

"مهتاري فايزة".

التّي لم تبخل عليّ بتوجيهاتها طوال مدّة إنجاز هذا البحث، وعلى ما أوْلَته من توجيه سديد، وإرشاداتٍ قيّمةٍ، وحثّ دؤوب، والذّي أطمع أن يـرقى بحثي هـذا إلى ما تطمح إليه أستاذتنا الكريمة.

وإلى كلّ من سيشرّفني، والبحثَ، مناقشتَه، وتقييمَه.

وإلى كل الذّين قدّموا لي يد المساعدة سواء من بعيد، أو قريب.

دنـدان محمّـد الأمين.

المقدّمة:

شهدت مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط تعاقب عدّة فترات إسلاميّة، وتعتبر الفترة الزّيانيّة من أبرز هذه الفترات، لما خلّفته من منشآت معمارية عديدة، مازالت قائمة إلى يومنا هذا، واستعمل ملوك بني زيّان عدّة طرق، وموادّ لتزيين منشآتهم المعماريّة، سواء من الجهة الخارجيّة (في الواجهات والمداخل)، أو من الدّاخل في (الغرف والقاعات والممرّات...)، وسُخِّرت لذلك مختلف الموادّ من جصّ، ورخام، وزلّيج، ويعتبر هذا الأخير الأوسع استعمالا في المغرب الإسلامي، وتشتغل في تجسيد هذا الفنّ الحرفي عدة ورشات منتشرة في منطقة المغرب الإسلامي، والأندلس.

وهذا العنصر له أهميّة كبيرة في الدّراسات الأثريّة، والبحوث التّاريخيّة لمعرفة درجة تطوّر حضارات المغرب الإسلامي والأندلس، وتعدّ آثار قصر المشور، والزّليج المستعمل النّموذج الوحيد لفهم نمط بناء قصور الفترة الزّيانية، وعليه توجّب إلقاء بعض الضّوء على هذا المعلم من خلال حفريات أُقيمت فيه، ودرست جانب من جوانبه وهو الزّليج،لمعرفة خصائصه الفنّية من جهة وتخصيص موادّه من جهة أخرى، والتّعرف عليها ليفتح باب الدّراسات المقارنة مع زلّيج موجود في مواقع أخرى من نفس الاقليم ثمّ في أقطار أخرى للتّوصل إلى مدى توسّع وإنشار التّبادلات الحرفية بين مختلف دول المغرب الاسلامي، ومعرفة الزّليج المحلّي من الزّليج المستورد في نفس الفترة أو في فترات مختلفة.

ثمّة أسباب عديدة دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع وأهمّها:

- الرّغبة الملحّة التي أملت فكرة الإسهام في إثراء البحث الأثري بنفض الغبار عن أحد المعالم الإسلامية الزّيانية الفريدة من نوعها في الجزائر، ألا وهو قصر المشور، الذي ترعرعتُ في حضن البحث فيه منذ سنواتي الأولى في الدّراسة الجامعية، فأول بحث ميداني في دراستي كان حول قصر المشور، والرّفع الأثري في سنة 2008م، ثم أتيحت لي فرصة المشاركة في حفريات 2008م، ثمّ في 2009م، المنظّم من طرف جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، وجامعة السّوربون فرنسا، ومديرية الثقافة لولاية تلمسان، التي ساهت فيها كمتربص في اكتشاف بعض التبليطات، والكسوات الجدارية في

زلّيج قصر المشور، إضافة إلى أعمال قمت بها مع دائرة المعارض في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثّقافة الإسلاميّة، وهي مجسّم حول قصر المشور في فترة الحفريات (معروض اليوم في المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ)، وقد عمدت فيه إلى جرد، وتبيان كلّ التّفاصيل المتعلقة بالقصر، ومنها توضيح أماكن انتشار الزّليج في الموقع، وفي أماكنه الأصلية.

وعليه، فكأنّ الظّروف أجمعت على توجيهي في اختيار هذا البحث، وبالتّالي توجّب عليّ القيام بعمل أثري أكاديميّ لهذا المعلم الفريد، ولهذا اخترته كنموذج لدراستي .

- الإعجاب بالتّراث المادّي التّزييني التّلمساني من جصّ وزلّيج خاصّة، و محاولة إلقاء الضّوء عن النّمط الذي تختصّ به المدينة، و رغبتي في مقارنته مستقبلا بعد التّعرف على المميّزات الخاصّة به، مع ما هو موجود في نفس الفترة عند دول أخرى لمعرفة ما مدى فنّية، وتطوّر هذه الحرف الفنية في عهد ملوك بنو زيان .

لذا جاءت هذه الدّراسة لمحاولة الإجابة على بعض الأسئلة، والإشكالات المتعلّقة "**بزلّيج قصر المشور الزّياني**"، لتكون اللّبنة الأولى في البحوث الأثرية التّي تسمح، وتساعد على دراسة هذا العنصر التّزييني في نطاق أوسع.

وجاءت هذه الأسئلة كالتالي:

. ما هي فترة ظهور الزّليج كفنّ تزيينيّ حرفيّ مغربيّ أندلسيّ، ومن مارسه من بين فئات مجتمع الدّولة الزّيانية ؟

. ماهي تقنيات تصنيعه، وماهي الورشات المتداولة على تجسيده؟

. ماهي الأنواع والمكونات الفنيّة، والتّقنية، والكيمائيّة لزلّيج بني عبد الواد في قصر المشور؟

وربّما أزعم أنّ هذه الدّراسة هي محاولة لإثراء البحث الأثري بالتّحاليل المخبريّة للزليج الزياني لقصر المشور، و محاولة معرفة الموادّ المستعملة في زليج الدولة الزيانية التيّ تفتقر إليه البحوث الأثرية، وهي محاولة صغيرة للجمع بين الجانب التقني الكميائي، والجانب الأثري التّحليلي .

أمّا الجانب التاريخي و الوصفي لقصر المشور فيفتقر افتقارا كبيرا، إذ يذكر بعض المؤرّخين، مثل يحي بن خلدون في مؤلفه التّاريخيّ، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، أنّه كان هناك قصور أربعة في قلعة المشور (قصر السّرور، قصر أبي فهر، قصر البيضاء، وقصر الملك) ويذكر أنّه كانت بها حدائق، إلاّ أنّه لم يصف بشكل دقيق مكان تواجدها في القلعة وشكلها، وحجمها، ومثال ذلك التّي تحتاج إليه البحوث الأثريّة، وفي الفترة الفرنسيّة هناك القسّ بارجيس الذّي شهد عملية تهديم، وتدمير، وتخريب المنشآت في المشور، لكن لم يدل بوصف مفصّل عن طبيعة هذه المواد الباقية، والمنشأة من عمليّة التّدمير، لذا توجّب علينا تقديم هذا النّمط من العمارة الزّيانية والحلية التي تمثلت في الزليج الذي استعملت لتزينها ،تقديما مدقّقا عن طريق المكتشفات الحفرية، ومناطق انتشار الزليج فيه.

وهي إضافةُ بعض الجديد على جهود أخرى سابقة في الدّراسة الأثرية، والكيمائية حول زلّيج المغرب الإسلامي والأندلس، كدراسة عياد بن عمار الكيمائية (Recherche d'indices sur les techniques de fabrication de zelliges du XIV siècle((Chellah, Maroc),Revue D Archeometrie الذّي يقدّم فيها جانب تحليليّ كميائيّ للمجموعة التيّ درسها، ويقدّمها تقديما وصفيا كيمائيا للطّبقة الملونة في الزليج دون أن يتطرّق بعمل دراستها في موقعها والبحث في فنياتها وجماليتها .

كما أنّ هناك دراسة حديثة عنيت بجماليّة، وفنيّة، وسميائية أشكال الزّخارف زليج الزياني وهي دراسة الباحثة دليلة مطماطي بن زرقة الموسومة: الزليج على العمائر الدينية والمدنية من القرن 13م الى 16م، مذكرة الماجستير في الاثار الاسلامية غير أنّها تناولت فقط الجانب الوصفي وجرد

الزليج زيانيّ دون التطرق إلى مكوّنات موادّ الزّليج الزّياني فلذا اهتممنا بجانب آخر وهو الاعتماد على الفحوص المخبرية الدقيقة لكشف مكونات الزّليج الزّياني لقصر المشور .

إن طبيعة الدّراسة تفرض الاستعانة:

- بالمنهج التاريخي الذي استعملناه في التعرف لمختلف تقنيات الخزفية التي سبقت الزليج وكذا الأحداث التاريخية لدولة بني زيان ، والمنهج الوصفي الذي سعدنا على تعريف بالموقع المشور وبعض المواقع الاثرية الأخرى في مدينة تلمسان والتحليل الأثري لتعرف على مختلف أنماط الزخرفية للزليج والتّحليل المخبري وظفناه لمعرفة بعض مكونات عينات من الزليج .

وكان لزاما علينا تقسيم البحث إلى مقدّمة، فصل تمهدي ، وثلاثة فصول، وخاتمة .

الفصل التمهدي ويأتي فيه التّعريف ببعض المفاهيم عامة المتعلقة بالزليج، وما يشبه من تقنيات تزينية المنتشرة في العالم الإسلامي والتفرقة بينها، وشرح مختلف تسميات الزليج الأخرى ومناطق انتشارها.

الفصل الأول وعنوانه تلمسان عاصمة المغرب الاوسط، وينقسم إلى الإطارين الجغرافي والتاريخي للمدينة ، الإطار الجغرافي نقدّم فيه الموقع الجغرافي للمدينة تلمسان، والإطار التّاريخي المتمثل في مبحثه الأول الذي نحول به في أصل تسمية تلمسان كرمز حضاري في المغرب الإسلامي، أما المبحث الثاني فينصرف إلى المراحل التّاريخية الكبرى للمدينة، ثم المبحث الثّالث الذي يقدم لمحة تاريخيّة عن دولة بني عبد الواد(1236م/1554م)، والمبحث الرّابع يبرز مظاهر الحياة المختلفة للدّولة الزّيانية.

أمَّا الفصل الثاني والموسوم تقنيات الزليج كفن حرفي مغربي أندلسي، ينقسم إلى أربعة مباحث حيث يعالج المبحث الأول لمحة تاريخية عن ظهور الزّليج في الأندلس والمغرب وتلمسان، أما المبحث الثاني فنتعرّض فيه إلى تعريف حرفة الزّليج وتقنيات صناعته، والورشات المتداولة على تجسيده.

والمبحث الثالث قدّمنا الأشكال والعناصر، الفنّية للزّليج الهندسي، والنّباتي، والألوان المستعملة فيه. أمّا المبحث الأخير فيتطرق للمعالم التّلمسانية التي تزخر بفنّ الزّليج.

وفي الفصل الثالث والأخير الذّي سمّيناه الزّليج في العمارة الزّيانية وقصر المشور، فيتضمّن العمارة الزّيانية، والزّليج كمبحث أوّل، وموضوعات الألواح الزّخرفيّة للزّليج الزّياني كمبحث ثان والذي تطرّقنا فيه إلى مختلف الموضوعات الزّخرفية الهندسيّة، والنّباتية، والكتابية للزّليج، وأخيرا المبحث الرابع وسمّيناه قلعة المشور، والقصر المكتشف الذّي تضمّن عناصر مختلفة من لمحة تاريخية عن قلعة المشور وقصر المشور، ومختلف الحفريات المتداولة على موقع القصر ثمّ تطرقنا لزلّيج قصر المشور، و عرضنا النتائج الأولية للتحاليل المخبرية.

وينتهي البحث بخاتمة تحوي نتائج الدّراسة المتوصّل إليها وتوصياتها، وملحق للصّور واللّوحات فقائمة لمصادر الدّراسة ومراجعها.

فما كان من صواب فمن الله سبحانه، وما كان من تقصير فمن نفسي، وحسبي أنّي حاولت والله المستعان من قبل، ومن بعد.

الفصل التّمهيدي:

مفاهيم عامّة.

- مفهوم الفسيفساء الاسلاميّة
- مفهوم البلاطات الخزفية
- مفهوم الخزف
- مفهوم القاشاني
- مفهوم الزليج

يمكن اعتبار الزّليج العامل المشترك بين أغلب الفنون التطبيقية المتعلقة بتزيين العمائر، التي تطورت في العالم الإسلامي، ذلك أنه جمع عدة خصائص وتقنيات تصنيعيّة لأغلب الحرف التي تتعلق بالصناعة الطينية، لأنه وليد مهارات مكتسبة من باقي الحرف التي سبقته مثل: صناعة الآجر، الفخار، القرميد، الخزف والفسيفساء.

ويعتبر الزليج من بين آخر التطورات التي وصلت لها الحرف الخزفية التزيينية المعمارية في العهد الإسلامي في منطقة المغرب الإسلامي والأندلس، ويمكن القول أنه ينتمي الى مجموعة كبيرة من تقنيات تزينيّة خزفية تشبهه في بعض الحالات إلى حدّ كبير، التي انتشرت في العالم الإسلامي وكست مختلف أنواع البنايات الإسلامية عبر العصور المختلفة والأقاليم المنتشرة.

ولهذه الأسباب ظهر خلط كبير من جهة، بين هذه الحرف وبين الزليج، ومن جهة أخرى بين التقنيات الخزفية التزينية المعمارية المتشابهة مع الزّليج، وهذا الخلط يظهر جليا في استعمال المصطلحات و التسميات، ولا يقتصر فقط على عامة الناس بل يمتد حتّى الى الباحثين في مجال علم الآثار والتاريخ، إذ يشكل في بعض الأحيان التفريق بين المصطلحات الفّنية للعمارة الإسلاميّة، وهذا يرجع إلى تعدّد هذه المصطلحات وتنوعها، واختلاف أصولها اللغوية، واختلاف التّعبير عنها في مختلف الأقطار العربيّة الإسلاميّة[1]، بل في بعض الأحيان يتمّ فقط التّشبيه أو اتّباع التّسميات التي قد وجدت في المصادر التاريخية بدون التحقّق منها، و هذا يعتبر نقصا في مجال البحث، ويبعدنا عن التخصص والتّدقيق في البحث العلمي.

لهذا رأينا من الضروري التّطرق الى المصطلحات والمفاهيم المتشابكة والمتعلقة بهذا الفنّ المعماري لأجل شرحها، وتوضيحها وإزالة بعض الغموض واللبس عنها، وتتبّع وجودها في المصادر، والمراجع التاريخية .

1. محمد حمزة اسماعيل الحداد، مدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مكتبة الزهراء، الطبعة الثالثة، مصر، 2008م، ص:7.

من أبرز ما تأثرت به الفنون الإسلامية التّزيينية المعمارية –في بداية نشأتها– من الحضارات التي سبقتها، نجد فنّ الفسيفساء.

1– مفهوم الفسيفساء الاسلامية :

أ– **لغة** : يشرحها **ابن منظور** ويقول :" هي ألوان تؤلف من الخرز أو الزجاج أو الرخام وتركب على الحوائط من الداخل لتشكل مناظر زخرفية مختلفة الألوان" ، وقد تسمى الفسيفساء " فسيساء" و البيت المصور بالفسيفساء أو الفسيساء يسمى " فسفس" ولا تزال لفظة" فسفس" تستخدم حتى الان في الدلالة على الأجزاء الصغيرة للأشياء[1] .

ب– **اصطلاحا** : يصنف اصطلاح الفسيفساء من طرف باحثين في العمارة الاسلامية في مجموعة خاصة بمواد البناء والزخرفة و الكسوات المختلفة[2].والفسيفساء أو الموزاييك عبارة عن قطع صغيرة أو فصوص ذات ألوان متعددة تصاغ على حسب التصميم وتطبق اما على الارضيات أو الجدران [3]، ومواضيع لوحاتها مختلفة. وقد تكون هذه القطع من الأحجار أو الرخام أو الخزف أو الصدف أو حتى الزجاج، ولا تتعدّى القطعة منها السنتيمتر المكعب حجما[4]، تلصق بعضها الى جانب بعض على طبقة من الملاط* بحيث تؤلف زخارف وصورا[5]. وللفسيفساء العتيقة تقنيات عديدة طورت عبر مرّ الزمن، وما زالت ممارسة بشكل معاصر في المدارس، الفنون والمعاهد المتخصصة بالتّرميم، وقد تجد استعمالها في منازل الخواص الذين يريدون تقليد فنّ الحضارات القديمة. هذا الفنّ التزويقي المشهور عالميا و فترة ظهوره ومراحل تطوره مدروس عند مجموعة كبيرة من المختصين، لذا سنمرّ على بعض المراحل التاريخية لهذا الفنّ بصفة وجيزة.

ج– **لمحة تاريخية عن الفسيفساء**:تعتبر عند الدارسين والباحثين من أهم مظاهر الفن المسيحي التي ازدهرت في العهد البيزنطي وكانت من اهم الفنون المكمّلة للعمارة في الكنائس البيزنطية حيث كسيت به مختلف واجهات البنايات، رغم أنّ هذا الفن كان معروفا في العصر الاغريقي والرّوماني إلاّ أنّ اهميته زادت عندما مارسه البيزنطيون[6]. فاليونان هم الذين اشتهروا بالفسيفساء وعنهم أخذ القرطاجيون في القرن الثالث ميلادي، لكن المعروف أنّ الفسيفساء هي بابلية الأصل،

---

1 . سامي محمد نوار ، الكامل في المصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية ،الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ،2002، ،ص: 133. 134 .

2 . محمد حمزة اسماعيل الحداد ،المرجع السابق ،ص: 21.

*ملاط : الملاط هو الطين الدي بين صفوف البناء ويملط به أيضا الحائط . الملاط أيضا بمعنى الطلاء وتجمع على الملط ،فالملاط مادة المونة التي توضع بين مداميك (صفوف من مواد بناء الحجارة ، الأجر الخ) لتماسكها ، وهو ما يطلى به الحائط بعد تمام ئه امي محمد نوار ، المرجع نفسه ص: 176.و هنا يقصد به الوصلات اللحمة بين قطع الفسيفساء ، والملاط باللغة الفرنسية هو :Mortier

3 . حنان عبد الفتاح مطاوع ، الفنون الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، 2011م ، ص: 200.

4 . سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة و الفنون في الدولة الاسلامية ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، سنة مجهولة ، ص: 226.

5 . حنان عبد الفتاح مطاوع ،المرجع نفسه، ص: 200.

7 . نفسه ، ص: 25.

وهي مرتبطة بنشأة الآجر(الطوب) الذي اشتهرت به بلاد العراق القديمة،كما تطورت في مصر بمنطقة الاسكندرية [1]، أمّا تأثير الفسيفساء الرومانية ومن أبرزها التي وجدت في الموقع المشهور بومباي (Pompéi)* بإيطاليا، وهي تعتبر من بين أدق وأرشق التقنيات التي مورست إذ أنّ القطع استعملت بأحجام صغيرة، وجمعت كأنها لوحات من المنمنمات.

في بداية الفترة المسيحية ظهر تقنيات جديدة ومشاهد كانت تمثل الطبقة صور الحاكم ثم غلب عليها المواضيع الدينية المختلفة التي درست هذه الأخيرة من الجانب التقني والفني والرّسالة التي تحملها [2] .

د– الفسيفساء الإسلامية : في فترة اتساع الدولة الاسلامية أخد الفنان المسلم يتعلم تقنيات تزينية جديدة ومن بينها الفسيفساء، من بين أبرز أنواع الفسيفساء الاسلامية كانت تلك التي ظهرت في الفترة الاموية بمسجدي القدس ودمشق [3]، لكن استعمال هذا الفن المعماري التزيني لم يقتصر على المساجد، و المنشآت الدينية فقط. بل في القصور المبنية للخلفاء و الولاة الأموية التي وجدت في الصّحراء السورية الأردنية**، والتي كانت تشبه الى حد كبير تقنيات الفسيفساء الرومانية باستعمالها مربعات صغيرة من الحجارة والملاط الجيري، ولوحتها كانت تحكي مشاهد طبيعية. ومن بين القصور التي استعملت هذا النوع القصر الأموي خربت المفجر في جيريشوا[4] (أنظر الصورة رقم 1).

سبق الذّكر أنه من أبرز المعالم الأموية التي استعملت فيها الفسيفساء هي قبة الصخرة بالقدس، ومسجد دمشق الكبير، ولم يعد يتبع التقنية الرومانية في هذه المرحلة، بل التقنية البيزنطية، وذلك باستعمال الألوان الفاتحة ومربعات من الزجاج، عوض الحجر[5].

في نهاية القرن 7م شيّد الخليفة عبد الملك بن مروان قبة الصخرة، والفسيفساء التي استعملت في التزيين هي إنجاز اما من طرف الحرفيين البيزنطيين[1]، أو من ورشات المحلين الذين تأثروا بالمدرسة البيزنطية[2]، ومن المحتمل أنّ القطع قد صنعت في ورشات

1 . سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص: 227.

*بومباي :المدينة الرومانية التي غمرت وغطيت بحمم و رماد البركاني ،عام 79م .انظر :

2 .Emma Biggs ,Techniques de la mosaïque, Traduit par Dominique Saran ,Editions Eyrolles, paris ,2000,p : 10 et 11.

3 . سعد زغلول عبد الحميد ،المرجع نفسه ، ص: 226.

4 – Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,Edition CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000,p :75.

** يوجد في بعض المراجع ان فسيفساء مسجد دمشق الاموي كانت النموذج الدي اتبع في انجاز فسيفساء هده القصور ، أنظر :

– Fawwaz al KHrayshel et d'autre , les Omeyyades , naissance de l'art islamique, cycle international d'expositions Mussée sans Frontière, Jordanie ,p :18 .

5 – Dominique clévenot, Gérard Dégeorge, op cit. p :76 .

ورشات القسطنطينية، ومن خصائص هده الفسيفساء عدم تمثيل أي مخلوق حي ما عدا النباتات التي تناسقت مع الالوان المذهبة [3]، التي تمثل موضوعها حدائق الجنة [4](أنظر الصورة رقم :2) .

في 706م 715م عندما خلف الوليد، عبد الملك بن مروان وبنى المسجد الكبير الأموي في دمشق[5]، استعمل هذا السلطان الجديد الفسيفساء كمادة تزينية نفيسة لتكون بصمة تعكس عظمة سلطانه (أنظر الصورة: رقم 3.)، وطلب الخليفة الوليد من الإمبراطور البيزنطي إرسال حرفيين وفسيفساء من القطع الزجاجية لتغطية الواجهات العليا للمسجد الأموي لكن لم يصل الينا إلاّ القليل**، من النّماذج[6]، ومن بين اللوحات التي شهدت وبقيت الى زمن ليس ببعيد هي تلك الموجودة في الجهة الشرقية من المسجد، ويبلغ ارتفاعها حوالي 7أمتار وطولها 34 متر و التي تشبه تقنية قبة الصخرة وما يختلف فيها هو مواضيع اللوحات [7] .

تتضمن مواضيع لوحات فسيفساء المسجد الأموي على قصور من حولها أشجار وبجانبها مسطّحات مائية خلافا عمّا وجد في قبة الصّخرة حيث كانت الفسيفساء تمثل الزخارف النباتية والأوراق المختلفة، أي في المسجد الأموي المنظر الطبيعي بيزنطي محض دون وجود الحيوانات والرّسوم الادمية، التي مثلت في ما بعد في القصور الأموية خاصة في الأرضيات والحمامات .

رغم أن الفسيفساء زينت بها أعرق وأولى المعالم الإسلامية، لكن لم يستمرّ استعمالها في العالم الإسلامي، وبقيت حرفة اختصّ بها البيزنطيون وبالتالي اختفت من العمائر وذلك بعد نقل العباسيين حكمهم إلى بغداد، وبقيت الفسيفساء مختفية حتى يوم ظهرت مرة أخرى في مسجد قرطبة بإسبانيا الذي يعتبر نموذجا فنيا راقيا في العمارة الإسلامية.

---

1 - D Umberto Scerrato, traduction de Dominique Versini , Merveilles du monde Islam ,Fernand Nathan ,paris ,1977, p :21 .

2. حنان عبد الفتاح مطاوع، المرجع السابق ، ص : 51.

3 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge, op.cit, p :76

4 - Henri Stirelin ,Architecture de l'Islam de l'Atlantique au Gange ,Office du livre,Suisse,1979,p :31.

5 - ibid., p39

6 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ibid, p :79

**فسيفساء المسجد الأموي دمشق بسوريا التي من عهد الخليفة الوليد لم يبق منها الا القليل ودلك أن المسجد مر على حوادث طبيعية مثل الزلازل والحرائق التي أتلفت الفسيفساء العتيقة، من بين هذه الحوادث الطبيعية التي اتلفت الكسوات الفسيفساء و الرخام حصل سنة 1893م، و اليوم في 2013م-2014م، تشهد سورية حربا أهلية، ثم على اثرها هدم بعض الملامح المسجد بالقصف بالقنابل، ولا نعلم مصير هذه الفسيفساء و المسجد العتيق الاموي .

7 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge, op cit. p :79

وعاد استعمال وظهور الفسيفساء أيام الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر [1]، الذي أراد تقليد أجداده الأمويّن، وقام بأعمال توسيع المسجد وزيادة فابتنى المحراب واستغرق في بنائه أربع سنوات، وزينه بالفسيفساء[2]، أو كما يسمونها في الأندلس المفصّص[3]، كما صتع له القبة الفخمة الكبيرة التي اشتهر بها مسجد قرطبة والتي لم يعرف في تاريخ العمارة قبة أبدع تكوينا وأجمل مظهرا منها [4]، وزينها هي الأخرى بالفسيفساء البديعة، واستقدم الحاكم من القسطنطينية حرفين بيزنطيين وقطعا كثيرة من الفسيفساء لهدا العمل[5] سنة 961م [6]، وما يلاحظ هنا أنّ هذا الخليفة لم يقلد أجداده أجداده (الوليد بن عبد الملك) في استعمال فسيفساء فقط، بل احضر هو الآخر حرفين بيزنطيين لتزين المسجد، فيحتمل أنّه كانت له إرادة في احياء أمجاد خلافة أجداده التي ضاعت، أمّا مواضيع الفسيفساء فكانت متنوعة، وظهر فيها تطور الذي يميل الى نوع من التجريد للعناصر النباتية مقارنة مع المسجد الأموي بدمشق،واستعملت الفسيفساء في الكتابات أيضا ولوحظ توسع في النّماذج الزخارف وتدرج في الألوان[7]، واستعملت خلفيات مذهبة وهذا واضح في القبة [8] .وكان الظهور الاخير والوجيز للفسيفساء في دمشق في بعض معالم التي تعود في العصر المملوكي بفضل فنّانين أتوا من آسيا الصغرى، والملاحظ أنها كانت ناقصة الإتقان، مقارنة مع الفترات والنماذج الأخرى التي سبقتها، مع تشابه وتماثل في مواضيع اللوحات التي وجدت في قبة الصخرة والمسجد الأموي[9].

تجدر الإشارة إلى أن الفسيفساء التي جسدت في هذه الفترات الاسلامية من طرف حرفيين بيزنطيين استعملوا القطع من الفسيفساء مكعبة الشكل في أغلب الأحيان وقاعدة هذه القطع التي تغرس في الملاط كانت مسطحة وغير مهذبة الحواف خلافا لما سنراه في التقنيات التزيينية المعمارية التي تنتمي الى نفس العائلة.

ويمكن طرح تساؤلات عن عدم انتشار هذا الفن التزييني في صفوف الحرفين المسلمين، ومن تم هل تأثرت الفنون التطبيقية المعمارية التزينية التي ظهرت فيما بعد بهذا الفن في العالم الاسلامي، وهذا الموضوع يتطلب دراسة وافية وتحليلا

---

1 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , op.cit., p :80

2. محمد عبد الله عنان ، الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا (دراسة تاريخية اثرية) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997م ص: 21

3 . أحمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من عصر الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، المجلد الأول ،دار الصادر ، بيروت ،سنة1988م ، ص: 202.

4. أحمد فكري ،الآثار الاسلامية في الأندلس ،مركز تحقيقات كاسويرت للعلوم الاسلامية ،مصر ، ص: 25.

5 . محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه،ص: 21.وأنظر: ج.س. كولان ،الأندلس ، ترجمة عبد الحميد يونس و أخرون ،كتب دائرة المعارف الاسلامية ،مصر. لبنان، سنة 1980م ،ص:160،وأنظرأيضا

Henri Stirelin , op.cit. p :78

6 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , op cit. p :80

7 - ibid. p :80

8 - Henri Stirelin , op cit. p :78

9 -Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , op cit. p :80

وبحثا في المصادر البيزنطية، والإسلامية للإجابة على إشكالاته، والسبب بسيط حسب رأينا وهو أن الحرفيين لم يكونوا يعطون أسرار حرفتهم لغير المسيحيين، وهذا ما يعرف به الحرفيون في مختلف أقطار العالم.

2 – مفهوم البلاطات الخزفية:

أ- **لغة:** البلاطة: هي وجه الأرض الملساء و البلط هو التسوية [1]، والبلاط بالفتح الحجارة المفروشة في الدار وغيرها ويقال دار مبلطه بأجر أو حجارة ويقال بلطت الدار فهي مبلوطة ادا فرشتها بآجر، وحجارة، والبلاط ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ثم سمّي المكان بلاطا اتساعا وغير ذلك[2]، ثمّ انسحبت التسمية على المادة التي ترسى مفروشة على سطح الأرض، فسمّيت بلاطا بسبب تسويتها لوجه الارض ،وقد يقال بلط الحائط على كسوة الحائط أيضا[3].

ب- **اصطلاحا:**المفهوم الشائع والمتداول في الاصطلاح المعماري حتى الآن أن البلاطة هي الممر الممتد رأسيا (عموديا)في بيت الصلاة من جدار القبلة الى الصّحن، وهذا لا يعني أن هذا المصطلح جديد الاستعمال بل ذكرته مصادر عديدة ومتنوعة [4].ويستعمل أيضا للدلالة على القطع التي تكون في الغالب هندسية الشكل لتغطية وكسوات الجدران وارضيات المعالم بالمواد المختلفة وهدا يقترب من الشرح اللغوي اكثر من الاصطلاح الدي ذكرناه في الاول، و من بين المواد التي تستعمل الاجر والحجارة سالفة الذكر. ورافق الاصطلاح البلاط مادة الخزف للدلالة على التبليط بمادة الخزف فيقال البلاطات الخزفية.

الخزف :

أ- **لغة** :ما عمل من الطّين وشوي بالنار فصار فخارا، واحدته خزفة .الجوهري : الخزف بالتحريك،الجر والدي يبيعه الخزاف.وخزف بيده يخزف خزفا : خطر . وخزف الشيئ خزفا :شقه ،و الخزف :الخطر باليد عند المشي [5] .

ب- **اصطلاحا** :الخزف مادة طينية لدنة تكتسب شكلا ثابتا هشا عندما تحرق في الفرن ،و تعرف بالفخار[6] بالفخار[6] كما يعرف ايضا انه هو ما صنع من الطّين ولكنّه زجج و أصبح لامع المظهر بعد صنعه، وتكون الطبقة التي تغطيه من الزجاج ذائبة[7]، وهي متنوعة ومنها : القلوى و الرصاص و الملح وغيرها وهي دات طبيعة زجاجية أشبه بالميناء[8]

1 . سامي محمد نوار، المرجع السابق ، ص:25.

2. محمد حمزة اسماعيل الحداد، المرجع السابق ، ص: 24.

3. سامي محمد نوار، المرجع نفسه ، ص:25.

4 . محمد حمزة اسماعيل الحداد، المرجع نفسه ، ص: 25 . ص :50.

5. جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي المصري ،لسان العرب ،المجلد الخامس ،دار الكتب العلمية ، لبنان ،2005م، ص: 480.

6. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ، ص: 228.

7. حنان عبد الفتاح مطاوع ، المرجع السابق ، ص: 100.

بالميناء[1] لكن عندما تلفظ كلمة خزف نتوجه بفكرنا الى نوع معين منه و هو الدي يسميه بعض المختصين بالصيني ، وفي الحقيقة أنه نوع من الفخار إلا أنّه يحتاج إلى درجة عالية من الحرارة، وذلك حتى تحقّق مادته الطينية بالانصهار التجانس، وتكون غير مسامية وذات طبيعة زجاجية[2].ومن المعروف أأن تشكيل الخزف والفخار يكون باستعمال قوالب معدة لذلك أو بالدولاب المختلفة الأنواع، ويعتبر الخزف من الحرف التي لقيت رواجا كبيرا في العالم وربما لأنه متعلق بصناعة الأواني، وهو من الحرف التي ما زالت ممارسة إلى يومنا هدا سواء على الصعيد الصناعي التّجاري أوالحرفي التقليدي أو الفني .

واستعمال الخزف الذي يهمّنا هو التزيين الجداري، حيث أن استعمال الفنان المسلم للبلاطات الخزفية بمختلف الاشكال التي يحصل عليها باستعمال قوالب وهذا كله لكسوة جدران المعالم الدينية والأضرحة وقصور الملوك والسلاطين في مختلف الفترات الاسلامية. واستخدمت البلاطات الخزفية في المباني المختلفة، إذ نجده موزعة في تزيين الصوامع والقباب والمحاريب والجدران الداخلية [3] .

والبلاطات الخزفية متنوعة وأنماطها كثيرة منتشرة في العالم الاسلامي وقد تسمى مربعات خزفية أيضا وفي بعض الأحيان الفسيفساء الخزفية تسمى هي الأخرى بلاطات خزفية لأنها في الحقيقة هي نوع من التبليط الخزفي الذي تكون عبارة عن مربعات تقطع إلى أشكال هندسية صغيرة، ثمّ تجمع لتشكيل لوحة زخرفيّة وهي أيضا أنواع سيأتي شرحها في العناصر الموالية، وهناك المربعات متعددة الالوان، والمربعات الخزفية ذات الزخارف المقولبة أو المطبوعة، و الخزف ذو البريق المعدني[4] . لكن في الغالب يقصد بالبلاطات الخزفية، القطع التي يتعدى حجمها قطع الفسيفساء، وانتشرت في مختلف الفترات لا يسعنا التفصيل فيها لأنها تعتبر دراسة جبارة في مجال البحث الاثري و التاريخي. لذا سنمر على بعض المحطات التاريخية ومن تم بعض الأنواع التي ظهرت في العالم الاسلامي .

لمحة تاريخية عن البلاطات الخزفية(المربعات الخزفية) كانت بلاد الطوب والأجر هي بلاد الخزف بامتياز مند العصور القديمة، مثل العراق وصعيد مصر وبعض بلاد المغرب مثل مراكش [5] في بادئ الأمر ظهرت البلاطات الخزفية بشكل محتشم، بعض البصمات المدمجة بلون أزرق سماوي بين صفوف الآجر الملون ،فكان إدخال الخزف الملون في تزيينات بعض المعالم السلجوقية في القرنين 11م و12م كان نذيرا لقفزة نوعية سوف تحصل في جمالية العمارة

1. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع نفسه ، ص: 228.

2. سعد زغلول عبد الحميد،المرجع السابق ، ص:228.

3. عبد العزيز محمود لعرج ،الزليج في العمارة الاسلامية بالجزائر في العصر التركي (دراسة أثرية فنية) ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1990م ص: 18.

4 . Institut du monde arabe et d'autre , sur les traces des Andalous , Ministère de la culture , Tlemcen ,2011,p 127.

5. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع نفسه ، ص:228.

الاسلامية:إدخال الألوان والكسوات الجدارية متعددة الألوان سوف تغطي معالم الاسلامية و تنتشر في كل من أسيا الوسطى في ايران والباكستان وسوف تصل حتى الى سوريا و تركيا و أغلب أقطار العالم الاسلامي[1].

رغم هذا الظّهور الأول لهذه التقنيات للكسوات الجدارية إلاّ أنّها تذكّرنا بالصّناعة التقليدية القديمة للكسوات التّزينيّة الجداريّة في (الشّرق الاوسط. منذ 3000 سنة قبل الميلاد) وجدت لوحات من المينا اللماعة بالأزرق المخضرة التي زخرف بها مقبرة في سقارة.

في نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد مربعات من الخزف المتعدد الألوان وجدت في سوس (suse)[2]. بعض القرون فيما بعد عند الأشوريين و البابليين استعملوا في تزين قصورهم الأجر المطلي بالمينا اللامعة أو الطوب المزجج[3] . وتراجع هذا الفن الخزفي نوعا ما في فترة السّاسانيين[4]، التي ظهرت فيه الشّخوص الآدميّة في التّصاوير الجدارية التي كانت مواضيعها رقصات ومشاهد الصيد، ولقد اشتهروا بصناعة المينا القريبة من الزجاج[5]، ثمّ فيما بعد استرجع بريق ونشاط هدا الفن في الفترات الاسلامية .

والمعروف أن بلاد الآجر والخزف القديمة هي بلاد الزجاج أيضا بامتياز[6]، ولربّما استعمل الزجاج لتغطية البلاطات كما حدث في فترات التي كانت تغطى مربعات الصغيرة للفسيفساء بطبقة من الزجاج أو تأثرت صناعة الميناء بصناعة الزجاج للإعطاء البريق واللمعان للكسوات المعمارية.

واستعمال البريق أو التلميع (بالمينا) في الكسوات المعمارية الإسلاميّة ظهرت في عدة مناطق وفي نطاق واسع واحتضنت أوزباكستان ،أفغانستان ،أذربيجان، ايران هذه التقنية. ومن الأمثلة الأولى في ايران لهذا لدينا مسجد الجمعة في دمغان، إذ استعمل في المنارة الآجر وفي أعلاه استعمل شريط كتابي بالأزرق الفاتح من المينا (في النصف الثاني للقرن 11م). واستعمل فيما بعد نفس هذه العناصر الزرقاء التركوازية في ضريح قنبادي سرك-gunbad , Surkh) (iفي سنة 1147م بمرجها .maragha كما استعملت هذه العناصر في منارة المسجد دجام(Djam) في قلب أفغانستان ،أيضا في مسجد "علي" في اصفهان سنة 1150م. استعملت في هذه الحلّة من الآجر البسيط قطع من الطّين المشوي (الأجر) مغطّاة بطبقة من المينا اللماعة المتكونة أساسا من الكوارتز المسحوق و الكوبالت[7]. زيادة

1 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , op.cit, p: 90.

2 . philippe colomban ,secrets retrouvés du lustre abbasside ,Revue Céramique et verre, n 139 novembre- décembre,France,2004, p :14.

3. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع نفسه ، ص:229.

4 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , ibid, p: 90

5. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع نفسه ، ص:228 ،229.

6. ، نفسه ، ص:227.

7 .Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , ibid, p91

لاستعمال لمعان وبريق الميناء البسيطة استعمل انتاج جديد و هو البريق المعدني* و الذّي سماه ابن بطوطة" الفخار المذهب العجينة " وذلك عند حديثه عن مالقة في الاندلس[1]. أعطى البريق المعدني شهرة عالمية للخزف الاسلامي سواء في الاواني أو الكسوات المعمارية التي استعملت بصفة أقلّ مقارنة مع المتوجات المنقولة (الأواني)، وينسب بعض الباحثين الى بداية الفترة العباسيين ابتكاره، الدي استعمل في بادئ الأمر في تغطية الزجاج والدّليل الآنية الزّجاجيّة التي تحمل اسم حاكم مصر العباسي سنة 773م، التي هي الان في متحف القاهرة للفن الاسلامي[2]، لكنّ بعض الباحثين يرى أنّ البريق المعدني كان معروفا منذ العصور القديمة، وخاصّة في بلاد العراق بلاد اللبن والأجر[3]، تدريجيّا بدأ الآجر الملمّع يأخذ أهمية في الاستعمال فقد وظّف في بعض المرات في زخارف المشكّل بها أفاريز هندسية أو كتابية. وبلغ هذا التّطور عصره الذهبي في عهد التيموري (timouride) (1370م- 1506م) استعمال الواسع للتشكيلات معقدة التي تجمع بين الأجر البسيط و الأجر اللماع وضف للكتابات أسماء الله ومحمد صلى الله عليه وسلم ،كما استعمل في كتابات بعض الآيات القرآنية [4].

وقد ظهر في نفس الفترة أيضا انتاج جديد مقتبس من الاجر الملمع يراه بعض البحثين أنه حل محل فسيفساء الاجر المزجج ،فسيفساء الخزفية[5]، لوحات من الخزف المغطى بطبقة من المينا التركوازية والكوبلتية المندمجة في تزيينات المعمارية . ولنا من اجمل الامثلة في سمرقند في بوابة ضريح سعد الملك أق (Shâd –i Mulk Aqa)في مدينة (Shah –i Zinde)[6] (أنظر الصورة 4 و5).

لكن عالم الزخرفة و التزويق المعماري سوف يعرف بالأخص في اسيا الوسطى في ايران بالفسيفساء الخزفية التي سيأتي ذكرها في العناصر الموالية ونظم و طور من طرف الحرفين التيمورين (timourides) في سمرقند (d Hérat et Tabriz) هرات تبريز هده التقنية المسمات بالفارسية مورق قاري (mu arraq -kari) بمفهوم العمل المغروس ، والتي تذكرنا بتقنيات الفسيفساء القديمة انتشرت هده التقنية في جميع عواصم الملكية في ايران والتي سوف

---

*البريق المعدني : لجأ الفنان المسلم لاستعمال البريق المعدني في الخزف ليكون بديلا عن الدهب و الفضة المحرمين في الاواني ، وانتشر البريق المعدني متعدد الالوان بصفة قليلة بينما البريق أحادي اللون بصفة كبيرة وكان الألوان المتواجدة الأحمر و الدهبي و الفضي، أنظر المرجعين الموالين :. philippe colomban , op.cit, p14.

وأنظر أيضا: حنان عبد الفتاح مطاوع ، المرجع السابق ، ص:105.

1. أحمد بن محمد المقري التلمساني ، المصدر السابق،المجلد الأول ، ص:152.

2 philippe colomban , ibid, p14

وأنظر أيضا: حنان عبد الفتاح مطاوع ، المرجع نفسه ، ص:105.

3. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ، ص228:.

4 .Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , ibid, p90

5. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع نفسه ، ص: 452.

6. Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , ibid, p100

تغطي جميع الواجهات المرئية في المعالم الدينية الأسيوية (مساجد أو :Mazada أضرحة للأئمة الشيعة أو أولياء).من أمثلة هدا الاستعمال لدينا (ممزدة، mam-zada)(Darb-i imam) في اصفهان في القرن 15م وأيضا مسجد الازرق في (Tabriz)في سنة1465م.[1]

كل الواجهات مكسوة بالخزف الذي يغلب فيها اللون ازرق والأخضر . هذا المعلم يضم قبر أميرة ويعتبر من أجمل المعالم في سمرقند. استعمال الخزف في العمارة بالأناضول ظهر في نفس الفترة التي ظهر فيها في ايران ،ففي عهد السلاجقة القرن 13م استعملت البلاطات الخزفية و الفسيفساء الخزفية بألوانها الزرقاء التركوازية والكوبالتية والبنفسجي المنغنيزمي والأبيض بتقليد عرف من قبل في المحاريب[2] (أنظر الصورة رقم :6)

في ما بعد في القرن 15م انتقلت مجموعة الحرفين من الفرس منطقة Tbriz الى تركيا الدين طورا تقنية Kashi haft rang المنجز بجمالية عالية وهو بلاطات سداسية زرقاء وخضراء وتكوزيه مزوقة بزخارف مذهبة و التي استعملت في تغطية الجدران الداخلية من مسجد الأخضر في ايزنك D' Iznik أو de la yeshil cami.لكن انتشار الواسع في مجال الصناعة الخزفية في العالم الاسلامي يرجع الى مهارات الحرفين العثمانيين في نهاية القرن 15م ، المكتسبة من خبرات الإيرانيين .فلقد اجتهدوا في انجاز تقنية فريدة من نوعها من حيث المواد الأساسية المستعملة و نماذج اللونية براقة والزخرفية الكثيرة[3] (أنظر الصورة رقم:6).

كانت المرحلة الأولى عند الحرفيّن العثمانيين تتمثل في تقليد الخزف الصيني (la porcelaine ming) بألوانها البيضاء و الزرقاء. لكن في منتصف القرن 16م خرج الحرفيّون العثمانيّون من مرحلة التقليد الى مرحلة الابداع ،فتميزت هده الفترة باستعمال ألوان دافئة في بلاطات الخزفية مثل: الأخضر القرميدي، والرمادي و البنفسجي وتدريجيا احمر الطماطم الدي انتشر استعماله في ما بعد و الذّي يحصل عليه بالأتربة التي تحمل كمية معتبرة من أكسيد الحديد [4].بينما [4].بينما النماذج الزخرفية المستعملة والتي انتشرت في البلاطات الخزفية في الأضرحة والمساجد و القصور العثمانية تتميز بالتأثير الصيني و الميول في استعمال الزخارف الطبيعية النباتية *و الحيوانية[5] .

---

[1].Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , op cit, p100

[2] . ibid. p101

[3] ibid. p102

[4]. عبد العزيز محمود لعرج ، المرجع السابق ، ص 23.

5 . Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , ibid, p:102

*. الزخرفة النباتية : انتشر استعمال عدة نماذج لعناصر الطبيعية النباتية في الفترة العثمانية يصعب للباحث حصرها ، وابرز هده العناصر الأزهار مثل : زهرة اللاله أو الزنبقة (Tulipe) و زهرة القرنفل (Carnation) أنظر الى حلمي عزيز، قاموس المصطلحات الأثرية و الفنية (إنجليزي، فرنسي ، عربي)، الشركة المصرية العالمية للنشر . لونجمان ، مكتبة لبنان ،سنة 1993م ، لوحة: 10.وهناك أيضا نمادج أخرى مثل : ورق الأكانثس ورق الخرشوف البري او شوكة اليهود وورقة العنب ، أنظر: الأستاذ محمد الطيب عقاب ،من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل (مربعات

أما البلاطات الخزفية في الجزائر فقد وجدت بعض المربعات المنسقة الهندسية التصميم في حفريات مدينة تيهرت التاريخية (القرن 8م)واستعمل فيها الوان البنّي و الأصفر والأخضر، ثم في عهد الاغالبة (القرن 9م) الذين أدخلوا بعض المواد الملونة الجديدة والمركبة محليا مثل :البني المائل الى الحمرة و الأزرق السماوي و الاخضر النباتي (لون الزيتون)[1] . وهناك بلاطات خزفية ذات اسلوب زخرفي فريد من نوعه موجود في الجزائر التي عثر عليها في بجاية و قلعة بني حماد ، أشكال البلطات الخزفية نجمية متداولة مع أشكال صليبية تذكّرنا بتقليد مشهور في آسيا. ولقد تأثرت حرفة الخزف عامة في بداية القرن 11م بالأسلوب الاندلسي ولا سيما في مدينتي الجزائر العاصمة وتلمسان، ولوحظ ازدهار معتبر ما بين القرنين 12م و14م، فيما يخص الألوان حيث أضيفت أصناف جديدة من الألوان، في المرحلة العثمانية في الجزائر اتسعت مجال استعمال البلاطات الخزفية نظر لسهولة تركيبها وصيانتها، وبداية من القرن 19م، والاحتلال الفرنسي تأثرت البلاطات الخزفية وتحوّلت إلى نماذج اوربية(اسبانية ، ايطالية)[2]،كما كانت المربعات الخزفية احدى الموضوعات التي احتفلت بها فرنسا بمناسبة مرور مائة سنة على احتلالها الجزائر[3].ومازال الخزف يستعمل الى يومنا هذا لتلبيسها وتغطية الجدران، وقد نجد النّوع المتوفّر بكثرة الذّي ينتج في المصانع، وهناك الأنواع المنتجة على الطريقة التقليدية أوالفنّية، ومازالت ورشاتها نشطة مثل الورشات الإيطاليّة والتّركية والإسبانية بأنواع مختلفة[4]، الذي يوظّف عادة في أعمال تّرميم القصور والبنايات التّاريخية.

3- مفهوم القاشاني:

أ- **لغة** : هي كلمة فارسية عربيّة للدّلالة على نوع من أنواع الخزف التّي كان ينتج في المشرق وايران.

ب- **اصطلاحا** : مصطلح معماري فني اطلق في العراق وايران وتركيا على البلاطات الخزفية التي تغطي الأرضيات وجدران الأبنية كلها او جزء منها لزخرفتها او حمايتها [5] و قد عرف أحيانا باسم القيشاني أو الكاش أو القاشي كما ذكرها يقوت الحموي في معجم البلدان [6] وكل هذه الفاظ مستخرجة من كلمة **قاشان** وهي مدينة ايرانية اشتهرت بإنتاج الخزف وتعتبر من المراكز الكبرى التي ساهمت في تطوير الفنون الخزفية عبر مختلف الفترات الاسلامية فكانت تنافس

الخزفية)،مجلة الدراسات الأثرية ،العدد2،جامعة الجزائر ، سنة 1992م ، ص: 69.و لقد وصلت لنا هده النماذج خاصة منها أزهار القرنفل و اللالة ونجدها في المنازل الجزائرية و المدارس و الاضرحة و المساجد و القصور ولدينا في تلمسان نمادج في مدخل الأمامي لضريح سيدي بومدين التي تحوي العناصر زخرفية نباتية منها زهرة القرنفل وفي محراب المدرسة العباد(الخلدونية) لدينا نمادج عن زهرة اللالة.

1. نجاة عروة ، من وحي الثراث المعماري و الحرفي في الجزائر ، دار النشر دحلب ، الجزائر ،2011م ، ص: 140.139.

2. المرجع نفسه ، ص:14.

3. محمد الطيب عقاب ،المرجع السابق ، ص: 66.

4 . Institut du monde arabe et d'autre, op.cit. p:127.

5. غالب عبد الرحيم ، موسوعة العمارة الاسلامية ، جروس برس ، بيروت، 1988م ، ص: 322.

6. محمد حمزة اسماعيل، المرجع السابق ، ص: 23.

المركز الاخرى في صناعة الخزف مثل : فيرامين ، سلطان اباد وساوه ونيسابور و سمرقند [1].وذكرها القلقشندي على ألسنة الرحالة فقيل أنها مدينة لطيفة وهي أصغر من قم وغالب بنائها بالطين ، وهي خصبة وقد خرج منها جماعة من العلماء، أهلها شيعة[2]. المعروف أنّ مدينة قاشان لم تتأثر كثيرا بالغزو المغولي الدي اثر على الصناعات الحرفية و الفنون في تلك المنطقة، واستمرت الورشات الانتاجية المرموقة بإنتاج بنفس الأساليب القديمة، من حيث التقنية و الاساليب الفنية التشكيلية واشتهرت بإنتاج البلاطات الخزفية المزججة (القاشاني) أو ذات البريق المعدني [3] .وكان القاشاني خاصية تميز بها عمائر الطراز الفارسي [4]، فلا نكاد نتخيل معلم فارسي بدون تلبيس من القاشاني وبدون الأيوانات و القباب البصلية محلات بالقاشاني [5] ،ومن المعروف أن القشاني من البلاطات الخزفية التي انتشرت في المشرق العربي في فترات معينة من التاريخ الاسلامي في مختلف أنواع العمائر ، و استعمل هذا المصطلح كثيرا في مختلف المصادر و المراجع و البحوث الأكاديمية للدلالة على البلاطات خزفية المغاربية أيضا وذلك اما ان هذه الاخيرة كانت تشبهها وتماثلها في أساليب الصنع او ان الكاتب او الرحالة يعرفها بهد الاسم نظرا لانتسابه الى المشرق العربي.

ج- **لمحة تاريخية عن الخزف القاشاني :**

سبق الدكر أن في عهد التيموري(1370م . 1506م) حل محل الفسيفساء الأجر المزجج أو الملمع ،فسيفساء بلاطات القاشاني التي بلغت في هدا العصر دروتها في الاتقان و التفنن[6]، ولإنجاز هذه الفسيفساء الخزفية توجب القيام بعدة عمليات دقيقة من طرف حرفين متمرنين ومتخصّصين، أوّل شيء يقام هو تحضير البلاطات الخزفية المربّعة الشّكل اللّماعة ذات لون واحد، ويتم انجاز منها عدة نماذج بالألوان مختلفة، يستعمل عادة فيها اللون أزرق التركوازي، أخضر الزمرد ،أصفر الزعفراني، أبيض، أسود وفي بعض الأحيان يستعمل البني والاحمر .وللحصول على بريق معين لهذه الألوان توجب ادخلها في الفرن وطهوها بطريقة معينة ،ثم تأتي بعدها مرحلة التقطيع المربعات على حسب النماذج المطلوبة والمتوفرة عند المزوق و توجب على الحرفي المكلف بالقطع أن يتوخ الحذر في القطع لان لا يفسد البريق وطبق المينا لمربع الخزفي ولعمل القطع يستعمل الحرفي (Tailleur) أداة تشبه الفأس(d'herminette) ، ثم تحك أطراف القطع بالمبرد (LA LIME) لكي لا تعيق القطع بعضها البعض ولتشكيل مجموعة زخرفية مقلوبة على وجهها على أرضية

1. سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص: 451.
2. أبي العباس أحمد القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الانشا ، جزء الرابع ، مطبعة الاميرية بالقاهرة ، 1914م، ص: 371.
3. سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه ، ص: 451.
4. زكي محمد حسن ، في الفنون الاسلامية ، اتحاد أساتذة الرسم، مصر ، سنة مجهولة ، ص:21.
5. حسن مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة، الكويت ، 1990م ،ص: 87.
6. سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه ،ص: 452.

محكمة الترتيب والتنظيم لتشكل لوحات تزويق مقلوبة على وجهها لكي يفرغ فوقها الملاط (MORTIER) ،وعندما يجف الكل نأخذ اللوحات وتنقل على الواجهات[1].

كلّ هذه المراحل تتطلب دقة الحرفيّين ومهارات فائقة وكبيرة خاصة اذا كان رسم الزخارف معقّدا وخاصّة اذا كانت هناك زخارف نباتية ذات انحناءات ، وتقنية الفسيفساء أوالموزاييك الخزفية تصبح أكثر صعوبة في الإنجاز عندما تكون هناك عمل تغطية أو كسوة أقبية المقرنصة، والقباب بصلية الشّكل التي اشتهرت بها ايران[2]. ولتزيين القباب تمّت إضافة بعض التعديلات على تقنية الإنجاز، ففي بعض الأحيان يعوض استعمال البلاطات الخزفية اللماعة بالأجر الملمع لأنه أكثر مقاومة لعوامل الطبيعية مثل المطر و الجليد .ومن ضمن هذه التعديلات التي تقام عند كسوة القباب أنه مثلا لا ترتب القطع الخزفية على وجهها لتشكل لوحات على الارضية ثم تنقل على القبة بل توضع القطع في القطع الخزفية في قوالب خشبية تشكل بها لوحات مهيئ على حسب شكل جزء من أجزاء القبة و متماثلة القياس ثم بعد تجهيزها تحمل وتوضع في الجزء المنوط بها في القبة ،وهكذا تنجز الأجزاء الاخرى لتكتمل تزين القبة[3] .

وبالموازاة مع التطور الذي حصل للأجر الملمع و الموزاييك الخزفية هناك تقليد حرفي تزييني أخر والذّي هو متعلق بالتحديد مع تقنية تصنيع الفخار :هو الخزف الملمع الممارس في سمرقند وبغداد في عهد العباسيين والذي أدخل الى ايران بسقوط الدولة الفاطمية ونزوح بعض الحرفيين المصريين اليها سنة 1171م. وهذه التقنية التي أصبحت فيما بعد اختصاص منطقة "قشان " هي أيضا. ولقد ظهرت عدة ورشات حرفية في قشان والتي كانت تنتج أساسا نوعين من البلاطات الخزفية التي زينت بها المباني المدنية أو الدينية:

- البلاطات بقياسات كبيرة التي تحوي كتابات وتركب عادة على المحراب.
- البلاطات الخزفية ذات الشكل النجمي و الصليبي والمزخرفة بنماذج نباتية أو مشاهد حية[4] (أنظر الصورة رقم 7).

ويذكرنا هذا النوع الأخير بالنّماذج التي عثرت في قلعة بني حمّاد، والتي صنعت هي الأخرى بأشكال صليبية ونجمية، (أنظر الصورة 9)، الا ان البلاطات الخزفية التي في القلعة لم تكن بنفس المستوى التصنيعي التي عرفته منتجات قشان واستعمال الرسوم الحيوانية هو وجه اختلاف أخر لكن لا ننسى أن في قلعة بني حماد ظهرت استعمالات زخارف حيوانية، وتماثيل للأسود، وهذا التلميح البسيط توجب تعمق فيه والبحث لأن حتى تاريخيا فان الفاطمين تواجدوا في

1 Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , op.cit. p:100

2. زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ص:48.

3 Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , ibid. p:102

4 ibid, p:102

المغرب الاسلامي ثم انتقلوا الى مصر، ثم انتقلت جماعة من الخزافين واستقروا في منطقة قشان، فهذه العناصر المذكورة توجب التمحيص فيها لمعرفة التأثيرات و العلاقات التي كانت بين هده المناطق المتباعدة.

هذا الاختصاصات الحرفية الفنية في قشان أعطت على إثرها تسمية البلاطات الخزفية المنتجة في المنطقة،تسمية الكاشي او القاشي(Kashi) وهي تصغره لكلمة قشاني (Kashani) والمقتبسة من تسمية المنطقة قشان[1]، وعرفت منتوجاتها التي وردت من ايران وحتى من العراق بالقاشاني الذهبي الثمين[2] ودلك لكثرة اللمعان منسجم ولاستعمال البريق المعدني. ويجب دكر ان مدينة قشان طورت تقنية خزفية جدارية اخرى و التي تسمى حفت رنج (haft rang) أو تقنية سبعة ألوان أو (minai)[3]، وهي عبارة عن مربعات من الطين المشوي المزخرفة والمرسومة بعدة ألوان والتي تدخل في الفرن مرتين (أنظر الصورة رقم:10) في هده التقنية كل الاصبغة تتعرض للحرق في الفرن في نفس الوقت هدا ما يأدي بها الى إعطاء بريق موحد يذهب جمالية لوحات البلاطات الخزفية خلافا لنظيرتها الفسيفساء الخزفية التي عندما ينعكس الضوء عليها تعطي جماليتا لا تضاهيها التقنية الجديدة[4] تعتبر هده التقنية أقل جودة من القشاني رغم هدا انتشرت في عهد (shah abbas1er) في اعمال بناء التي قام بها في مدينة اصفهان والتي أردها ان تكون بصفة الاستعجالية وفي أقرب وقت ، لدا جاءت هده التقنية الجديدة (haft rang) تلبي طلب ورغبة هدا الباني ، لأنها سهلة الانجاز و أقل تكلفة مقارنة مع القشاني . وبهذا تراجعت صناعة القشاني التي عرفت ازدهار كبيرا في العالم الاسلامي ثم اختفت حتى من بعض المراكز الكبرى لصناعة الخزف[5] لكن لم يقص كلّيا استعمال القشاني في أعماله بل خصصه في الاماكن الهامة مثل الأبواب العملاقة التي تنظر الى ساحة الملكية أما حفت رنج استعمل في المساحات الكبيرة [6] . وصنع هدا النوع من من الخزف حتى في أوربا في القرن 18م حيث مورست بنفس الطريقة خاصة فيما يتعلق بعملية الحرق في الفرن[7].

من خلال هذه النبذة التاريخية يتضح لنا أنّ منطقة قاشان عرفت بعدّة منتوجات خزفية وبعدّة بلاطات خزفية من مربعات وفسيفساء خزفية في مختلف الفترات ،لكن كل منتوجاتها كانت تعرف بالقاشاني ، رغم اختلاف نوعياتها

1 .Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , op.cit, p:102.

وأنظر أيضا : ليلى أحمد النجار، العلاقات بين المغرب و الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، تحث اشراف الدكتور أحمد السيد صراج ،جامعة أم القرى ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية ،مكة المكرمة ، سنة الجامعية 1982م1983م ،ص:312.

2. ج.س. كولان ،الأندلس ، المرجع السابق ،ص:179.

3. philippe colomban , op.cit,p:14.

4 .Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , ibid., p:102

5 . Philippe colomban, ibid, p:15.

6 .Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , , ibid., p:104.

7. Philippe colomban, , ibid, p :15.

وتقنياتها التصنيعية ، بل كان يطلق القشاني حتى على الأواني منتجة في هده المنطقة، وكان أيضا يربط اسم القاشاني بالبريق المعدني الدي اشتهر استعماله في المنطقة ذاتها .ومن أبرز منتوجاتها:

. المنتوج الذّي أخذ الصدارة في هذه النواحي الفسيفساء الخزفية القاشاني وهدا اكثر المنتوجات التي عرفت وراجت في العراق وايران و المشرق العربي و هو المنتوج المعروف عند عامة الناس أكثر شهرة، وكانت طريقة صناعته دقيقة وكانت تنتج به أجمل اللوحات الفسيفسائية الخزفية الاسلامية في تلك الفترات.

. منتوج من تقليد خارجي الدي جاء مع حرفين من مصر وطور فيما بعد و أصبح اختصاص منطقة قاشان ، البلاطات الخزفية دات أشكال نجمية وصليبية ومزخرفة بنماذج طبيعية نباتية أو مشاهد حية أدمية أو حيوانية ونجدها في دمغان بكثرة في ايران .

. منتوجات من البلاطات الخزفية مهيئة خصيصا لتركّب على المحاريب وهي ذات قياسات كبيرة تحوي عادة كتابات من الخط العربي بمختلف أنواعه .

. والمنتوج الدي سهل عملية تلبيس الجدران بالخزف و الدي انتج هو الاخر في قشان ، تقنية سبعة الالوان (حفت رنج) أو بتسمية اخرى (مني) وهي عبارة عن مربعات خزفية مثل التي عرفت في العهد العثماني ، وكانت تعتبر أقل جودة من الفسيفساء القاشاني لكن أسرع في عملية الانجاز ، وهده التقنية هي الاخرى لقبت بالقشاني وهي التي حلت محل الفسيفساء القاشاني .

وجدير بالملاحظة والدكر انه تقريبا كل هده التقنيات استعمل فيها تقنية البريق المعدني ليس بصفة واسعة وفي كل المعالم لكن في المعالم أكثر رفاهية وتكون عادة ممارسة في المعالم الملكية .

4- مفهوم الزليج

أ- **لغة** : زلج ، الزلج وزلجان :سير لين . و الزلج سرعة في المشي وغيره ، زلجا وزليجا وانزلج .

و الزليجة : الناقة السريعة ، وزليج أي دحض . ومر يزلج ، بالكسر ، زلجا و زليجا اذا خف على الارض . والزلاج والمزلاج: مغلاق الباب ، سمي لذلك لسرعة انزلاجه ،انزلاقه . ومكان الزلج وزلج أيضا بالتحريك ، أي زلق والتزلج : الانزلاق .والزلج : الصخور الملس[1] . من المفهوم اللغوي نلاحظ انه أخذ مصطلح الزليج التبليط الخزفي الفسيفسائي صفة الانزلاق و الملس من مختلف المفاهيم اللغوية ،فالزليج املس السطح و يتمشى مع صفة الانزلاق التي ذكرت بها المصطلحات اللغوية .

1 . جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي المصري ،المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص:80. 82.

ب- اصطلاحا :الزليج من المواد الخزفية التزينية التي تكسى بها الجدران و تفرش بها ارضيات المباني المختلفة في المغرب الاسلامي و الأندلس، وهو نوع من المفصص* أو من الفسيفساء الخزفية كالقاشاني المشرقي ، ويسمى بالزليج او الزلاج أو الزليجي أو ازوليخوا ،أو الزليزلي وأطلق عليه اسم قاشاني هو الأخر لتشابه مع نوع القاشاني من الفسيفساء الايرانية الاسلامية ، وأطلق عليه تسمية القرميد المبرنق أو الزاهي الألوان وصنف من بين أنواع الأجر وقد نجد تشبيهه بالفخار ،كما يطلق عليه اسم القراطي أو في بعض المدن الزلايج أو الزليجة وقد يسمى بالزليج البلدي لتفرقة بينه وبين البلاطات الخزفية الحديثة.

تسمية الزليج لهذا الفن الزخرفي الخزفي هي التسمية الغالبة على مرّ التاريخ الاسلامي المغاربي والمصادر التي استعملتها عديدة لا يسعنا ذكرها كلها ومن بينها لمؤرخ ومؤلف مجهول** من الفترة الزيانية صاحب "زهرة البستان في دولة بني زيان "الدي أشار الى تبليط بالزليج في مدرسة من مدارس تلمسان فيقول :"...وبساط أرضها **بالزليج** مرسوم ،وجناتها بالصناعة الجباسية موشاة ،و**زليج** أزهارها من ابدع الشياة[1]..." تمدنا هده الشهادة التاريخية استعمال المصطلح الزليج، اضافة الى موضع استعمال الزليج أي على بساط أرضها و ايضا نوع التزويق الممارس معه وهو الجبس و نوع زخارفه عندما يقول:".. وجناتها.." أي الزخارف النباتية الجصية وأيضا يمدنا المؤلف بنوعية زخرفة الزليج ربما نباتية هي الاخرى لأنه يشبهها بالأزهار.

ووظّف مؤرّخو الفترة المرينية لفظ الزليج كا**بن أبي زرع الفاسي** في "الأنيس المطرب" الذي كان يصف أخبار فاس وتحدث عن غلاء المنازل ومظاهر الرفاهية في البنيان فيقول :" ...وتأنقوا في البنيان بالزليج و الرخام والنقوش[2]..." بالإضافة الى استعمال المصطلح الزليج فان هده الاشارة التاريخية تزودنا بمعلومة هامة ، أن الزليج كان مظهرا من مظاهر التأنق والرفاهية في البنيان و ربما لم يكن يستعمل عند عامة الناس لأنه كان مظهرا لرفاهية ومن تم استعماله باهض الثمن لا يقدر عليه كافة الناس .

فأما تسميته بالقاشاني هذا واردة مند عدة قرون قد خلت وذلك كما ذكرنا سابقا أنه يشبه الى حد كبير التقنية الايرانية الخزفية الفسيفسائية لتلبيس الجدران وتبليط الارض ،وعلى سبيل المثال لهدا التشبيه بين فسيفساء القاشاني و الزليج لدينا

1. مؤلف مجهول ، السفر الثاني من زهرة البستان في دولة بني زيان ، عناية وتقديم محمد بن أحمد باغلي ،الأصالة للنشر و التوزيع ،الجزائر العاصمة ، سنة2011م، ص: 335.

2. ابن أبي زرع الفاسي ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972م، ص :395.

أمثل عديدة لا يسعنا ذكرها كلها من بينهامقالة **ابن بطوطة** عندما تكلم عن مدينة مشهد الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالنجف " وحيطانها بالقاشاني وشبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن "[1].

ويقول **العمري شهاب الدين** في كتابه، "مسالك الأبصار" عن دور فاس العتيقة " وتفرش بالرخام دياراتهم وبالزليج وهو نوع من الأجر كالقاشاني بأنواع الألوان الأبيض و الأسود و الأزرق و الاصفر والأخضر وما تركب هده الألوان ، وغالبا الازرق الكحلي ومنهم من يتخذ منه وزرات لحيطان الدور"[2] نلاحظ في هدا البيان ان يربط الأجر بالقاشاني و بالزليج ودلك ان العلاقة الاولى ان صناعة الاجر متعلقة بصناعة القاشاني والخزف في ايران كما ذكرنا سابقا في نبده تاريخ القاشاني و البلاطات الخزفية . وايضا كما ذكرنا سالفا ان بلاد الطوب والأجر هي بلاد الخزف بامتياز مند العصور القديمة ، مثل العراق وصيعد مصر وبعض بلاد المغرب مثل مراكش[3] لذا نجد الكثير من المصادر التاريخية تعطي تسمية الزليج و القاشاني تسمية الأجر أو في بعض الاحيان القراميد او القرميد.

ومصطلح الآجر لغة : هو طبيخ الطين [4] فهو من نفس المادة التي يصنع بها الزليج و القاشاني ،اما مصطلح القرميد أو القرمد : هو كل ما طلى به كالجص و الطيب و الزعفران، وهو الاجر و الحجارة لها حروق يوقد عليها الى ان تنضج ثم يبنى بها ، و هو ايضا الخزف المطبوخ ، ويسمي اهل الشام أجر الحمامات القرميدي ،و القرمد و القرميد هي مادة طلاء غير مسامية تمنع تسرب الماء [5] فأما اليوم نعرف القرميد أنه من نوع التسقيف الخارجي لبنيات القرون الوسطى و البنايات فترة الفرنسية أو الاوربية .و العناصر التي يشترك فيها مع الزليج و القاشاني هو السطح الاملس الدي لا ينفد منه الماء و المادة المصنع منها وهو الاخر يطلق عليه تسمية الاجر، زد الى دلك هو ايضا الخزف المطبوخ ، وهذا

---

*. المفصص : هي تسمية كانت تطلق في الاندلس على الصناعات الشبيهة بالفسيفساء ، منها الزليج ويطلق على المفصص أيضا الفص المذهب و أغلب الضن أنه ربما لاستعمال البريق المعدني ، وهناك غير معروفة عند جماهير الأثريين و هي " غشك" كانت متداولة في المشرق الاسلامي و أفغانستان وهي مرادفة لأعمال التي تشبه الفسيفساء .أنظر : محمد حمزة اسماعيل الحداد ،مدخل الى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الاسلامية ،مكتبة الزهراء ، الطبعة الثالثة ،مصر ،2008م، ص:23.

**. مؤلف مجهول : مخطوط هدا المؤلف محفوظ بجامعة جون ريلاندز ،لمدينة مانشستر بإنجلترا تحت رقم 283(796) ،ومضمون هو عبارة عن مسلسل الاحداث لأربعة سنوات متتالية ،لفترة استرجاع أسس دولة بني زيان بمقر ملكها تلمسان في الفترة مابين 1359م 1363م في عهد سلطان أبوا حمو موسى الثاني. نظر : مؤلف مجهول ، السفر الثاني من زهرة البستان في دولة بني زيان ، ، ص: 9 .10.

1 . محمد حمزة اسماعيل الحداد ،المرجع السابق ، ص:2.

2. عبد الأحد السبتي ، حليمة فرحات ، المدينة في عصر الوسيط لقضايا و وثائق من تاريخ المغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، الناشر المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، 1994م ، ص:158.

3. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ، ص:228.

4. ابن منظور ،المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص:11.

5 . سامي محمد نوار، المرجع السابق ، ص:139.

*.كولان : هو باحث مستشرقي درس حضارة الاندلس ، ولد سنة 1893م و اقام في شمال افريقية وانصرف الى دراسة التاريخ و و العادات و اللغات .أنظر : ج.س. كولان ، المرجع السابق ، ص: 14.

ما أدى لتسمية بعض الباحثين الزليج بالقرميد ومن الامثلة التي نجدها في بعض المراجع لدينا : في كتاب الأندلس المترجم لكولان *نجد تسمية الزليج فسيفساء من "القرميد" الملون و ايضا" وأرصفة مكسوة بالقرميد الزاهي اللون"[1] اغلب الظن ان استعمال هدا المصطلح "القرميد" للإشارة الى الزليج حدث عند عمل الترجمة . واستعمل مصطلح القراميد الباحث محمد عبد العزيز مرزوق في كتابه الفنون الزخرفية الاسلامية عندما عرف الزليج فسماها بالقراميد [2]هده الى اشارة لنوضح أنه قد نجد في المراجع مصطلح القرميد لدلالة على الزليج ، ويجب الاشارة انه لم نلتقي في المصادر استعمال المصطلح القرميد للإشارة الى الزليج ، لكن المصطلح الاجر وجدناه في المصادر و المراجع وعلى سبيل المثال : عن ما جاء به القلقشندي في كتابه الصبح الاعشى " أرض دور رؤسائها مفروشة بالزليج ، وهو نوع من الاجر المدهون بدهان ملون كاقاشاني "[3] وهدا بيان اخر يجمع بين الأجر و القاشاني و الزليج ، وهدا يرجع ربما ايضا لتقنية الصنع بالقالب التي تجمع بين الثلاثة التي سوف نشرحها في الفصول المقبلة في تقنيات صناعة الزليج.

نجد تسمية الزليج بالفخار ويحدث عادة في الكتب المترجمة مثل ما جاء به الباحث "محمد عيسى الحريري" في كتابه "المغرب الاسلامي والأندلس" والذي أخذ عن "جوليان" الباحث المستشرق من" كتابه تاريخ افريقيا الشمالية" فيقول عند حديثه عن مسجد سيدي الحلوى في تلمسان : "وابتنى السلطان أبو عنان المريني مسجد سيدي الحلوي ، ويحتوي هدا المسجد على مصلى تشتمل على ثمانية أعمدة ،و على الواجهات الاربع لمئذنته ، **أشكال من الفخار المموه[4]بالمينا[5]** " وهنا مثل الزليج بالفخار المموه وذلك لانهما يستعمل فيهما نفس المادة لا نجازهما واستعمل مصطلح التمويه لأن الزليج براق .

وأمّا تسمية **الزليزلي** فهي تسمية أطلقت عليه خاصة في العهد العثماني في مصر وكان معروف انه صناعة مغاربية[6] أو وصلت طريقة الى مصر من بلاد المغرب ونراه بكثرة في دمياط ورشيد و الاسكندرية وهي موانئ التي كان يحط المغاربة امتعتهم ورحالهم فيها وهم في الطريق الى الحج ، أما في داخل مصر وجنوبها فكان يسمى بالكاشي[7] من المحتمل كانت صناعة ايرانية لان تسمية كاشاني هي من التسميات التي كانت تطلق على منتوجات منطقة قاشان كما

1. ج.س. كولان ،المرجع السابق ، ص:173و 174.
2. محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب و الاندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، سنة مجهولة ، ص:76.
3. أبي العباس أحمد القلقشندي، المصدر السابق ، الجزء الخامس ،ص:156.
4. المموه : هو عملية طلاء بالدهب أو الفضة فوق النحاس أو الحديد والتي تعرف أيضا بالتكفيت وتطلق عليها عملية التمليس فيقال للحائط المليس حائط مموه. أنظر الى : سامي محمد نوار ، المرجع السابق ، ص: 176.
5. محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الاسلامي والاندلس في عصر المريني ، دار القلم لنشر و التوزيع ، صنعاء ، 1985م ، ص:322.
6. محمد حمزة اسماعيل الحداد ،المرجع السابق، ص:23.
7. ليلى أحمد النجار، المرجع السابق ، ص: 312.وانظر: محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع نفسه ، ص: 77.76.

ذكرنا سابقا ،من جهة أخرى كان من الواضح أنه كانت تخلط المصطلحات ودلك كما دكرنا سابقا لتشابه تقنيات التصنيع النوعين من هدا الفن الخزفي وأنه تسميات القاشاني ومنتجاته راجت رواجا كبيرا مما ادى أخد الشهرة لنظيره الزليزلي الذّي هو الزليج .

اما **أزوليجوا** (**Azulejos**)هي كلمة اسبانية أصلها الزليج باللغة العربية و التي تعني الفسيفساء الخزفية المغاربية الأندلسية ، الزليج. ولفظ هدا المصطلح من طرف الحرفين الموريسكين المدجنين في اسبانيا بعد سقوط حضارة الاندلس [1] .ويرى بعض الباحثين الفرنسين امثال جورج ووليم مارسي أن الكلمة الاسبانية (Azulejos) مشتقة من كلمة Azul أي الازرق، و أن الكلمة العربية الزليج مشتقة من الكلمة الاسبانية [2] ،في الحقيقة ان استعمالات الكلمة زليج سبقت استعمال كلمة أزليخوا الاسبانية ودلك اد رجعنا للمصادر الكثيرة فقد نجدها مستعملة قبل ظهور المصطلح الاسباني ، والكلمة Azul لأزرق هي من بين الامور التي أدت الى اعتقاد ان الزليج اقتباس مشرقي لأن القشاني استعمل فيه اللون الازرق بكثرة ،لكن الحقيق أن الزليج لم يستعمل فيه اللون الازرق بكثرة، ولوحظ استعماله الا في المراحل المتأخرة بعد ظهوره.

أمّا التّسميات الاخرى مثل **الزلاج** و **الزليجي** ، ومن استعمالات كلمة "**الزلاج**" لدينا ترجمة كتاب الحمراء للباحث المستشرق الأمريكي " واشطن ايرقينغ* " فيشير أن عند تكلمه عن الحمراء بالأندلس، ان الاجزاء السفلية من الجدران توجد لوحات خزفية ملونة ومزخرفة وبها كتابات تحمل بعض اسماء الملوك او الشعارات ، ويسمى هدا النوع من التزيين الجداري "**بالزلاج**"و يشرح الكاتب انه من اصول مشرقية فيقول :"... وبه خلفيات لونية مختلفة ، وعلى بعضها أسماء ملوك الاسلام و شعاراتهم ، وتسمى باللّغة العربية **الزلاج** وهو أيضا من أصول مشرقية ، ونظافة ونصاعة هذه الاطراف تضفي شعورا بالبرودة يتلاءم مع الجو الحار المحيط.... غالبا ما تكون بالوان زاهية بين الزرقاء الى الزفير..." ثم يشرح ايضا كيف وصلت هد الصناعة من الزلاج الى الهولنديين [3] رغم ان هذا اللفظ استعمل في كتاب مترجم، فيمكن ان يكون هدا الاستعمال من المترجم أو ان أغلب الظّن أن الكاتب كان يجيد اللغة العربية وذلك لبحوثه الكثير عن الرسول الكريم

---

1 . Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,op.cit. ,p105

.أنظر أيضا :ليلى أحمد النجار، المرجع السابق ، ص 312.

* واشنطن ايرقينغ : (1783م1859م)ولد في نيويورك ومات فيها ،من اعمدة الكتاب الكلاسيكيين الأمريكيين واتصف بأسلوب الحيادي علمي الدقيق ،كتب كتابه الحمراء وهو جهد أكاديمي ضخم ، الدي يتحدث فيه على القصص الادبية في الاندلس كما وصف الاندلس في زيارته لها . كما كتب عن محمد الرسول الله في كتابه محمد وأصحابه سنة 1849م.أنظر: واشنطن ايرقينغ ، الحمراء (قصة أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الاندلس واسبانيا ،ترجمة هاني يحي نصري ،مركز الانماء الحضاري ، حلب ، 1996،ص:12.11.

2 . وليم و جورج مارسي ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة علي محمد بورويبة و اخرون ، الاصالة لنشر و التوزيع ،الجزائر العاصمة ، 2011م،ص: 98.

3. واشنطن ايرقينغ ، المرجع نفسه ،ص:59.58.

محمد صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام ولاستعماله الآيات القرآنية في مؤلفاته ،فربما استعمل هو كلمة الزلاج لأنه كتب أنها باللغة العربية ، وعلى غرار دلك لم يستعمل الكلمة الاسبانية **أزوليجوا** (**Azulejos**) .

أمّا استعمال كلمة الزليجي فوجدناها في عدّة مراجع، وهي مستنبطة من بعض مصادر، ومن بين هذه الأولى لدينا: السّيد عبد العزيز سالم كان استاذا للتّاريخ الإسلامي والحضارة في جامعتي الاسكندرية ولبنان، و استعمل كلمة "زليجي" في كتابه تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب و الأندلس[1]، كما استعملها في كتابه قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، في حديثه عن الحرف وصناعات في الاندلس وتأثيرها على الحرف و الصنائع المغاربية بتعبير الباحث عبد العزيز بن عبد الله :" ...ان الاثر الأندلسي واضح في صنائع ، **فالزليجي الفاسي** ، هو نوع من الترصيع الخزفي ، أصله من الأندلس ، كما أن أغلب فنون التطريز والترقيم المغربي من أصل أندلسي[2]..."، نلاحظ أن الكاتب الأول (واشنطن)جاء بأن الزليج ذو أصول مشرقيّة وأما الكاتب الثّاني الذّي أخذ عن الباحث" بن عبد الله" يميل الى فكرة ان الزليج ذو أصول أندلسيّة ثم انتقل الى المغاربة، وهذا الرّأي من بين أراء واجتهادات الباحثين المختلفة التي لم يحدد من خلالها بضبط مصدر هدا الفن التطبيقي الخزفي الفسيفسائي الاسلامي، ربما هي من الامور التي تزيد البحث عن الزليج اكثر تعقيدا وتشويقا زد الى دلك المصطلحات كثيرة للدّلالة عنه، لكن هناك الدراسات العلمية خاصة منها الكيمائية المخبرية التي يمكن من خلالها الفصل في الأمر، مصدر وأوّل ظهور لهده الحرفة ،لكن العمل ليس بالهين اد يجب القيام بتحاليل مخبرية على مجموعة هائلة من الزليج في المغرب الاسلامي والأندلس والمقارنة بينهم. في انتظار هدا الانتاج مازلنا نعتمد على مجهودات التحليلية للباحثين من علماء الأثار والتاريخ والهندسة المعمارية ونعتمد على آرائهم واجتهاداتهم.

أمّا فيما يخص استعمال المصادر لمصطلح **الزليجي** ، فإنّ صاحب "نفح الطيب" لشيخ" **أحمد بن محمد المقري التلمساني** " إذ جاء باستعمال مصطلح الزليجي بلسان" **ابن سعيد** " الدي تحدث عن ما يصنع بالأندلس فيقول :"...ويصنع بها وبالمرية و مالقة الزجاج الغريب العجيب و فخار مزجج مذهب ، ويصنع بالأندلس نوع من **المفصص** المعروف في المشرق بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف **بالزليجي** ، يشبه المفصص ، وهو ذو الوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الدي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم[3] ..." هذه الاشارة التاريخية تمدنا بتسمية الزليجي و اماكن صناعة الزليج بالأندلس والتسميات التي قد تنسب له : كالمفصص والفسيفساء و بعدة معطيات أخرى عديدة مثل : مكان وضع الزليج وتعدد ألوانه العجيبة،و المنتوجات التي تنتج في نفس مناطق صناعة الزليج (الزجاج الغريب العجيب و فخار مزجج مذهب)، وهناك اشارة على استعمال البريق المعدني المذهب في الفخار، وعادة تجتمع هذه

1. السيد عد العزيز سالم ،أحمد المختار العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب و الأندلس ، دار النهضة العربية ، لبنان ، 1969م، ص:63.

2. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس (دراسة تاريخية ، عمرانية ،أثرية في العصر الاسلامي)، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ،سنة 1997م،ص: 59و55.

3. أحمد بن محمد المقري التلمساني ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص:202.

الصناعات في منطقة واحدة وذلك أن كل من هذه المنتوجات المذكورة تحتاج الى افران حرق وطلاءات براقة ،ومن هذا البيان التاريخي نتأكد أنه بلاد الأجر والخزف هي فعلا بلاد الزجاج بالامتياز[1] كما اشرنا سابقا .

وهناك تسميات مازالت تطلق على الزليج للدّلالة عليه في بعض المناطق المغرب الاسلامي مثل **القراطي**، وهذه التسمية معروفة عند أهالي تلمسان ،فقد يقال له الزليج أو القراطي أو **الايراطي المغرابي** بلفظ الدّارجة التلمسانية الدي يستعمل فيها الالف والتاء بكثرة ،و القراط كلمة عربية متعلقة بالذهب وترمز الى الصفاء و النقاء ورشاقة والدقة ، لذا ربما استعمل لدلالة على الزليج ودلك للامعان سطحه والدي كانت تستعمل فيه الطلاءات البراقة مثل البريق المعدني ، لكن جورج مرسي يقول على القراطي أنه :"زليج وحيد اللون وصغير الحجم" أنه يوجد مثله في تطوان المدينة المغربية[2] لكننا سألنا بعض الحرفين الزليج من مدينة تطوان المغربية عن هدا التفسير فلم نحصل على نفس التفسير ،لكننا لا نشكك فيه لان ربما هدا التفسير اختفى مع الحرفين القدامى المغاربة . كما يرى الباحث أن القراطي كلمة من الاندلس من قرطبة وتعني التقطيع قطعا صغيرة ويرى أن الكلمة استعملها "**الحسن الوزان** "في وصفه المدرسة المرينية بمراكش يصف بها زخرفة تتضمن على التوالي القيراطي والقرطبي والزليج [3] في الحقيقة أننا بحثنا في نفس المصدر وفي نفس اشارة المؤرخ للمدرسة المرينية بمراكش ، لكننا لم نجد هده الإشارة للقيراطي . وهناك تسمية في اللهجة التلمسانية هي مستنبطة من كلمة زليج لكن تستعمل لدلالة على البلاطات الخزفية الحديثة وهي **الزلايج** أو بالمفرد **زلايجة** و تعرف بالفرنسية (**Faïence**) ،لكن قد نجد في بعض المدن المغاربية تلفظ كلمة (**زلايج**[4])لدلالة على الزليج[5] . وفي المغرب الأقصى يسمى **بالزليج البلدي** وذلك لتفرقة بين الزليج التقليدي الحرفي العتيق الصنع وبين البلاطات الخزفية الحديثة المستخرجة من المصانع الكبرى .

أمّا المصطلحات الفرنسية للزليج فلدينا : **Zellij** وقد نجدها **Zellige** أو **Zelidj**،وهي عبارة ترجمة نطقية قد تكتب بعدة كيفيات ، وأيضا المصطلحات الفرنسية التي تشير الى الزليج لدينا : المصطلح الموزاييك **Mosaïque** أو الفسيفساء الخزفية**Faïence** (**Mosaïque de**) و المصطلح **céramique** ،خزف أو نجدها بكثرة بمصطلح **Faïence**. وفاينز هي كلمة مستخرج من " **فاينزا** " (**Faenza**)وهي مدينة ايطالية اشتهرت بصناعة

1. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ، ص:227.
2. وليم و جورج مارسي ، المرجع السابق ،ص:99.
3. ، المرجع نفسه ،ص: 99.
4. تلمسان من بين المدن التي تستعمل كلمة زلايج لدلالة على الزليج . أنظر :وليم و جورج مارسي ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، ،ص: 98.
5. محمد بن القاسم الانصاري السبتي ، اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية، الرباط ، 1983م ، ص: 41.

الخزف [1] ونوع خاص من المربعات الخزفية ذو أشكال نباتية وهندسية يسودها اللون الأصر ، الاحمر الطوبي ،الأزرق ،الاخضر ، البني و الأسود وقد كان يصلنا من هذه المنتوجات الخزفية الى الجزائر في بداية القرن19م[2].وقد يرى بعض الباحثين أنها أخدت عن الخزف الاسلامي [3] اد هناك من بين هده القطع والمربعات الخزفية ما يميل الى زخرفة الأطباق النجمية التي هي من وحي النمط المغربي الاندلسي[4] والدي اشتهر به الزليج . وقد نجد مصطلحات مركبة فرنسية لدلالة على الزليج بمفهوم مربعات خزفية أو المربعات الخزفية المزجج أو البراقة :

carreaux de Faïence –carreaux de céramique émaille[5]

ونجدها أيضا بمفهوم تراب أوالطين المشوي أو المحروق اللماع أو البراق :

Terre cuite émaillée [6]

ومن المستشرقين الفرنسين الدين استعملوا هدا المصطلح لدينا "**جورج وليم مارسي**" فيقول الأول :أن الزليج هو مجموعة من القطع المتحدة كلعبة التجميع القطع بوزل ، من الطين أو التراب المشوي أو المحروق[7] وفي اشارة أخرى لهما يقولا: يمكن ان تكون هده البلاطات الشبيهة برقعة الشطرنج[8] ... ، فهنا قد شبها بحثانا الزليج بلعبة البوزل ثم الشطرنج ، لكن فيما يخص المصطلح الطين المحروق اللماع فيتضح أنه أخدها على الكاتب **دوزي** من كتابه القاموس فهو يسمي الزليج مربعات طين محروق الاحمر[9] .

أو مربعات خزفية محروقة اللماعة :

carreaux de céramique cuite émaille

1. حلمي عزيز، المرجع السابق ،ص:44.
2. نجاة عروة ، المرجع السابق ،ص:141.
3. حلمي عزيز، المرجع نفسه،ص:44.
4. نجاة عروة ، المرجع نفسه،ص:141.
5. ناصر الدين سعيدوني ،الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان" أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر، حوليات جامعة الجزائر ، العد د7،الجزائر ، سنة 1993م، ص:115.

6 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , Op.cit,p:105.

7 . G- Marcais , l'architecture musulmane ,Arts et Métiers Graphiques ,paris ,1954,p263.

8. وليم و جورج مارسي ، المرجع السابق ، ص: 99.
9. ، المرجع نفسه ، ص:99.

في هذه التسميات باللغة الفرنسية نجد منها التي تعطي مدلولا على تقنية أو طبيعة الصنع الزليج فهو عبارة عن مربعات تراب محروق في الفرن تم تقام عليه طبقة من الطلاء البراق ،فتسمية الأخيرة له هي عبارة عن تلخيص لتقنية انجازه وهي من المصطلحات الفرنسية الأنسب لدلالة على الزليج. وهناك تسمية تقنية أخرى استعملها الباحث الفرنسي "ألفراد بال" وهي : **Céramique Glaçurée** الخزف المزجج أو المبرنق لكن هذا مفهومها يظهر جيدا مع التعريف الدي قدمه فيقول : "فن الزليج، تقنية تزينيه تعتمد أساسا على جمع عناصر من الخزف المبرق ، التي قطعت بإتقان ودقة ، ثم تجمع بحيث تشكل زخارف هندسية تقليدية" ، ومعظم هده الزخارف تكون وتشكل من عناصر الهندسية متعددة الزوايا[1] . هدا التعريف نوعا ما تقني لأنه يفصل ويشرح بعض المراحل المتعلقة بصناعة الزليج و يعطي في الاخير الشكل المعتمد في انجاز الزخارف الهندسية، وهناك مصطلحات استنبطت من كلمة زليج للدّلالة عن عمل أو شغل متعلق بهده الحرفة مثل : مصطلح **الزلايجي** وجمعها **زلايجية** [2] وهي للدلالة على صنّاع الزّليج وحرفييّه، وهي في الحقيقة ألفاظ من الدارجة المغربية وليست مصطلحات من اللغة العربية الفصحى.

وقد نجد في بعض المراجع باللغة العربية بعض المصطلحات المتعلقة بحرفيّي الزليج والمستنبطة منه، مثل: **الزلاجون**[3] ، وقد نجد **الزليجيون**[4] . كما نجد مصطلحات متعلق بالقيام بعمل فرش الزليج في بعض المراجع والمصادر مثل : **التزليج** القاعات أو نقول أرضيات **مزلجة**[5] او قد يرد في المؤلفات لفظ **زلج** فلان داره بمعنى رصفها بالزليج[6].

قد حاولنا أن نضبط و نجمع بعض المصطلحات التي تدل على الزليج والمتعلقة به وذلك لفك اللبس والإشكال الذّي قد يحدث في الدراسات الأكاديمية وغيرها في هدا الموضوع ، ومن خلال هده المصطلحات المتنوعة أردنا تبيان التعريفات المنتشرة في مختلف المراجع و المصادر، وقد نجد تعريفات أو اشارات غير مباشرة لهذا الفن الخزفي المعماري (الزليج) مثلما ذكر: مؤسس علم الاجتماع " عبد الرحمن بن خلدون " في المقدمة فيقول في حديثه على أعمال التزويق على الجدران :"... وربما عولي على الحيطان بقطع من رخام او أجر أو **الخزف** أو بالصدف أو السبح ،ويفصل أجزاء متجانسة أو مختلفة ذا، وتوضع في الكلس على نسب و أوضاع مقدرة عندهم ،يبدو به الحائط للعيان كأنه **قطع الرياض**

---

[1] -Ayed Ben Amara , Recherche d'indices sur les techniques de fabrication de zelliges du 14e siècle (chellah ,Maroc), revue d'archéométrie ,France, 27-2003,p:104.

2. محمد بن القاسم الانصاري السبتي ، المصدر السابق ، ص: 41.

3. بسام كامل عبد الرزاق شقدان ، تلمسان في عهد الزياني ،رسالة ماجيستر في التاريخ ، اشراف هاشم أبو رميلة ، جامعة النجاح الوطنية نابلس، نابلس، فلسطين ، 2002م، ص:190.

4. محمد عيسى الحريري ،المرجع السابق ، ص :321.

5. مرمول كربخال ، افريقيا ، ترجمة : محمد حجي وأخرون ، دار النشر المعرفة ، المغرب ، 1984م، ص: 147.

6. محمد بن القاسم الانصاري السبتي ، المصدر النفسه ، ص: 41.

المنمنمة[1].." يتضح جليا في العبارة الأخيرة ان المؤرخ يتكلم على الزليج، لكن هده الاشارة التاريخية جاءت بشكل عام ولم يتحدث بصورة تفصيلية . ومن بين الاشارات لهذا الفن لدينا أيضا "**حسن الوزان***" في حديثه عن مدارس مراكش بالمغرب في مؤلفه "**وصف افريقيا**" في الجزء الأول، فيقول :"...تغطي الجدران الداخلية لزليج من الطين المشوي المقطع على شكل أوراق رقيقة أو بمواد أخرى بدل الفسيفساء ، وذلك على الأخص في قاعة الدروس و الممرات المسقوفة . وفناء المدرسة المكشوف كله مفروش بالزليج اللماع كالذي يستعمل في اسبانيا[2] ...» تفيد هذه الاشارة التاريخية أكثر من التي سبقتها حيث يمدنا الحسن الوزان بشهادات عن مكان وضع الزليج في المدارس في القاعات التدريس و الممرات المسقوفة وفناء المكشوف كما دكر نوعية من الزخرفة وهي نباتية وهو لماع شبهه بالذي هو موجود بإسبانيا ،كما ذكر أن الزليج من المواد البديلة عن الفسيفساء حيث أن الحسن الوزان يعرف الفرق جيدا بين الزليج و الفسيفساء الأوربية. لأنه قد أسر في ايطاليا من طرف القراصنة وقدم كهدية "**لبابا جان ليون العاشر**" الحاكم بروما الدي كان مهتما بعلوم العرب وكانت له الرغبة في نشرها[3] ، لذا عاش الحسن بروما بضعة سنين وحتما قد ميز بين الفن الاسلامي و الفنون الأوربية من فنون قوطية وبيزنطية. ويدكر أن الزليج طين مشوي لماع على شكل أوراق رقيقة وهدا تعريف ملخص عن تقنية صناعة الزليج اوقد نستقرأ بعض المراحل لصناعة الزليج التي سنراها في الفصول المقبلة. وقد نجد شرح مفهوم الزليج أو التعريف به في القواميس المختلفة ، وقد تكون هده الشروح موفقة أو قد نجد شرحها بشكل عام ومن جملة هده التعريفات والشروح القواميس لدينا موسوعة العمارة الاسلامية التي تعرف تسمية الزليج بانه كلمة أعطيت للبلاط الخزفي المتحد مع الفسيفساء في المغرب و الأندلس [4] ، في هدا التعريف قد نفهم أن البلاط الخزفي الدي هو الزليج عنصر يضاف الى عمل الفسيفساء وهذا يشتت المفهوم نوعا ما ،وانما الزليج عمل خزفي يشبه عمل الفسيفساء و قد نجد تسمية الفسيفساء للزليج لهدا التشابه هدا ما في الأمر .

ومن التعريفات الأخرى نجد كذلك قاموس المصطلحات الأثرية والفنية حيث:" الزليج ،قاشاني ، خزف مزجج لتغطية الجدران وتزينها ، وينسب الى "فاينز" الايطالية ، التي أخدته عن الخزف الاسلامي[5]" . فيما يخص نسب الزليج فالمعروف

---

1. عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ، بيروت لبنان، 1993م،ص:321.

*. حسن بن محمد الوزان الفاسي : العالم الجغرافي يعرف عند الأوربيين باسم "ليون الافريقي"(Léon l'Africain) ولد بفاس سنة 901هـ (1496)، وقيل أنه ولد بغرناطة سنة891هـ وانتقل به أهله صغيرا الى مدينة فاس عندما ارغموا على الهجرة .كانت وفاته على ما يظهر لبعض الباحثين سنة 944هـ بتونس. أنظر الى : . محمد بن القاسم الانصاري السبتي ، المصدر السابق ،ص: 72.

2. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، الجزء الأول ، دار الغرب الاسلامي ، الطبعة الثانية، بيروت ،لبنان ، سنة 1983م، ص: 132.و أنظر أيضا: عبد الأحد السبتي ، حليمة فرحات ، المدينة في عصر الوسيط لقضايا و وثائق من تاريخ المغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، الناشر المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، 1994م،ص:182.

3. محمد بن القاسم الانصاري السبتي ، المصدر السابق ،ص: 72.

4. غالب عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص:216.

5. حلمي عزيز، قاموس المصطلحات الأثرية و الفنية (إنجليزي، فرنسي ، عربي)، المرجع السابق ، ص:44.

فالمعروف أن الزليج عند الباحثين وفي صفحات المصادر منتوج مغاربي أندلسي محض وحتى التأثيرات التي أتنا منها هدا الفن يتحفظ منها الباحثين وزد الى ذلك أن منطقة فاينز عرفت بالخزف في بداية القرن 19م كما ذكرنا سابقا ، و المغرب الاسلامي و الأندلس عرفوا بالزليج بقرون قد سبقت القرن 19م .لكن فيما يخص التعريف الذي سبق و نسب الزليج فهو معقول وقد يعطي فهما صحيحا لهذا النوع من الفن التبليط الخزفي.

وانطلاقا من هذه المفاهيم والتعريفات العديدة يمكن أن نقول أنّ الزليج فنّ معماري تزييني زخرفي خزفي اسلامي نظم لكي يغطي ويكسوا بلوحاته التي تبدوا كالفسيفساء المساحات المختلفة في البنايات من (أزر [1]) الجدران والأرضيات وواجهات، سواء من الخارج في مداخل والأبواب وسبل والنافورات الدروب أو من الداخل التي غلب فيها استعماله في اماكن المختلفة مثل: جدران وأرضيات القاعات والممرات والساحات والأعمدة .وهذا الفن الزخرفي الخزفي يعتمد اساسا على بلاطات خزفية مربعة الشكل من الطين تدخل في الفرن وتطلى بالمينا بمختلف الالوان التي تصبح براقة ولماعة بتقنيات مختلفة، ثمّ تقطع بأدوات الى عناصر وأشكال زخرفية منفردة على حسب إرادة الصناع ،ثم تتحد القطع وتجمع على أرضيات أعدت لذلك مقلوبة على الوجه المطلي لها ،لكي يسكب ملاط على قاعدات القطع لتلتحم كل العناصر الزخرفية مع بعضها البعض مشكلة زخارفه نباتية أو هندسية التي عادة تكون أوسع استعمالا .وهدا المنتوج الحرفي عرف بالأخص في المغرب الاسلامي و الاندلس في القرون الوسطى الاسلامية لكن هناك نماذج اخرى في العالم اسلامي تشبهه من أشهرها القاشاني الإيراني. وهذا الفن الخزفي التبليطي والجداري مازال يمارس الى يومنا هذا في بعض من المدن المغاربية بصفة تقليدية أو حديثة ،ويعتبر مظهر من مظاهر الرفاهية في العمائر وهذا كما عهد في القرن التي ظهر فيها .

لمحة تاريخية عن الزليج:أشرنا سابقاإلى أنّ تاريخ ومكان ظهور الزليج هو غير مضبوط بشكل جيد حيث تضاربت الآراء وكثرت الفرضيّات، وذلك لنقص الاشارات التاريخية لهدا الفن في صفحات المصادر التاريخية ،وسوف نوضح هذا الأمر في فصل من الفصول البحث. لكن وغالب أنه تطور بعيدا من تأثيرات الأولى الايرانية في مجال الخزف ، حيث يرى بعض الباحثين أن طور المغرب الاسلامي والأندلس هو الأخر بداية من القرن 12م تقنية تزينيه التي تسمى تقنية التراب المشوي اللامع (la terre cuite émaillée): الزليج Zellij، الذي تزين به أساسا الأرضيات وجدران السفلى للقاعات والذي يعتبر عنصر من منظومة تزينيه مع الجص والخشب المنقوش أو المصبوغ بالألوان[2] ، في حين يرى

1.* ازار : جمعها أزر بالإسبانية(Alizar) هي كسوة من الرخام أو الزليج تغطي الأجزاء الدنيا أوالسفلى من الجدران. أنظر : السيد عبد العزيز سالم ، بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، العدد 1-2، مدريد ،اسبانيا ، سنة 1957م،ص: 4.

2 - Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , Op.cit,p:105.

بعض الباحثين أن الزليج هو عنصر تزييني معماري بربري، واسباني مورسكي ظهر ووصل الى المغرب الاقصى من البربر جهة الشرقية من المغرب الاسلامي في القرن 10م[1] التي ربما هي في بجاية وقلعة بني حماد.

وهناك من الباحثين ما ينشد فردية أن الزليج ظهر في الأندلس وتأثرت حرفة الخزف في المغرب الاسلامي به بداية من القرن 11م [2]لكن الدلالات التاريخية التي يعمل بها و قد نجدها بكثرة في مقالات الباحثين مختصين في علم الكيماء الأوربيين تفضي الى أن أقدم استعمال للزليج من النوع المغاربي الأندلسي بخصائصه المعروفة لكن بأحجام كبيرة للقطع مشكلة منظومة زخرفية هندسية معقدة هي التي وجدت في صوامع ومنارات الموحدين في المغرب الاسلامي و الأندلس في القرنين 12م و13م ،و يمكن ملاحظة أمثلة من هذا في المغرب الأقصى التي تعود الى نهاية القرن 12م وهي منارة مسجد الكتبيين و مسجد القصبة في مراكش الذّي استعمل فيهما الزليج بألوان الأزرق التركوازي والأبيض ، لكن سيعرف الزليج قفزته النوعية وتطورا ملحوظ مند نهاية القرن 13م وبداية القرن 14م وهده التقنية الزخرفية الخزفية ستعرف بتوازي في مناطق منتشرة ومختلف لكن الموجدة في حدود دولة الموحدية(1130م . 1269م)وسوف تنتشر في الدويلات التي خلفتها : المرينين(1244م .11465م) عاصمتها فاس و الزيانين (1236م .1554م)وعاصمتها تلمسان، و الحفصين 1229م/ 1236 .1574 م) تونس ، ودولة بنو نصر عاصمتها غرناطة في الاندلس (1232م /1238م . 1492م)، بعد هذا يصعب التأكيد على أنّ الزّليج هو منتوج منطقة واحدة مع العلم ان كان هناك تنافس بين هذه الدول في كل المجالات ،مع العلم أيضا أن الزليج ظهر بشكله القديم الأولي في كل هده المناطق التي كانت تحث حكم الموحدين وظهر بشكله المتطور النهائي المعروف به في فاس و غرناطة وتلمسان وبعض المناطق الاخرى المغربية[3].

بالمقابل يرى بعض الباحثين أن الزّليج المريني هو من بين أرقى هده الأنواع حتى انه وصلنا الى يومنا هدا بفضل تمسك الحرفين دلك الوقت بقواعد تصنيعه، فما زال يمارس في بعض المناطق في المغرب الأقصى وهدا التطور يظهر جليا في المنشئات المرينية بين القرنين 13م 14م [4].وتعتمد هذه الفكرة على الدّراسات التي أقيمت في المغرب الأقصى و الأندلس، وأنّ الزّليج المريني والأندلسي حظي بدراسات أثرية وفنية كثيرة، مثله مثل الفنون المعمارية التي كانت في تلك الفترات في منطقة المغرب الأقصى والاندلس اسبانيا ،ولربما قورن بين هده الانواع ،لكن الزليج الزياني لم يحض بدراسات

1 . Robert Brunschwig , la Berbérie Orientale sous les Hafsides ,Adrien –Maisonneuve ,1947,P:7 .

2. نجاة عروة ، المرجع السابق، ص: 140.

3 . Ayed Ben Amara , Op.cit,p 105.

4 . Alessandro Zucchiatti et d'autre, Etude PIXE de Zelliges et mortiers marocains du XXVe au XVIIIe Siècle , programme européen EU-ARTECH, Italie ,LES 19,20 et 23 octobre 2006 ,p :5 .

وأنظر أيضا :

Robert Brunschwig , ibid. ,P:7.

كثيرة وتتخلله فرغات في البحث العلمي لذا لا يمكننا الجزم بأنّ الزّليج المريني هو من أرقى انواع الزليج في القرنين 13م14م بدون مقارنته مع الزليج الزياني ، وهده المقارنة يجب أن تكون على حسب معايير ومقايس علمية.

الفصل الأول:

تلمسان عاصمة الدّولة الزّيانيّة.

- الإطار الجغرافي لمدينة تلمسان
- الإطار التاريخي لمدينة تلمسان
- أبرز المراحل والمحطات التاريخية لدولة بني عبد الواد
- مظاهر الحياة المختلفة لدولة بني زيان
- أهم العناصر السكانية الأجناسيّة المكونة للمجتمع الزّياني

1 . الإطار الجغرافي لمدينة تلمسان :

تقع ولاية تلمسان بأقصى الغرب الجزائري في الإقليم الشّمالي الغربي، يحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسط وولاية عين تموشنت، ومن الجنوب ولاية النعامة، ومن الشرق ولاية سيدي بلعباس ومن الغرب وجدة (المغرب الأقصى) تتربع على مساحة تقدر بحوالي **9020 كلم2**، أما فلكيا تقع على خط طول **3°38'** غرب خطّ غرينتش وبين خط عرض شمالا **34 ° 53'**، وداخليا تتكون من ثلاثة بلديات (بلدية تلمسان ، منصورة، شتوان) والتي تقدر مسحتها بـ **2000**هكتار[1]. وارتفاع المدينة فوق سطح البحر يبلغ**(830م^2)** وتبعد عنه حوالي (**60 ميلا**^{3})وتحيط بها جبال وهضاب صخرية ومرتفعات قرارة ولالة ستي وفلاوسن وسبع شيوخ وتاسلة[4]. ويبعد هذا الموقع عن الجزائر العاصمة بحوالي **443 كم**، وعن مدينة وهران عاصمة الإقليم الغربي بـ **110** كم، وعن مدينة عنّابة في أقصى الشّرق الجزائري بـ**905** كم ، أمّا أقرب مدينة لها من المملكة المغربية فهي مدينة وجدة المذكورة سالفا وتبعد بحوالي **57** كم.وهذا الارتفاع و الحصانة الطبيعية جعلت من تلمسان تحظى بموقع استراتيجي علم به منذ القدم.

أمّا تلمسان المدينة القديمة فيحدها من الجنوب هضبة لالة ستي ومن الشمال سهول المدينة مثل : سهل الحناية ودائرة شتوان، أما من الغرب فأطلال المدينة المنصورة المرينية ومن الشرق مرتفعات قرية العباد ،أما المدينة فلكيا فهي تقع على **1°28'** خط طول، **34° 53'** دائرة عرض.

إنّ هذا الموقع الذي اصطفته الطبيعة لتبرز جمالها لمن يهواها ويقيم في حضنها، وتقعد بسفح جبل يحفظها من

---

1 .Fouad GHomari,et d'autre ,la médina de Tlemcen l'héritage de l'histoire , Ministère de la culture, département des expositions ,Tlemcen de la culture capitale islamique , 2011,p: 3.

2 يتراوح ارتفاع تلمسان عن سطح البحر بين 800م الى 900م ، وهدا حسب المكان الذي اخد منه القياس . أنظر :

.zineeddineseffadj ,et d'autre, Architecture et histoire des sites et monuments de Tlemcen, , Ministère de la culture, département des expositions ,Tlemcen de la culture capitale islamique , 2011,p: 11 .

3. تبعد تلمسان عن البحر الأبيض المتوسط ب: 40كم بتحليق الطائر. أنظر : . Fouad GHomari,et d'autre, ibid,p 3

4. عبد العزيز الفلالي ، دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الاسلامي ، دار الهدى ،عين الميلة ، الجزائر ،سنة 2012م ، ص :165.

الجنوب عروس افوق منصة[1]"، هذه شهادة من طرف (**يحي ابن خلدون التونسي**[2])، مؤرخ البلاط الملكي الزياني التي تعطي فكرة على حصانة تلمسان وارتفاعها.وممّا قيل عن موضعها وما ينسب إلى لسان الدّين ابن الخطيب رحمة الله عليه تعالى في وصفها ما صورته : " تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ، ووضعت في موضع شريف كأنّها ملك على رأسه تاجه ،وحاوليه من الدّوحات حشمة وأعلاجه[3]"

بحكم التكوينات الجيولوجية تخزّنت كميات هائلة من المياه الجوفية ولهذا يتوفّر موقع تلمسان على مجموعة معتبرة من المسطحات المائية ، فضلا عن الأودية التي تمر بها وبأحوازها مثل وادي الوريط ووادي الصف صيف ووادي يسر[4]، ومن بين الإشارات التاريخية على أنهار المدينة لدينا " **محمود مقديش***[5] " في كتابه **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، الذّي يقول : " ...ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين، وهذا الوادي يمر بشرقي المدينة ، وعليه أرحاء كثير ، وما جورها من المزارع كلها تسقى منه [6] ..." هذا الوادي هو أمام واد متشكانة الذي يقع شرق المدينة القديمة أقادير التي هي اليوم حي أقادير. وفي حدود الجهة الغربية له يوجد تحصين أقادير القديم من الطابية، أو قد يكون واد الصّف صيف الذي هو أيضا يقع في شرق المدينة اللذان كان يأتيهما الماء من شلالات الوريط ، وبها نهر من بين أشهر الأنهار في المغرب الإسلامي، هو وادي ملوية الذّي يقع ما بين تلمسان ورباط تازا يصب في بحر الرومي و في القديم كان هذا النهر لا يقل مائه و لا ينقطع شتاء ولا صيفا[7]، فتلمسان كثيرة الماء والعيون ولا تزال إلى وقتنا الحالي تزخر بهذه النّعمة، فوادي الوريط المذكور أعلاه و شلالاته ممتلئة بمياه العذبة الصافية وهذا بعد شتاء ممطر ومثلج كالذي عرفت به المدينة قديما.

---

1. – يحي ابن خلدون . بغية الرواد في ذكرا لملوك من بني عبدالواد ج1 ،تحقيق : عبد الحميد حاجيات ،المكتبة الوطنية ،الجزائر، ،سنة 1980،ص:86.

2. أبي زكريا يحي ابن خلدون التونسي : ولد بتونس 733هـ /1333م وتوفي بتلمسان في رمضان 780هـ/ 1379م.أنظر :أبي زكريا يحي ابن خلدون التونسي ، مقتطف من كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،عناية وتقديم محمد بن احمد باغلي ، المجلد 2، الأصالة لنشر و التوزيع ، الجزائر العاصمة ،2011م، ص383:.

3. أ حمد بن محمد المقري التلمساني ، المصدر السابق ، المجلد السابع ، ص: 135.

4. عبد العزيز الفلالي ،المرجع السابق،ص: 165.

5هو محمود بن سعيد مقديش الفقيه المؤرخ المشارك في العلوم ، ولد بصفاقس في سنة 1154هـ /1742م التحق بجامع الزيتونة في تونس ثم انتقل إلى مصر ليلحق بالأزهر كان موجدا به سنة 1786م ،كان في أزهر ينسخ الكتب الثمينة ثم يأخذها إلى بلده صفاقس ويبيع دلك لعلماء المدينة ويترك محصول دلك لزوجته وأولاده ثم يرجع إلى أزهر لاستكمال قراءته ، وبعد تخرجه من الأزهر انتصب التدريس مجانا ببلده وافنا عمره في هدا. انظر : محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق : علي الزواري ومحمد محفوظ، المجلد الأول ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان ،سنة 1988م،ص:13.

6. محمود مقديش ، المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ص: 75.

7. محي الدين أبي محمد عبد الواحد ابن علي التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة بريل ، مدينة لبدن ، سنة 1881م، ص: 265.

فمناخ تلمسان مكتسب أيضا من طبيعة الموقع الذّي توجد فيه وهو مناخ خاصّ بها"، وإن كانت واقعة في إقليم ذي مناخ حار فانّ جوّها يبقى معتدلا حتى في فصل الصّيف لأن ريح السموم الآتية من الصحراء لا تؤثر فيه، إذ جبال الأطلس الواقعة جنوبها تقيها منه، اللهم إلا إذا كانت تلك الريح قوية جدّا فانّ الحرارة قد تشتد وتستمر عدّة أيام ثم تنخفض بمجرد سكون تلك الريح[1] "ومن جهة الشمال الحاجز الذي تمثله السلاسل الجبلية الساحلية لا يحول دون تسرب الرياح الرطبة و البّاردة والسحب التي تسريها تسقي السهل [2]. هذه الميزات الطبيعية لموقع الممتاز للمدينة جعلها تنشط بالتجارة الداخلية و الخارجية ، من المغرب و المشرق و أوربا وبلاد السودان لأنها تقع في مكان تقاطع الطريقين التجاريين الهامين في بلاد المغرب : الطريق الرابط بين الشرق و الغرب و المار على الشلف ثم تلمسان نحو فاس ، و طريق الرابط بين الشمال و الجنوب ، مرورا بمدينة فجيج و توات نحو سجل ماسة وبلاد السودان [3].

2. الإطار التاريخي لمدينة تلمسان:

ا – أصل التسمية: حملت المدينة عدّة تسميات سبقت التسمية المعروفة بها اليوم وكل واحدة منها لها مفاهيمها التي تعددت وقد يرها بعض الباحثين أنها تصب في وصف واحد للمدينة أو تتوافق وتتقارب في المعنى[4] ، حتى التسمية الأخيرة تلمسان لها عدة شروح ولفظت بعدّة طرق وذلك ورد في المصادر المتنوعة والمنتشرة في المكتبات ، ومن بين التسميات التي عرفت عن هذه المدينة لدينا **أقادير، وبوماريا و تقرارت** .

ما افادتنا به كتب التاريخ أن المنطقة كانت معروفة بتسمية أقدم ترجع إلى الوجود الرّوماني الذي أطلق عليها اسم "بومارية "، وهذه التسمية لا تشير إلى أن تأسيس المنطقة كان رومانيا[5]،و " بومارية" ليس الاسم الأول بل سبقها اسم بربري آخر لم تعرفه كتب التاريخ،أو ضاع في صفحاتها،لأن موقعها الطبيعي الجغرافي الاستراتيجي الفريد من شأنه أن يجعل منها أرض استقرار آهلة، فلا يمكن إذن أن تبقى بدون اسم ولعلّ التسمية الرومانية هي ترجمة لتسمية بربرية قديمة ، وتعني "بومارية " Pomariaمدينة التفاح والبساتين[6].

1. الحاج رمضان شاوش ، باقة السوسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، سنة 1995م ، ص37.
2. جورج مارسي ، مدن الفن الشهير ، ترجمة : سعيد دحماني،(Editions du tell)،البليدة الجزائر ،سنة2004م ، ص 7.
3. عبد العزيزا لفلالي،المرجع السابق ، ص 165.
4. المرجع نفسه،ص:169.
5. يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، منشورات وزارة الثقافة ،ا لجزائر، 1985 ،ص17.
6. يحي بوعزيز،المرجع نفسه ، ص:17.

لما استرجع البربر المنطقة، بعد سيطرة رومانية أطلقوا عليها بلغتهم اسم "أقادير" والتي تعني كلمة قلعة، ويرجّح "بارجيس"Barges " أنّ أصل الكلمة قد تكون من أصل فينيقي أو قرطاجي[1]، لكنّ الأمر لم يثبت ويبقى مجرّد فرضية، فما لاحظه هذا الأخير أن الكلمة وردت عند الكتّاب العرب بعدة أشكال، "فيحي ابن خلدون" كتبها على النّحو التّالي "أجادير" بالجيم في مجلده "تاريخ بنو عبد الواد"، وهناك من كتبها بالجيم بثلاثة نقاط، ووردت بلفظة "سان" يقصد بها اتنان للإشارة الى الغدير في قطعة من زجاج من طرف "عبد الله محمد بن عمر بن خميس"، حسب ما أشار إليه "يحي بن خلدون" في "بغية الرّواد"[2]، كما أوردها أخوه "عبد الرحمن" في كتابه "العبر" بالكاف "أكادير". لكن المتّفق عليه أن "لأقادير" عند الدّارسين العرب معنيين:" الجدار القديم، أو المدينة المحصّنة"، فالمعنى الأول يدلّ على أنّ "أقادير" مدينة عريقة في القدم وأزلية، أو المدينة الأزلية كما يسميها "الإدريسي"[3]، وفي هذا الصّدد نقرأ في كتاب "عبد الرحمن ابن خلدون" الحديث الذي يزعم بها "لتلمسانيون: " أنّ الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام في قوله تعالى:{ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**}[4] "، وهو بناحية "أقادير"، وابن خلدون لا يشكّك في صحّة تفسير القصّة القرآنية، ويحتجّ على هذه الادّعاءات التي لا يستطيع التّفوه بها إلا العامّة من النّاس، الذين يهمّهم الاعتزاز المحلي فقط، ولا يكترثون إلى التّدقيق في صحة الخبر ومرّد حكم ابن خلدون أن:"...موسى عليه السلام لم يفارق المشرق إلى المغرب[5]".

أمّا المعنى الثاني"لأقادير" فيعود إلى التّحصينات المتنوعة من الأسوار والأبراج المنيعة المتواجدة بها، وطبيعة إقليمها التي زادها تحصين الواد يمنا لجهة الشرقية، والجبال من الجهة الجنوبية، حيث لا يخاف سكانها من الاعتداءات أيام الفتن والاضطرابات[6].

1 -Labbé Barges, souvenirs d'un voyage a Tlemcen ,benjamin Duprat libraire de l'institut et de la bibliothèque impériale, paris,1859, p151.

2-Labbé Barges, ibid, p151.

3 جورج مارسي،مدن الفن الشهير ، المرجع السابق ،ص:12.

4 سورة الكهف،الآية رقم 82.

5 – عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربرو من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،الجزء 7،ص102. وأنظر كذلك :جورج مارسي، مدن الفن الشهير ، المرجع نفسه ، ،ص:7، وكذلك :يحي بوعزيز، المرجع السابق ، ص:16.

6 محمد بن عمرو الطّمار،تلمسان عبر العصور ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984 ،ص9- 10.

احتفظ الموقع باسم أقادير إلى أن دخله السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (472هـ / 1070م)، والذي اختطّ بغرب أقادير مدينة "تاقرارت"، والتي تعني "المحلة" أو "المعسكر المحصن[1]"، وقد نجدها تنطق بالكاف "تاكرارت"[2].

فيما يخص تلمسان فيرى أغلب الباحثين عند دراسة المفاهيم المتنوعة لها، أنها كلمة مركبة مهما كان شرحها والاحتمال الغالب أن الاسم هو من لغة "زناتة" سكان المنطق من البربر، فهناك تلمسان المتكونة من"تلم " وبمعنى التجمع و" الصحراء والتّل [3]، أي تلمسان المنطقة التي تجمع بين عنصرين طبيعيين الصّحراء والتّل، وهذا المعنى واللغة المستعملة في ذلك يتفق عليه كل من: الأخوين "عبد الرحمن" و"يحي ابن خلدون" وأيضا "لسان الدّين بن الخطيب"[4]، ويذكر المقرّي أنّه يقال لها "تلمسان "، بمعنى ذات الشأن وهي كلمة مركبة من "تلم "و"شأن "[5]، وهناك مفاهيم أخرى لاسم المدينة التي تتعلق بوفرة المياه، والعيون، والخضر، والأشجار، منها :كلمة " تلمست " وجمعها تلمسين، ولفظة تلمسين وجمعها تلمسان[6] ، ويحلّل بعض الباحثين اللفظ اللغوي للاسم ويعتقد به أنّهم اشتق من كلمة أمازيغيّة، هي تيليموس، أو تيليماسو تجمع على "تليمسان" أو "تلياسين"، بمعنى جيوب الماء أو العيون[7]. في الحقيقة لا يمكن الجزم بصحّة ايّ هذه المفاهيم، لأنّ كلّ الشروح المقدّمة قريبة من الحقيقة، وذلك لأنّها تصف المدينة بأوصاف حقيقية عرفت بها على مرّ التّاريخ، وكلّ الحجج المقدّمة هي حجج قوية لا يمكن الفصل فيها إلاّ بعد دراسة معمّقة، وبتقديم براهين مادّية، لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أنّه قد ذكر اسم تلمسان عند بعض المؤلفين العرب قبل العهد المرابطي، أي قبل إنشاء المحلة "تقرارت"، ومن هؤلاء لدينا "البكري"، و"اليعقوبي" هذا الأخير الذي عاش في القرن الثالث الهجري (بداية التاسع الميلاد)، وفي هذا يرى بعض الباحثين أنّ"أغلب الظّن أن هذا الاسم كان متداولا إلى جانب الاسمين الآن في الذكر: أقادير وتاقرارت. وما

1. سيدي محمد نقادي ،الخِطّة العمرانية بتلمسان ودلالتها الاجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، باشراف الدكتور :عبد الحميد حاجيات، 2002م ، ص: 19.

2. عبد العزيز الفلالي ،المرجع السابق ،ص: 169.

3. الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، أطروحة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الاسلامي،تحت اشراف : الدكتور عبد الحميد حاجيات، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2004م2005م، ص : 21. وأنظر :محمد بن عمرو الطّمار،المرجع السابق ،ص:9.

4. سيد ي محمد نقادي، المرجع نفسه ،ص:19.

5. عمر و الطّمار ،المرجع السابق ،ص:9. وأنظر : سيد ي محمد نقادي،المرجع نفسه ،ص:20.

6. عبد العزيز الفلالي ،المرجع نفسه ،ص: 169.

7. سيد ي محمد نقادي،المرجع نفسه ،ص:20.

دامت الأسماء المستعملة هي زناتية الأصل، ربما كان يقصد بها أماكن معيّنة من المساحة الكلّية الخاصّة بالمدينة. ولم يغلب اسم "تلمسان" منافسيها لا في الفترة العبودية [1]".

وفي الأخير مهما يكن استعمال الأسماء المتنوعة لهده المدينة الا أن اغلب المفاهيم لهذه الأسماء تصب في معنى لا يخرج من دائرة وصف الطبيعة الموقع من خضرة و وفرة المياه .

ب- **المراحل التاريخية الكبرى لمدينة تلمسان :**

- فترة ما قبل التاريخ في تلمسان:تملك الجزائر عدة حواضر متنوعة لفترات ما قبل التاريخ منها المعروفة و المشورة والتي حضت بدراسات الباحثين واهتمامهم ومنها التي يبقى البحث فيها ناقصا أو منعدما تماما، وهدا مرده لعدة أسباب، ولعل السبب الذي يأتي في الصدارة هو اهتمام البحثين بفترات القديمة والإسلامية أكثر من فترة ما قبل التاريخ . من بين الحضارات التي وجدت في الجزائر لفترات ما قبل التاريخ لدينا : الحضارة الايبيروموريسية ، والعاترية و القفصية و الاشولية المنتشرة في مواقع مختلفة من الوطن الجزائر فمن الشرق إلى الغرب مثلا : مواقع بنوارة بقالمة ،عين الحنش و مشتي العربي بنواحي سطيف ، وزيامة وتازا بجيجل ، وتغنيف بنواحي معسكر [2]،كما تحوي تلمسان ونواحيها على عدد كبير من المواقع ما قبل التاريخ تبقى الدراسة وبحث فيها شبه منعدم ،وهذه المواقع ذات أهمية عظمى لتلمسان إذ أن هذه المواقع، ومكتشفتها تبرهن على مقولة بعض المؤرّخين أنّ مدينة تلمسان أزليّة في القدم، وأنّ المدينة لا تحوي على الموروث الثقافي الأثري الإسلامي فقط، بل تملك أيضا الموروث الأثري الكبير لفترات ما قبل التاريخ ومن هذه المواقع : "بحيرة كرار" بالقرب من الرمشي ومغارات المويلح، وموقع اوزيدان بقرب من تلمسان المدينة[3] .

وأغلب هذه المواقع اكتشف في الفترة الاستعمارية الفرنسية للجزائر، فمثلا في الإقليم الوهراني اكتشفت عدّة مواقع ما قبل التاريخ نتيجة مسوح أثرية، أو جيولوجية، أو حفريات، وأكثر الاكتشافات وجدت في "تلمسان" مثل:موقع "**بحيرة كرار**" الذّي اكتشف سنة **1894م** من قبل فريق بحث جيولوجيّ، ويبعد عن مدينة "تلمسان" بحوالي **30 كم** من الجهة الشماليّة لها ويبعد عن الرمشي بحولي **2 كم**، يعود هذا الموقع لفترة الأشولية (مابين **300.000** سنة حتى **1,3** مليون سنة)[4] او

1. سيد ي محمد نقادي،المرجع السابق ،ص:20.

2. عبد العزيز لعرج، تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية، مجلة الوعي تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية ،دار الوعي، العدد المزدوج (43) أفريل . ماي 2011م، ص:23.

3. المرجع نفسه ،ص:23.

4zine eddine seffadj ,et d'autre, Op.cit,p :13-16.

او فترة العصر الباليولتي الأسفل[1] وموقع كما يدل اسمه موجود قرب مسطح ماء. ويحوي متحف زبانة بوهران عدة أدوات حجرية لهدا الموقع من فأوس يدوية ذات الوجهين وشظايا ومكاشط .وأثريت هذه المجموعة ببعض الأدوات الحجرية والبقايا حيوانية التي اكتشفت في حفريات **1899**م ، هي متمثل في عظام فيلة ودببة ، أما الأدوات فهي من أنواع الفؤوس اليدوية المصنوعة من الكوارتز والصوان ،بالإضافة إلى شظايا حادة أو نصف مستديرة [2] والموقع الآن هو موجود قرب قرية وهو عبارة عن مساحة ترمى فيها ردوم وبقايا مواد بناء سكان المنطقة ، وهدا الموقع في حاجة إلى الدراسة الجدية والعناية .قرب مدينة تلمسان من الجهة الجنوبية لها اكتشفت سنة **1875**م مجموعة من الأدوات الحجرية في مغارات **بودغن** وهي عبارة عن فؤوس يدوية مصقولة[3] ،هده المغارات لا يظهر منها إلا القليل لأن بناء الفوضوي غمرها وما بقي مرأيا ويمكن استطلاعه التي وجدت في الجهة الغربية لبودغن أو المنحدر الذي يحد الهضبة لالة ستي .وفي **1941**م اكتشف أداة حجرية لصقل (**polissoire**) تعود للفترة نيوليتيك وكان هدا في حدود الجهة الشمالية الغربية للمدينة القديمة في موقع باب القرمادين[4] ،والمنطق معروفة بصناعة الفخار و القرميد في الفترات الإسلامية وحتى إلى يومنا هدا الحي الذي يعلوا باب القرمدين من الجهة الجنوبية الشرقية يسمى الفخارين. وخلال سنة **1975**م نظمت عملية مسح أثري من طرف مختصين في ما قبل التاريخ من الروس ، جاء على اثرها اكتشاف أدوات حجرية مختلفة في حدود هضبت لالة ستي جنوب المدينة نقلت إلى متحف تلمسان[5]، وهذا الاكتشاف ليس بالأوّل في هذه المنطقة إذ كان معلوما أنّ هناك استقرار في مغارة القلعة التي تقع هي أخرى في حدود الشمالية لهضبة لالة ستي[6]، لكنّه لا يمكننا أن نستطلعها إلا بعد مشقة كبيرة، لأنها حجبت بالبناء الفوضوي من جهة، و المرخّص من أخرى وذلك لعدم معرفة قيمة هذه المواقع الأثرية .في نفس السنة **1975**م قرب موقع منصورة اكتشف فأس يدوي مصقول ومجموعة من الصوان (**silex**)[7]،ومن بين أشهر المواقع لفترة ما قبل تاريخ لتلمسان لدينا موقع وزيدان الذي اكتشف سنة **1874**م وهو متواجد في الشمال الشرقي من تلمسان على الضفة الغربية لوادي الصّف صيف[8]، بقرب من عيون الدافئة **لتحماميت** التي لا يزال سكان المنطقة يستحمون ويسبحون فيها وذلك منذ عهود قديمة، وسكان المنطقة (عين الحوت و وزيدان) يسمون موقع المغارة "**غيران الريح**" ،وهي مستعملة الآن

1. محمد الصغير غانم ، مواقع وحضرات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، عين الميلة – الجزائر ، سنة 2003م، ص: 24.
2. المرجع نفسه، ص: 24.

3zine eddine seffadj ,Op.cit,p :23

4zine eddine seffadj ,ibid,p :23.

5 . ibid,p :13.

6Fouad GHomari, ,et d'autre, Op.cit, 2011,p : 6 .

7zine eddine seffadj ,et d'autre, ibid,p :13.

8. محمد الصغير غانم ،المرجع نفسه،ص: 24.

كإسطبلات مؤقت لرعاة الغنم من سكان قرية عين الحوت، وهذه المغارات منتشرة وموجودة على هضبة تعلوا الوادي و تهيأ لنا عند معاينة الموقع أن كان بمقربة الموقع من الجهة الغربية له بحيرة أو مستنقع، وهو ألان مجموعة من الأراضي الزراعية لمختلف الملاك قرية عين الحوت، فالموقع يتوسط أراضٍ وحدائقَ، ولقد عاينّا أيضا مجموعة كبيرة من الشّقف الفخارية، وهذا الموقع و"**عيون تاحماميت**" وجب إدخالها في قائمة التّصنيف ليتم حمايته، لأنّ الموقع لم يخرب بعد ومازالت ملامحه ظاهرة، وذلك لأنه بعيد عن النّسيج العمراني.قرب مدينة **مغنية** التي تقع في أقصى الغرب الجزائر يوجد موقع المويلح التي كانت فيه الحضارة الموريسية المغربية التي تقارن بالإنسان النندرتالي في أوربا والذي اكتشف سنة **1899**م وأقيمت فيه حفريات **1907** حتى **1910**م [1] ومخابئ ومغارات هذا الموقع نرها بوضوح قرب "**حمام الشيقر** "الذي يتواجد بمقربة مدينة مغنية.

فيما يخصّ التّزيينات الجدارية من رسوم، ونقوش صخرية لفترة ما قبل التاريخ لتلمسان فإنّ منطقة لم تحض بمجموعة كبيرة، فكانت توجد مجموعة من النقوش الجدارية في موقع مرسى بالمهدي الشاطئ الحدودي مع المغرب الأقصى، وكانت عبارة عن نقوش ترمز لنشاطات الإنسان في المنطقة، ولقد عاينّاها قبل أن تخرب، وذلك بعد بناء الميناء الجديد لمرسى بن مهيدي، فللأسف هذه النّقوش التي شاهدناها اندثرت، ولا نحمل أيّة صورة فوتوغرافية لها، وهي غير معروفة لدى الكثير من الباحثين، أمّا الرّسوم الجدارية في تلمسان فإنّ سكان عين الحوت خاصّة شيوخها،كهولها يتكلمون عن مغارت في الجهة الجنوبية للقرية تحوي رسومات جدارية كثيرة، وهذه المغارة هي الأن مغلقة بالأتربة والرّدوم وهي بقرب الطريق مؤدي لبلدية شتوان .وهدا فان منطقة تلمسان تحوي على عدد معتبر من المواقع ما قبل التاريخ المعروفة والغير المعروفة التي هي الآن في حاجة إلى الحماية و الدراسة .

-فترة تلمسان القديمة :كان موقعها محطّ استقرار و توافد عدة أقوام من فينيقين و رومان وبيزنطيين ،و شاركت في جميع الحوادث السياسية و التاريخية للمنطقة فقد شغلت في فترة من الفترات وظيفة مستوطنة فينقيه ، وتطورت تدريجيا لتتحول في العهد الروماني إلى مدينة صغيرة[2] وهدا هو أول ما سجله التاريخ من استقرار ثابت وظاهر، غير أن ليس لهذا الأخير الفضل في التأسيس كما أسلفنا، وقد أوضحت لنا القبور الباقية وشواهدها المكتوبة باللاتينية مراحل تطور و انحطاط هذه الفترة، ومرحلة انتقال المنطقة من الاعتقاد الوثنيو الأسطوري إلى الديانة المسيحية (أو لشاهد المنطقة أرّخ لسنة **417م**)[3]،وكما سبق سبق الذّكر عرفت المنطقة آنذاك باسم بوماريةالتي كانت مدينة عسكرية يقطنها الفرسان الاستطلاعيين البوماريين، مثلما

1. zine eddine seffadj ,et d’autre, Op.cit,p :14.

2. عبد العزيز لعرج، تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية ، المرجع السابق ، ص:23.

3. جو رج مارسي، مدن الفن الشهير، المرجع السابق ، ص:8.

كان معروفا في أنحاء مستعمرات الإمبراطورية الرومانية مثل ‹جرمانيا Germanie›وعلى نهر ‹الدانوب Danube› وبريطانيا Bretagneالتي كانت وظائفها مراقبة الأهالي الضعيفة، وحماية الطرقات، ومقاومة هجوم المتمردين، لذا كان يتوجب التجهيز والتحصين بالأبراج الشامخة، فكان هذا هو الحالفي بوماريةالتي كانت حامية، ومركز ملتقى الطرق العسكرية (كانت المدينة مربوطة بمسلكين أحدهما (ألبولي) Albulaeعين تموشنت يفضي إلى مينائين ‹بورتسديفني Portus Divni›وهران ومرسى الكبير المستقبلين، ويلتحق الثاني "بسيغا-"Siga""عاصمة الملك "سيفاكس"- ويحادي الحدّ الجنوبي للأرض الخاضعة مسلك آخر شرقي غربي مار ببوماريا)والمدينة أين كانت تقيم مصلحة المخابرات هذا كله في القرن الثالث من تاريخنا، وبقيت بومارية تنشط بنشاطها المعروف به حتى القرن الخامس والسادس لكن المسيطر كان مسيحيا بيزنطيا، هذا ما تبين عن طريق شواهد القبور الباقية[1].

وما يجب ذكره في صدد بحثنا، أن بومارية وشمال افريقيا شهدت اضطرابات كبيرة، كان سببها الرئيسي الغزو الوندالي للمنطقة، حيث تذكر كتب التاريخ أن ثمانين ألف وندالي أتو من اسبانيا التي كانوا يحكموها وأرسلوا على ساحل المغرب الأقصى عام 429 م[2]،والقطاع الوهراني، ويذكر لنا مرور إحدى المجموعات الوندالية ‹بألطاقا Altava›)لاموريسيير) Lamoricière(أولاد ميمون حاليا) على مسافة ثلاثين كيلومترا من بومارية، تاركين سيلا من الأطلال المهدّمة والخراب، ومن المفترض أن إقليم بومارية لم ينج من هذا الغزو البشري لكن المدينة لم تدمّر[3]، ويرجح إلى ّأنّ سبب النجاة هو التحصين الروماني القويّ التي عُرفت بها المدينة، وقد رأى الإمبراطور البيزنطي إنقاذ المستعمرات الشرقية الباقية فأمر الفرسان البوماريين بالالتحاق بالعساكر البيزنطيين تاركين بذلك بومارية، وهكذا تمتّع السكان بنوع من الحرية النّاقصة حتى ذهب الخطر البيزنطي والوندالي معا، ثمَّ عاود الرّوم احتلال أقطاره لكن لم ينل هذا الاحتلال من ناحية تلمسان، وهذا راجع ربما دائما إلى تحصينها المنيع[4]،وبعد زوال خطر البيزنطين المؤقت، حصل مزج بين بصمات الثقافة اللاتينية والبربرية ،وبهذا حافظ السّكان البربرعلى الديانة المسيحية وهذا ظاهر بشواهد القبور المسيحية التي احتفظت بها بوماريا حتى إلى سنة 651م[5].تطرقنا لشواهد القبور لأنها هي أكثر الشواهد المادية التي وجدت في الموقع لفترة القديمة، أقيمت على هدا الموقع

1. جورج مارسي،مدن الفن الشهير ، المرجع السابق ، ص:9.
2يحي بو عزيز ،الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الاول : الجزائر القديمة والوسيطة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2007م،ص: 63.
3. جورج مارسي، مدن الفن الشهير، المرجع نفسه ، ص 7، وكذلك:يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع السابق ، ص: 10.
4. جورج مارسي، مدن الفن الشهير ،المرجع نفسه ، ص:7.
5. نفسه، ص:11.

المدينة الرومانية عدة حفريات منها التي قام بها "**ألفراد بال**"في سنة 1910م[1] في الفترة الفرنسية ، ثم البعة الاثرية الجزائرية التي قدها الباحثين "**عبد الرحمن خليفة**" و"**دحماني**"التي دامت عدة سنوات (1970م /1973م – 1974م)[2]،وأخيرا حفريات المشتركة 2009م بين جامعة تلمسان، وجامعة السّربون فرنسا، وممثلين لمديريّة الثقافة والتي شركنا فيها ،وكل هده الحفريات أدلت بنتائج الأثرية جيّدة، واكتشفت عدة هياكل ومواد أثرية من الفترة الرومانية الى الفترة الاسلامية ،وفيما يخص التبليط وتلبيس الجدارية فهي من الأنواع التبليط بالأجر أو الحجارة الرملية والتلبيس اكتشفت مجموعة من القطع الجصية ذات زخارف نباتية أغلب الظنّ أنّها تعود لفترة الأدارسة. وما نريد أن نشير إليه أنّه لا وجود لتلبيس وتبليط بالفسيفساء الرّومانية، والبيزنطيّة في الموقع في الفترة القديمة لتلمسان وحتى الزّليج في الفترة الاسلامية لم يكن قد ظهر في هذه المرحلة، ولم يوجد تبليط خزفيّ يماثله، أو قد يكون مقتبسا منه.

–فترة الفتوحات الإسلامية:تم فتح تونس من طرف الفاتح عقبة بن نافع وساعده في ذلك بعض القبائل البربرية التي اعتنقت الإسلام وظل الفاتح طوال خمسة أعوام يقوي مركزه الحربي، حتى أخذت الوشايات تظهر ضده في بلاط الخلافة في دمشق، وكان في مقدمّتهم مسلمة بن مخلد الأنصاري الذي ولاّه أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان على مصر، ثم ضمّت افريقيا الى مصر بتنصيب دينار أبو المهاجر مشرفا عليها وعز لعقبة منها سنة تأسيس القيروان في(55هـ 670 م)، وقد تخوف البربر من العرب المسلمين أن يستقروا بالمغرب بتشييدهم القيروان، بالإضافة الى إسلام عدد منهم، فحرض رؤساء القبائل البربر لمقاومة هذا الوافد الجديد، مثل سيد قبيلة أوربة كسيلة بن لمزم الذي جمع قبائل البربر بهد فطرد العرب من البلاد، وضرب بحشوده في نواحي تلمسان فقصده أبو المهاجر على رأس جيش يتكون من العرب وممن أسلم من البربر[3]،وفي طريقه فتح مدنا وقرى حتى انتهى إلى عين تسمى الآن باسمه (عين مهاجر أو عين موجر)التي ذكرها ابن الرقيق[4]،وهي بأعلى الجبل المطل على تلمسان حيث كان كسيلة معسكرا بجيشه ،فالتقى الجمعان هناك ودارت معركة حامية وكانت النتيجة انتصار جيش المسلمين، ثم استطاع أبو المهاجر بفضل كياسته وبعد تدبيره السّياسي، أن يكسب محبة عدوه كسيلة، فاعتنق الإسلام وتبعه في ذلك كثير من قومه، وبهذا زادت قوة المسلمين وتيسر لهما لقضاء على المقاومة البربرية الباقية[5].

1Agnès Charpentier,et d'autres,découvrir Tlemcen, «stage archéologues de la cité» organisé en coopération avec Urmed Sorbonne-UVSQ à l'Université Abu BakrBelkaïd en juin et juillet 2010,p9.
2S.Dahmani- A.Khelifa, les Fouilles d'agadir rapport prelimhnare 1973-1974,Bulletin D'Archéologie Algérienne ,TOME VI 1975-1976, société National d'édition et diffusion ,Alger,1980,p : 243.
3. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع السّابق، ص13.14.
4. عبدالرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، المصدر السابق ، الجزء 7،ص:102.
5. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع نفسه ،ص:15.

ولما توفّي معاوية بن أبي سفيان في منتصف رجب سنة (60هـ 675م)، وأفضت الخلافة من بعده إلى ابنه يزيد الذي كان يميل إلى عقبة لحسن بلاءه في فتح أفريقية، ففصل ولاية إفريقيا عن ولاية مصر ،وعزل أبا المهاجر دينار في سنة(62 هـ677م)،وعين عقبة مكانه، وعندما نزل عقبة إلى تلمسان استعداد المقاومة الرّوم، وتحالف معه سكانها المسلمون من الروم والبربر وخرجوا في جيش ضخم وهجموا هجوما عنيفا على الروم جعلوهم يلتجئون إلى حصونهم وقاتلوهم حتى تم النصر فكانت الغنائم كثيرة، وتواصل فتح عقبة في المغرب حتى طنجة، وكان عقبة مصطحبا معه كسيلة في حملاته إلى المغرب، إلا أن كسيلة عزم على الفرار بعد حادثة كان فيها كسيلة عاصياً أمرا من عقبة المتمثل في ذبح شاة بين يديه، فانسحب البربري مع قومه ليتمكن بعد ذلك من تكوين جيش ضخم من البربر، وتحالف مع الروم لمقاتلة المسلمين، وحدثت مواجهات كان الطرف البربري المتمرد منتصرا فيها، حتى وصل الأمر إلى انتشار موت عقبة، ثم هوجمت القيروان، ولحق بالمسلمين في هذه الفترة بأس شديد جراء عدم دراية عقبة بنفسية البربر ونقضه ومخالفة سياسة أبي المهاجر الناجحة المتبعة مع البربر، لكن المسلمين واصلوا الجهاد حتى قضى زهير بن قيس، وحسان بن النعمان، وموسى بن نصير على كل من وقف في طريقهم مثل كسيلة والكاهنة وزعماء آخرين ،حتى صارت بلاد المغرب منطقة عربيّة مسلمة[1].

وبعد هذه الفترات الأولى للإسلام ظهرت فتن عديدة وتغيّرات كبيرة، كان فيها الطّرف البربري المحرّك الأساسي فيها، ومن أسبابها التّمرد على تعسف بعض الولاة، وعدم متانة عقيدة بعض القبائل البربرية ،ممّا جعلها توالي بعض رؤوس الخوارج المعادية للأمويين والعباسيين[2] .

-أمّا في الفترة العباسية فلم يستقر الوضع بل زادت الفتنة رواجا وذلك بظهور الإباضية والصفرية مثل قبائل يفرن ومغيلة من المذهب الصفري، التيّ كان يرأسها أبو قرة بن دوناس اليفرني الصّفري المذكور من طرف الطبري، والذي اتخذ أقاديرقاعدة له في المغرب الأوسط ولم يتمكّن منها لولاة العباسيّن في إفريقيا إلاّ بعد صراع طويل وبعد إضعاف شوكة القبائل المتّحدة معه[3].

في منتصف سنة (173هـ789م) خرج إدريس بن عبد الله بن الحسن لفتح مدينة أقادير ومحاربة من بها من مغراوة وبني يفرن من الخوارج، لكن لم تحدث مواجهة بل بويع نظراً لشرفه و قربه من الرّسول،ومكث فيها خلال سبعة أشهر وبايعته

1. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع السابق ،ص:17.18.
2. المرجع نفسه ،ص:20.
3. نفسه ،ص:23.

القبائل المجاورة وأمر ببناء مسجد جامع في سنة(174هـ790م) [1]،ثم عاد إلى قاعدته وليلي الواقعة بزرهون وترك ابن علاء واليا على أقادير، وبعد أن زاد التحام القبائل المختلفة بإدريس تخوف العباسيون من ذلك فدبّروا لاغتياله ونجحوا سنة(177هـ 793م)[2]، ثمّ تغيرت الأوضاع وانقلبت كما هي العادة " بأقادير" بعد عهد إدريس إلا أن ابنه ادريس الثاني أخمد ثورات قبائل الهائجة بعد ما بويع في الحادي عشر من عمره في مسجد وليلي، ثم أصلح أسوار ،ثم ظل ّإدريس مقيما بأقادير ثلاث سنوات، طهر خلالها المغرب الأوسط من الخوارج وبسط نفوذه حتى الشلف، فلم يرض العباسيون بهذا الحال ولكن لم يتعرضوا له بل اتبعوا سياسة الصلح[3] .وبعده وضع ادريس الثاني ابن عمه محمد بن سليمان حاكم اعلى المغرب الأوسط وكان مركزه في عين الحوت من ضواحي أقادير وبعد وفاته تقسم نطاق المغرب الأوسط إلى إمارات، أما باقي ضواحي البلد فكانت بين أيدي قبائل زناتة وكونت دولة شيعية برئاسة محمد بن خزر.

بقي الأمر على حاله حتى قدوم المرابطين بزعامة يوسف بن تاشفين الذي عزم القضاء على مغراوة أينما كانوا، فأرسل قائده مزدالي في نحو عشرين ألف مقاتل إلى نواحي تلمسان سنة(472هـ 1089م) بدون أن يستولي على المدينة، لكن لم تمض سنة واحدة حتى قام يوسف بن تاشفين بغزو المغرب الأوسط واستولى على أقادير وقضى على من كان بها من بني خزر واختطّ بجنبها مدينة تاقرارت[4]، وبنوا في حضن المدينة الجديدة المسجد الجامع و بجواره القصر البالي أو القصر القديم ليسكنوا فيه [5]، وكانت في بداية الأمر هذه ((المحلة)) مفصولة بسور عن أقادير، ثم بعد مدة من الزمن أزيل هذا السور، وضمت تاقرارت إلى أقادير، وتكونت منها مدينة واحدة هي مدينة تلمسان الحالية، وأصبحت أسوار أقادير ترمّم مع أسوار تاقرارت من طرف مختلف الوافدين على تلمسان، ومن بينهم الموحّدين والزّيانيين [6] الدين استقروا بها وبنو بنايات من قصورا ومساجدا ومدارس وزينوها بمختلف الحلل المختلفة وجاء في صدارة هده الحلل الزليج الدي اشتهر في بلاد المغرب الاسلامي والأندلس مند نهاية القرن12م حتى القرن 13م و14م .

دولة الموحدين في تلمسان : عندما تغلب الموحدون على المغرب الأقصى ، بزعامة القائد الندرومي "**عبد المؤمن بن علي** "(524هـ 558هـ / 1130م . 1163م) توجه نحو مسقط رأسه بالمغرب الأوسط ودخلها منتصرا سنة 540هـ /

1. عبدالرحمن بن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر ، المصدر السابق ، الجزء 7،ص:102.
2. المصدر نفسه ، الجزء4، ص:17.
3. يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع السابق ،ص:18.19.
4. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع السابق ص:25.42.
5. شارل بروسلار ،كتابات شواهد قبور سلاطين و أمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان ، عربه وقدمه :الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، سنة 2011م ،ص:67.68. وأنظر :عبد العزيز الفلالي ،المرجع السابق ص:175.
6. يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، المرجع نفسه ،ص:20.

1145م و هدا بعد حصار محكم للمدينة ، لكن لم يكن هذا الدخول سلميا بل قتل الكثير من أهلها وخرب بعض من عمرانها ، ثم تراجع عن ذلك وشجع الناس على الترميم والبناء والتعمير[1] وهدا ما عرف عن ولاة الموحدين في تلمسان من حب في التحصين والتعمير، وبعدها تطور هدا، الى حب التزويق والتنميق بعدما كنوا في الأول معادين لأنواع الفنون التزويق حتى أصبحوا من أنصاري الزخرفة والتزويق بالألوان والزينة المختلفة [2]من بين هذه الزينة تطور التبليط والكسوة الخزفية في أرجاء المعمورة هده الدولة الواسعة كما استعملوا البريق المعدني في الكسوات الخزفية وحتى العمارة العسكرية ومداخلها و أبراجها و أحسن مثال عن هذا : استخدام الخزف المبرنقة أو المزجج في الزخرفة خارجية في برج الذهب بإشبيليه (617هـ /1220م 1221م) وهو أول نموذج عرف في الأندلس[3] الذي يرى فيه بعض الباحثين أنه من أسلاف الزليج ،ولربما وصل هذا النوع من التزويق الى تلمسان أيضا لأن ولاة الموحدين خلال حكمهم لتلمسان ، اشتدوا في تحصينها واعتنوا بتنمية عمرانها فاتخذوا الصروح والقصور ومنازل[4]لكن ما هو معروف أنه ليس في تلمسان شواهد مادية كافية تبرهن عن وصول ووجود هذه المواد التزينية في هذه الفترة من تاريخها ، أما في مناطق أخرى من نطاق الدولة مازلت المباني القائمة منها شاهدة وناطقة بدوق الموحدين في هذه الزخرفة ،التي تجمع بين رقة الأندلس وفخامة المشرق[5].

وفي أواخر أيام الدولة الموحدية كانت هذه المنازل و القصور المزوقة محل تجمع ولاتها وترف فيها بعيدا عن شغل ومشاكل الأمة وهذا ما أدى الى ضعف هذه الدولة وفي هذا الصدد يخبرنا ابن أبي زرع ويقول :" ...في هذه المدة ضعفت دولة الموحدين ....وضيعوا حرمتهم ،واهملوا رعيتهم ، واعتكفوا في قصورهم واحتجبوا عن مهمات أمورهم ، واشتغلوا بالخمور والغواني، وتلذذوا باللهو وسماع الأغاني[6] ...."زد على أسباب كثيرة وعديدة ساهمت في تفكيك هذه الدولة التي ذكرت في العديد من المصادر والكتب التاريخ ولعل الحدث الدي يتصدر هذه الأسباب هي "**معركة العقاب**[7]"، والتي تعتبر من أهم العوامل التي أدت الى تصدع الصرح الذي شيده عبد المؤمن بن علي ومن ورثه من كبار أمراء هده الدولة[8]ومن تم التفرق وسقوط والانحطاط هذه الدولة التي جمعت المغرب الاسلامي و الأندلس تحث راية واحدة. "لكن مهما يكن من الأمر فان

1. عبد العزيز الفلالي ،المرجع السابق ،ص: 177.
2. محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، دار توبقال للنشر ،دار البيضاء ، المغرب ، سنة 1989م ،ص: 178.
3. ج.س. كولان ،الأندلس ،المرجع السابق ،ص: 171.
4. عبد العزيز الفلالي، المرجع نفسه ،ص: 177.
5. محمد المنوني، المرجع نفسه ،ص: 178.
6. ابن أبي زرع الفاسي،المصدر السابق ،ص: 288.
7. ***معركة العقاب** : مشهورة عند الاسبان باسم « las navas detolosa » الذي تعني الوديان الفسيحة ،كونها وقعت في احدى الوديان .
8. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني حياته و اثاره ، طبعة بن مرابط ، تلمسان ، الجزائر ، سنة 2011م ، ص : 13. و أنظر: الأخضر عبدلي ،المرجع السابق ، ص : 28.

مدينة تلمسان قد استفادت من الحكم الموحدين الذين هيأوا لها المناخ لكي تتبوأ مركزا هاما ، ومكانة معتبرة اقتصاديا و سياسيا وثقافيا وعمرانيا ، في المغرب الأوسط ، الا أن شهرتها وتطورها وازدهارها في مختلف مجالات الحياة ، ارتبط ارتبطا عضويا بالأسرة الزيانية العبد الوادية ، التي خلفت الموحدين في حكمها سنة 633هـ/ 1235م[1]".

ج. لمحة تاريخية عن دولة بني عبد الواد (1236م/1554م):

أصل بني عبد الواد : كانوا من القبائل الرّحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط ينتجعون المراعي الخصبة بمواشيهم[2]، كما أنّهم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة الكبيرة، كانوا قد استقرّوا بالمنطقة الغربية للجزائر، حيث يمتدّ مواطنهم من تاهرت الى نهر ملوية[3]، وهم من ولد باديس بن محمد[4]، ولهم أيضا جدّهم زيان كان معروفا بتعبّده بعيدا عن مفاتن الدنيا الدنيا قرب وادي الشلف[5]، ويرتبط المرينيون معهم بالمصاهرة وهناك من حاول ربطهم بنسب الأدارسة وينفي نسبهم البربري ،لكن نفي هذا القول من طرف ابن خلدون وحتى من طرف السلطان ياغمراسن[6] لعب قبيلة بني عبد الواد وبطونها العديدة أدوارا مهمة في عهد الموحدين فقد كانوا مخلصين لهم فمنحوا ضواحي بلاد المغرب الأوسط واستقروا فيها ،أعتبروا حماة لنفود الموحدين في بلاد المغرب الى أن انفصلوا عنهم[7]وكانت هذه الدولة في بداية عهدها يطلق عليها دولة "بني عبد الواد" ، ثم تولى أمرها أبو حموا موسى الثاني عام 1359م الذي أحياها من جديد وأطلق عليها اسم "الدولة الزيانية"[8].

مقدمات نشأة دولة بني عبد الواد :ترتبت عن ضعف الدولة الموحدية عدة أحداث ولعل أهمها، ظهور الدول الثلاث في نفس الوقت في المغرب الاسلامي التي سوف تكتب التاريخ المغرب الاسلامي وتترك فيه بصمات يبقى التأثير بها فعالا الى يومنا هذا في جميع الميادين ، ففي تونس ظهرت الامارة الحفصية بزعامة (بني حفص[9]) و بزعامة أيضا (بني مرين[10]) ظهرت

1. عبد العزيز الفلالي، المرجع السّابق، ص: 177.
2. الأخضر عبدلي ،المرجع السابق ، ص: 29.
3. صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ الى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم لنشر و التوزيع ، عنابة ، الجزائر، 2005م، ص: 96.
4. يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، المرجع السابق ،ص :221.
5. صالح فركوس، المرجع نفسه، ص: 96.
6. يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، المرجع نفسه ، ص :221.
7. الأخضر عبدلي ،المرجع نفسه ،ص: 30 32.
8. يحي بو عزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع نفسه ، ص : 220.
9. بنو حفص : ينتسبون الى أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي أحد العشرة من أصحاب بن تومرت المخلصين لحركته ،كانت له مكانة سامية في الدولة الموحدية وكذا وكذا أبناءه من بعده ، ويعتبر أبوا زكريا الحفصي المؤسس الفعلي لدولة الحفصين بتونس .أنظر: الأخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص: 29.
10. بنو مرين : هم فخد من طبقة الثانية من قبائل زناتة البربرية المشهورة ، ينتسبون الى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن حديج بن فاتن بن يدرين يفخت بن عبد الله بن ورتانيص بن معز بن ابراهيم بن ساحيك بن بن واسين اخوة بنوا يلمي ومديونة. أنظر : الأخضر العبدلي، المرجع نفسه ، ص: 29.

الامارة المرينية في المغرب الأقصى وفي المغرب الأوسط امارة بنوا عبد الواد أو الدولة الزيانية التي جعلوا من تلمسان عاصمة لهم [1] كما لم يستول بنو عبد الواد على تلمسان الا بعد مجموعة اضطرابات حدثت بها زد الى ثورت أحد رجال لمتون المستخدمين انداك في الجند ،على الوالي وتم هذا الأخير باعتقاله ، فكانت هذه فرصة لدخول بني عبد الواد لتلمسان سنة (627 هـ)[2] بزعامة جابر بن يوسف الذي نجى من مكيدة دبرت له و لشيوخ بني عبد الواد، الذي فطن لها وقبض على أصحابها، ثم حل بن يوسف دار الامارة تلمسان وحكمها وأطاعته قبائل بني عبد الواد كافة وبنو راشد وبايعته حواضر المغرب الأوسط كلها ماعدا مدينة ندرومة الذي لقي حتفه في حصار الذي قام به عليها بسهم أصابه سنة(629هـ)[3]ثم الت الزعامة الى أبنه الحسن لكنه تركها لعمه عثمان بن يوسف(630هـ -631هـ) ثم الى ابن عمه زيدان بن زيان (631-633هـ) لكنه واجه معارضة قوية من بعض القبائل التي لم تبايعه وحدثت اضطرابات قتل أثناءها في معركة خارجة تلمسان سنة633هـ [4] وبموته انقطعت نفود الموحدين من بلاد المغرب الأوسط فبويع أخوه يغمراسن[5]الذي يعتبر المؤسس الفعلي لهذه الدولة[6] وأول عمل سياسي قام به هو اعلال استقلال قبيلته بالحكم مع الاعتراف الرمزي بالخلافة الموحدية[7] .

أبرز المراحل والمحطات التاريخية لدولة بني عبد الواد :مرت الدولة الزيانية التي عمرت أكثر من ثلاثة قرون[8] ، منذ منذ بداية نشأتها الى سقوطها بعدة محطات تاريخية بارزة تقسم عند المؤرخين والباحثين على شكل مراحل أو أدوار.

-المرحلة الأولى : النشأة، التي تمتد من(633هـ - 702هـ/ 1235م-1306م) وتناوب على الحكم في هذه الفترة(ثلاثة سلاطين*[9])، لقد تكلمنا سابقا عن مقدمات النشأة الدولة الزيانية بينما النشأة الدولة تطلبت أعمال وجهود لقيام بتثبيتها وحمايتها : وأول دور فعال هو الذي قام به السلطان المؤسس الدولة **يغمراسن** فقد عمد على توسيع السلطة داخل المغرب الاسلامي وحمايتها من الزوال وذاك كان بقمع واخضاع القبائل البربرية والعربية لسيادة تلمسان، بدأ بالقبائل المقربة له من أبناء عمومته من بني مطهر وبني راشد الذين كانت حجتهم هي أحقيتهم بالحكم قبيلة بنو عبد الواد، لكنّ السلطان

1. يحي بو عزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، المرجع السابق ، ص:201.
2. عبد الحميد حاجيات،المرجع السابق ، ص: 14.
3. الأخضر عبدلي، المرجع السابق ،ص: 31.
4. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ، ص: 15.
5. الأخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص:32.
6. عمر سعيدان، علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلث الأول و الثاني من القرن 14م ، ثالة ، الجزائر ، 2011م ، ص :17.
7. عبدالحميد حاجيات، المرجع السابق ، ص: 15.
8. يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع نفسه ، ص :220.
9. *. السلاطين الثلاث : أبو يحي ياغمراسن بن زيان مؤسس الفعلي لدولة بنوا عبد الواد 633هـ _1236م / أبوا سعيد عثمان بن يغمراسن 681هـ _1283م /أبوا زيان محمد الأول بن عثمان 703هـ _1304م .أنظر :يحي بوعزيز ،تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع نفسه،ص :238.

المؤسس أخضعهم[1]، كما حارب قبائل توجين ومغراوة التي كانت دائمة التمرد، وكانوا ينبذون عهدهم مع السّلطان مرارا وتحالفوا مع أعدائه[2]، مما كان يعرض المدينة لخطر الغزو.

كما قام السّلطان يغمراسن بإخضاع عدة مدن وذلك لسبب اقتصادي أو سياسي لتوسع وحماية مثل مدينة وهران الساحلية مدينة سجلماسة الصحراوية ومدينة مليانة ومدينة تنس[3].

لقد جهد السلطان يغمراسن في حماية وتوسعة دولته على حساب الامارات المجاورة، و قاد عدّة معارك في سبيل هذا الهدف[4]، لكنّ النّتيجة لم تكن إيجابيّة دائما، ولم تكن هناك انتصارات باهرة، وسلطة تلمسان لم تشمل جميع أقطار المغرب الأوسط، رغم أنّ رقعة الامارة توسعت ومردّ ذلك :

1. مقاومة الدولة الحفصية من الشرق ، فقد أبرم الولي العهد الزياني معاهدة مع الحفصين أعلن خلالها طاعته لهم[5] ، ورضي بدفع مبالغ مالية سنوية لتونس ومن هنا بدأت السيادة الحفصية على تلمسان وبني عبد الواد[6]
2. مقاومة الدولة المرينية من الحدود الجهة الغربية للدولة وهذا قلل فرصة التوسع بل خسرت الدولة منطقة سجلماسة سنة 672هـ/1273م[7].
3. مقاومة القبائل البربرية المتمردة.

خلف الأمير عثمان بن يغمراسن(أباه السلطان بعد مماته[8]) 681هـ/1282م[9]، وأصبح ينتهج سياسة مسالمة لبني لبني مرين وواصل جهود أبيه في الجهة الشرقية[10]وأخضع القبائل المتمردة من توجين ومغراوة وعمل على تبيث المناطق التابعة

---

1. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ، ص: 64.
2. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع السابق ، ص: 92. وأنظر : عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ، ص: 16.
3. بسام كامل عبد الرزاق شقدان،المرجع نفسه، ص: 65.
4. عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه ، ص: 16.
5. بسام كامل عبدالرزاق شقدان، المرجع نفسه، ص: 65.
6. يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، المرجع السابق ، ص :223.
7. بسام كامل عبدالرزاق شقدان،المرجع نفسه، ص: 65.
8. دفن السلطان يغمراسن بالمقبرة التي كانت بجانب المسجد الكبير بتلمسان الجهة الشمالية الغربية بمكان القصر البالي، لكن لم يتحصل الأثرين على مكان الضريح بالضبط رغم قيام أحد الباحثين الفترة الفرنسية (شارلبروسلار) بحفرية لم يجد فيها قبر السلطان المؤسس ،لكنه وجد عدة قبور أخرى للفترة الزيانية منها شاهد قبر **أبو حمو موسى الثاني**، الموجود حاليا بمتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ في تلمسان .أنظر :محمد بن عمرو الطّمار،المرجع السابق ،ص:97.وأنظر :شارل بروسلار،المرجع السابق،ص: 72.67.
9. بسام كامل عبد الرزاق شقدان،المرجع نفسه، ص: 65.
10. عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه ، ص: 17.

لتلمسان وحمايتها[1]. في العموم قام وليّ العهد الجديد باخضاع المدن التي تخضع لسلطة السلطان السابق يغمراسن داخل المغرب الأوسط، أو المدن التي خرجت على السلطة الدولة مثل مدينة تنس والمدية[2]. أيضا في محاولته التوسع من الجهة الشرقية على حساب الحفصين، عمد على حصار مدينة بجاية لكن لم يفلح في أخدها[3] .رغم هذه المجهودات يرى بعض الباحثين أن التوسيعات الدولة كانت محدودة خاصة من الجهة الشرقية في هذه الفترة وذلك مرده نسبه مع الحفصين لأن السلطان كان صهر السلطان الحفصي[4]. أضف إلى ذلك الخطر المريني الدائم من الجهة الغربية التي بدأت تقوم بحملات عديدة على تلمسان، وأيضا اهتمام بإخضاع القبائل المتمردة،في خضم هذه المجهودات توفي السلطان في ذي القعدة سنة 703هـ فخلفه ابنه أبو زيّان محمد الذي ورث خلافة في ظروف صعبة وهي الحصار المريني الذي دام أكثر من ثمانية أعوام ، الذي لقي أهل تلمسان منه الشقاء و محن من جوع وازماتلم يسمع مثلها في البلدان[5].

خلال الفترة الأولية من حكم السلاطين الثّلاثة لم يلحظ أي أعمال انقلابات ونزاعات داخل الأسرة الحاكمة بل العكس كانت هناك سياسة تعاون وتشاور بين الأب والابن (السلطان يغمراسن وابنه عثمان)و أيضا في نهاية المرحلة الاولى كان هناك تعاون بين الاخوين أبوزيان أخوه أبو حمو الذي اعطاه البيعة وكان مخلصا له فاقتدى به المشيخة فعم اطمئنان[6]فعمدا على استرجاع نفود دولتهم في شرق البلاد بعد انتهاء الحصار الطويل. توفي بعد مرض في 21 شوال 707هـ 707هـ بعما كان ينظم أمور عاصمته تلمسان بإصلاح وبناء ما افسدته الحرب من قصور وأسوار ومزارع[7] هكذا انتهت المرحلة الاولى من حكم الدولة بني عبد الواد وبدأ الدور الثاني الذي يبدأ من نهاية الحصار المريني لتلمسان سنة 706هـ/1307م الى سقوط الدولة الزيانية على يد الدولة المرينية سنة 737هـ/1338م وهنا يرى بعض الباحثين أن حكم السلطان أبو زيان هي مرحلة انتقالية من دور الأول الى ثاني ،فقد ينسب مرحلة حكمه اما الى مرحلة الاولى أو الثانية ،وحكم هذه المرحلة سلطانان معه وهما أبو حمّو موسى الأول من 708هـ / 1308م حتى 718هـ/1318م،وخلفه ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن الأول سنة 737هـ/1337م[8].

1. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع السّابق، ص:98.
2. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السّابق، ص:67.
3. محمد بن عمرو الطّمار ،المرجع نفسه، ص:98.
4. صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص: 96.وأنظر كذلك : . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السّابق، ص:67.
5. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ، ص: 18-19. وأنظر : محمد بن عمرو الطّمار، المرجع نفسه، ص:101.
6. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع نفسه، ص:101.
7. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ، ص:20.
8. بسام كامل عبدالرزاق شقدان،المرجع نفسه، ص:69.

المرحلة الثانية : كان أبو حمو موسى الأول مخلصا في تلبية أوامر أخيه فقد اعطاه البيعة وساعده على استرجاع نفوذ الدولة، وكان عالما بأمورها، وتحلّى بصفات ذكرها كتب التاريخ تؤهله للحكم ،وهذه الصفات يذكرها عبد الرحمن بن خلدون في كتاب العبر فوصفه بصرامة ويقظة والحزم الدهاء وقوة الشّكيمة، وجلس على عرش أبائه بالبيعة لا بالسيطرة[1]. وفي أيامه كانت علاقات سلم بينه وبين الدولة المرينية، بهذا أمّن تلمسان من خطر الحروب، والغارات واعاد لها قوتها وعزتها وركز الجهود لتمهيد المنطقة الشرقية للدولة ونشر سلطة في نطاق الدولة كما طمح الى تحقيق حلم أبيه باستلاء على بجاية لكن لم يظفر بها بسبب نزعات داخلية بين صفوف الجنود[2]لكن ما يشهد له في هذه المرحلة أنه كان هناك عملية ضغط عسكري على الحدود الشرقية للدولة فكانت نتيجتها توسع على حساب الحفصين كما استمر ذلك في عهد ابنه أبي تاشفين[3] الذي أخد الحكم بخيانة أبيه الذي كان فظا غليظا عليه والذي كان يعامله بشدة فتحالف مع بعض الأعلاج من بطانته على تدبير مؤامرة لعزل السلطان أبو حمو الأول وقتل في هذه المؤامرة[4]في شهر جوان 1318م[5].

وفي عهد السلطان أبي تاشفين الأول عرف الدولة اوج ازدهارها فقد نشطت فيها الفنون والصناعات واتسع العمران وذلك ان السلطان الزياني كان محبا للفنون والبناء[6]. أضف إلى هذا التوسيعات الرقعة الدولة بني عبد الواد على حساب الدّولة الحفصية فقد حاصر بجاية مرتين، ثمّ تعددت الوقائع بين الطّرفين الى أن ظفر الزيانين سنة 729هـ/1328م وأقموا عدة مراكز وبنو القلاع والقصور مثل قصر بكر ببجاية، ثمّ كان بعد هذا استيلاء الجيوش الزيانية على تونس[7]ونتيجة لهذا التوسع تحالف بن مرين مع بني حفص والتي كانت تربطهم في هذه الفترة صلة قرابة بالمصاهرة وعمدوا لحصار مدينة تلمسان[8]وظفروا بها واحتلها في أبريل 1337م ، وقتل السلطان أبو تاشفين وعدد من افراد قبيلته من بني عبد الواد واخضعت تلمسان للمرينين[9]وبهذا انتهت هذه المرحلة باختفاء دولة بني عبد الواد، لكن هذه الفترة تميزت بأحداث كثيرة لم يسبق لدولة ان رأتها وهي الفتن الداخلية والانقلابات والاغتيالات ،رغم هذا حدثت انتصارات كبيرة وتوسعات كالتي اقيمت في بجاية ثم تونس.

1. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع السّابق، ص:112.120 .
2. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ،ص:21.
3. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السّابق، ص:70.
4. عبد الحميد حاجيات،المرجع نفسه، ص:21 .22.وأنظر :محمد بن عمرو الطّمار، المرجع نفسه، ص:120.119.
5. يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر،المرجع السابق ، الجزء الاول ،ص: 226.
6. عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه ، ص:22.
7. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع نفسه ، ص:124.
8. بسام كامل عبدالرزاق شقدان،المرجع نفسه، ص:71.
9. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع نفسه، الجزء الاول ،ص: 226.

المرحلة الثالثة وتسمى عند بعض الباحثين مرحلة النهضة أو البعث:وتنقسم هذه المرحلة الى قسمين رغم أن المرحلة الأولية لم تعمر كثيرا الا أنها جديرة بالذّكر، وذلك للاختلاف في بعض خصائصها في النظام السياسي عن باقي المراحل التي سبقتها، إذ حكم في القسم الأول سلطانان تقاسما المهام وهما أخوين من فرع ملكي آخر لإمارة بني عبد الواد. أمّا القسم الأوّل فيتمثل فيحكم أعظم ملوك الدول الزّيانية، وتميّزت هذه الفترة ببعث وازدهار الدّولة في جوانب مختلفة، مع ظهور الاضطرابات المتكررة لعل أهمّها التي حدثت في صفوف الطبقة الحاكمة، فقد تكرّر مأساة قتل الابن لأب قتل الامير السلطان، ما يلفت لنظر في هذه الأحداث التّاريخية تجلّي المقولة المشهورة التي تنص:" التاريخ يعيد نفسه" حيث السلطان المقتول هو **أبو حمو موسى الثاني** والابن القاتل هو **أبو تاشفين ابن أبو حمو موسى الثاني** ، نفس أسماء السلاطين المرحلة التي سبقت ونفس النكبة والمأساة.

تبدأ هذه المرحلة بعد النكبة التي حدثت للسّلطان المريني أبو الحسن في معركة القيروان على يدي عرب بني هلال وبني سليم عام 1348م[1]، فاغتنم بنو عبد الواد الفرصة، والتفّوا بالأميرين (أبي سعيد عثمان الثاني وأبو ثابت بني عبد الرحمن[2])، وبايعوهما جمعا كبيرا ممّن كانوا منخرطين في جيش أبي الحسن، واجتزوا افريقية، والمغرب الأوسط حتى وصلوا الى تلمسان ودخلوها منتصرين في 22جمادى الأخرة 749هـ فزاول الأميران تنظيم شؤون الدولة ، فاهتم أبوا سعيد بمراسيم الحكم من خطبة وسكة بينما اختص أبو ثابت بقيادة الجيوش[3]، وهذا ما ميّز فترتهما عن باقي المراحل السابقة لأنهما سيّرا وحكما الدول باشتراك، ولم يرى هذا من قبل في الدولة بني عبد الواد بل العكس تماما وهو التنافس على الحكم والانقلابات السياسية ، لذا رغم أن فترتهما لم تدم كثيرا الا أنها مهمة في الدراسات التاريخية لأنها تقدّم نموذج جديد في الحكم سلاطين بني عبد الواد.(أقتلا الشقيقان السلطانان فترة دخول المرينين لتلمسان مرة أخرى)[4]، وبهذا لم تدم فترة حكمهما طويلا (1348م/ 1352م)الا أنهما كانا مستقلّين بشكل كامل عن نفود الدول المجاورة[5]، وهما مدفونان في

1. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،الجزء الاول ، ص: 227.
2. حكما في نفس الفترة 749هـ/1348م وهما من فرع ملكي أخر ، اذ هما بني عبد الرحمن بن يحي ابن غمراسن.
3. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ، ص:32 .33.
4. قتل ابا سعيد بعد أسره في معركة واد القصب على أرض المغرب عندما حاول سد نزوح واتجاه المرنين لتلمسان سنة 1352م ،أما أبوا تابت عجز عن المواجه ففر متنكرا الى الشرق فوقع في أيدي أنصار المرينين الذين سلموه لأبي عنان السلطان المريني الذي كان متوجدا في بجاية فأخده الى تلمسان وقتله هناك .أنظر : يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع نفسه،الجزء الاول ،ص:227 . 228 .
5. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ،ص:73.

مقبرة ملوك بني زيان في ضريح ومسجد سيدي ابراهيم المصمودي[1] القائمان الى يومنا هذا ،وكان الباني لهذا المركب السلطان **أبو حمو موسى الثاني**[2]، وهو ابن أخوهما **يعقوب**، ويعتبر أبوا حموا محي أمجاد الدول الزيانية.

فترة أبو حمو موسى الثاني :عهد هذا السلطان يعتبر من بين أبرز مراحل الدولة الزيانية ، فقد عاود احياء دولة أجداده سنة 720هـ /1359م وسماها الدولة الزيانية بدلا من الامارة عبد الوادية[3]وذلك بمساعدة الدولة الحفصية و القبائل العربية والبربرية في المغرب الأدنى و شرق المغرب الأوسط الذي أكرهوا بسبب سياسة و جباية الضرائب التي مارسها السلطان المريني أبي عنان عليهم[4]الذي سيطر على تلمسان مدة سبع سنوات[5].ولم يكن استرداد مدينة تلمسان بالأمر الهين لأن عدد جنود الحامية كان لا يقل عن ثلاثة الاف، من بينهم 1800من بني مرين[6]رغم هذا دخل السلطان أبو حمو موسى الثاني تلمسان تلمسان يوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة 760هـ/ 7 فيفري سنة 1359م ودخل قصره وجلس على ملك أسلافه الذي كان ضائع في يدي الأعداء وبويع بيعة الخلافة ونظر في شؤن ملكه الجديد ومشاكل تطهير أمصار دولته من بني مرين و القبائل المتمردة والمحالفة لها[7]ولم يتمكن من حل هذه المشاكل الا بعد سنوات[8]. كان هذا السلطان محبا للعلم و العلماء و و قول الشّعر وتأليف الكتب مثل : "كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك"، فكان هذا دافعا أخر منه لإعادة شبابها وحيويتها التي عرفتها في عهد يغمراسن[9]، وفعلا تطوّرت تلمسان في جوانب ونواحي مختلفة من نظم اجتماعية واقتصادية وثقافية، فقد بدل جهدا كبيرا ليجعل من تلمسان، والمدن الزيانية الاخرى منارات للعلم والأدب والفن[10]. لكن كما كان يحدث في كل مرة في دولة بني عبد الواد ظهرت نزاعات وصراعات كانت محركاتها أطماع على الحكم ومنصب السلطان. فظهر الأمير **أبو زيان ابن السلطان أبي سعيد**، وقام بثورة ضد أبي حمو، وتسبّب في إثارة حروب، ومعارك طاحنة كانت السّبب في إضعاف الدّولة، وإرهاق السّكان في مشاكل سياسية، وإثارة حروب أهلية بين أنصارهما[11]، ودامت ثورة الأمير

1. شارل بروسلار،المرجع السابق ، ص: 26.
2 هو أبو حموا موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن لبن يحي بن يغمراسن (760هـ/ 1359م) ،أنظر :عبد الحميد حاجيات ،أبوا حمو موسى الزياني ،ص:93.
3. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،الجزء الاول ، ص:220/229.
4. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص:73.
5. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع نفسه،الجزء الاول ، ص:228.
6. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ، ص:118.
7. محمد بن عمرو الطّمار، المرجع السابق، ص : 146.
8. عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه ، ص:122.
9. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع نفسه،الجزء الاول ، ص:229.
10. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع نفسه، ص:74.
11. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع نفسه ،الجزء الاول ، ص:230.

على السلطان حوالي عشر سنوات[1]. وبعد قضاء أبي حمو موسى الثاني على ثورة الامير محمد أبي زيان، ظهرت صراعات أخرى أكثر تعقيدا من ذي قبل فقد كان الطرف المتمرد ابن السلطان أبي حمو وهو **أبو تاشفين** الذي دفعه المرينين الى ذلك فاعتقله في بادئ الأمر وسجنه بوهران، ثم فرّ السّلطان منها وحاول العودة الى عرشه، وخاض حربا ضدّ ابنه قتل فيها في معركة "بني ورنيد"، عندما كان متخفّيا هو وأتباعه في الغيران قرب جبل بني راشد[2]، عندما باغتهم جيش المريني فيها، ولم يصمد أبو حمو وأنصاره لهذا الهجوم المفاجئ لأنّ الجيش المريني كان يفوقهم عددا وعدّة، فكان ثمن هذا الضعف حياة السلطان أبي حمّو الذّي مات بعد سقوطه من الفرس، ورميه بالرّماح، وجاؤوا برأسه الى ابنه أبي تاشفين، بحضرة الوزير ابن علال في أول من ذي الحجة سنة 791هـ/ في نوفمبر سنة 1389م[3].

تركت هذه المشاكل والاضطرابات آثارا سلبية سيّئة على العلاقات السّياسية بين تلمسان والدّول المجاورة والقبائل المنتشرة في نطاق الدولة وحدث تشكيك في مصداقية الطّبقة الحاكمة للدولة أضف إلى ذلك تدهور المستوى الاقتصادي والمعيشي للسكان لذا جاءت المرحلة الاخيرة لهذه الدولة، وهي مرحلة الانحدار.

المرحلة الرابعة : تدخل المتكرر لدول المجاورة وسقوط الدولة الزيانية .امتدت هذه المرحلة مائة وسبعين سنة بدأت بنكبة السلطان المجدد باعث الدولة الأجداد أبي حمو موسى الثاني الى سنة سقوط الدولة للمرة الأخيرة 1554م.

مسّ انحطاط الدولة في بادئ الأمر شأن الحكّام والأمراء، ويظهر ذلك بعد أن خلا الجو للسّلطان أبي تاشفين بعد مقتل أبيه بطريقة المأساوية، بمساعدة بني مرين الّذين ساعدوه للوصول الى الحكم، فاقتضى عن هذا تبعية سياسيّة لهم فقد كان يدعو لهم ويخطب باسمهم ويدفع لهم الاتاوة كما ضرب السكة باسمهم [4]. فإنّ هذه التبعية السياسية للعدو تعتبر مقدمات انحطاط الذي سيأتي بفتك الدولة وتفككها حيث لا يتمكن لم شملها بكامل مرة اخرى مما أدى بها الى السّقوط النّهائي، أخذت دولة بني مرين تتلاعب بعرش تلمسان، وصارت تعزل سلطانا قد اختارته هي لتولي سلطان عينته هي مرة أخرى وهذا حسب مصلحتها ، وبدأ هذا التلاعب يظهر بقوة بعد سقوط الدولة الزيانية للمرة الثالثة بعد مقتل أبي تاشفين سنة 1393م[5]، وما يجدر ذكره أنّ هذا التّلاعب كان ممكنا بسبب الخصوم والنزاعات، والحروب النّاجمة بين أمراء الدولة الزيانية، فكان هذا بمثابة مادّة ثمينة لدولة بني مرين سمحت لها بنسج بها خطط كان نتيجتها مصلحة المرينية فقط. ولما

1. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السّابق، ص:75.
2. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،الجزء الاول ، ص:230.
3. عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ، ص:206،207.
4. محمد بن عمرو الطّمار ،المرجع السابق ،ص : 209.
5. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع نفسه،الجزء الاول ، ص:231.

تدبدب أخطار ونفود الدولة المرينية حلت محلها من جديد أخطار وأطماع الحفصين من الشرق التي عمدت على التدبير لاحتلال تلمسان[1]، وذلك خاصة بعد ما استرجع السلطان(**أبي مالك عبد الواحد**[2])تلمسان سنة **1411م**، واستعاد من الحفصين لأراضي التي استولوا عليها شرقا البلاد وتوسع غربا ودخل عرش المرينين وسيطر على فاس نفسها ،فكانت هذه ضربة نادرة من طرف الدولة بني زيان لحد نهائي لتدخل في شؤنها من طرف بني مرين ،هذا كان بمثابة انذار لبني حفص الذين جهزوا العدة لضم تلمسان لمملكتهم والحد من الخطر الزياني الناشئ، وفعلا تمكّن الحفصين من احتلال تلمسان سنة 1424م، وذلك لضخامة الجيش وعدة بني حفص[3].

فنتجت عن هذه الاضطرابات الدّاخلية، والتّدخلات، وأخطار الدّول المجاورة توافد سلاطين على الحكم بفترات زمنية ضيّقة، تبعث التّعجب في نفوس المتطلّعين لعلم التاريخ فقد كان بعضهم يحكم لشهور، أو أسابيع، أو حتى أيّاما، كما حدث مع السّلطان **أبي زيان الثالث**، الذّي حكم لبضع أسابيع فقط، والسلطان **أبي ثابت بن أبي تاشفين الثاني** الذّي حكم أربعين يوما فقط[4]، فكان هذا من مظاهر ضعف الدولة الذي جاءت عقبته ظهور أطماع وأخطار خارجية أخرى جاءت من وراء البحر الأبيض المتوسط وهو الخطر الصليبي الاسباني الذي تدخل هو الاخر في شؤون دولة بني زيان وتلاعب هو الاخر بقدرها بهدف احتوائها واستغلال مواردها الاقتصادية وثروات الطبيعية التي تزخر بها ، ولم تكتمل سلسلة الاعداء والطّامعين على عرش تلمسان الا بعد ظهور القوة العثمانية التي ألحقتها الى الجزائر العاصمة والى الدولة العثمانية سنة 1554م[5]، فكان سقوطا نهائيّا للدّولة بني زيان وحكمهم مغرب الأوسط .

شهدت مدينة تلمسان والدولة الزيانية تقلبات سياسية ومحن صعبة و عديدة لكن رغم هذا، تخلل هذه محن فترات استقرار وطمأنينة، سمحت بظهور بوادر الازدهار، والرّفاهية في عدّة مجالات. وكان ملوك بني زيّان يحبّون العلم والعلماء، والفنون، ومظاهر الازدهار، والرّقي، خاصّة في المجال العمراني، فوفّروا لها مظاهرها، من جلب المواد والصّناع والحرفيّين من المناطق المجاورة أو حتّى من الدّول الأخرى، فكانت نتيجة هذا الاهتمام معالم رائعة الجمال، زيّنت بحلل معمارية مختلفة، من بينها الزّليج الذّي كان مظهرا من مظاهر الازدهار في البنايات، ما زالت هذه المعالم باقية إلى يومنا هذا، تشهد عن الفترات الزّاهية لهذه الدّولة. وصناعة الزّليج هو من الفنون المعمارية، وبين الصّناعات أو الحرف المختلفة التّي لها علاقة بالبناء،

1. صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 99.
2. . أبو مالك عبد الواحد بن موسى حكم ابتدأ من 814هـ/1411.1412م وعاود الكرة بعدما أزيح من الحكم سنة 831هـ/1428م
3. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ،الجزء الاول ، ص:231،232.
4. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السّابق، ص:76.
5. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع نفسه ،الجزء الاول ، ص:233 . 237 .

والعمران، الذّي مورس من طرف طبقة اجتماعية معينة ومن عنصر سكاني تذكره المصادر بقلة، وشارك هذا الفن المعماري الحرفي في عملية التّنشيط الاقتصادي للدّولة مع باقي الصّناعات، والحرف التي توجد في الدّولة، فهنا يمكن طرح السؤال على الفئات، والطبقات السكانية التي مارست هذا الفن المعماري الحرفي .

مظاهر الحياة المختلفة لدولة بني زيان :

1. مظهر الاجتماعي: يتمثل في العناصر السكانية المختلفة المكونة للمجتمع وعاداتهم وتقاليدهم وانشغالاتهم.

1.1. أهم العناصر السّكانية الأجناسيّة المكوّنة للمجتمع الزياني :

أ **. البربر:** يعتبر هذا العنصر من أبرز مجموعات السكانية الموجودة في تلمسان وفي نطاق الدولة الزيانية وذلك أنه يعتبر العنصر الأصلي في منطقة المغرب الاسلامي عامة .

والبربر أجناس كثيرة سكنوا المغرب الكبير مند أقدم العصور تفرقوا في استوطانها وانتشروا في أراضيها ،ومن القبائل التي استوطنت المغرب الأوسط لدينا : زناتة أهم قبيلة بربرية سكنت المدينة والمنطقة ، فابن خلدون يقول فيها :" ... والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال : وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى ، وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين ، وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم ، ولم يزل الملك يتداول في شعوبهم ..."[1]وزناتة تتفرع الى بطون متعددة منها مغراوة، بنو يفرن[2]، ولدينا من القبائل أيضا بنو توجين ، بنو راشد ، بنو مصاب ، بنو زردال ، بنو عبد الواد أو الزيانيون التي كان يشير اليها **ابن خلدون** بقوله الذي ذكرناه سابقا و اللذين جعلوا من تلمسان مقر حكمهم ومركز سلطانهم فلقد جعلوها عاصمة المغرب الأوسط منذ القرن السابع للهجرة الى القرن التاسع للهجرة (13م حتى 15م)[3].

ويعرف عن البربر في القرون الوسطى والقرون التي سبقتها أنهم احترفوا الحرف المتعلقة بالفلاحة والرعي ،**فابن الأحمر** يقول عن شغل البربر في كتابه **بيوتات:**" وأما البربر فإنهم احترفوا بجلب البقر والقمح والسمن والقمح والزيت والعسل والصوف والدجاج والفواكه والملح والأعواد و خدمة الفحم والخشب ونحو ذلك ....وجلب الماء والبناء وطبخ الجير والجبص ونحو

1. عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ، المصدر السابق ،الجزء السابع ،ص:55 .
2. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السّابق، ص:139.
3. الأخضر عبدلي، المرجع السّابق، ص: 34.

ذلك[1] ".إنّ شهادة المؤرخ تعطي لنا صورة عن النشاطات التي كان يمارسها البربر وهي متنوعة لكن غالبا ما اعتمدوا على الزّراعة، وأعمال الرّعي هذا لا ينفِ اشتغالهم بأعمال البناء، فالمؤرّخ يذكر ذلك ، لكن لم يتضح ولم يظهر أن البربر اشتغلوا بزليج والصناعات المتعلقة بذلك ، هذا ربما راجع لنمط المعيشي لديهم .لكن ما هو معروف أنّهم اشتغلوا بالجيش منذ الفترات الأولى للعصور الوسطى بالجيش المرابطي ثم الموحدي[2].

ب . العرب :مع ظهور الدولة الزيانية كانت العرب وقبائلها تنتشر في محيط وحدود مدينة تلمسان كما كانت بداخلها أيضا ، وهي مقسمة الى أصناف حسب التوافد على منطقة تلمسان والمغرب عامة فهناك : . عرب الأوائل أو عرب الفتح .

. عرب بنو هلال.

. العرب المتحضرين المهاجريين من أهل الأندلس .

–العرب الأوائل: هم العرب الفاتحين للمغرب الاوسط من أصحاب عقبة بن نافع و أبي مهاجر دينار لم يبق منهم الى العدد القليل[3]، وهم القادمون من الجزيرة القيسيّة، واليمنيّة عرفوا بالعرب الأفارقة، أوعرب البلدين، وتنضمّ إليهم عرب الشّاميين الذّين أتوا مع الجيش الاموي من الشرق للإخضاع قبائل البربر التي تمردت سنة 122هـ/740م[4]وما بقي من هذه الوفود الاولى من حفظة القرآن كانوا يعلمون النّاس أمور دينهم[5]، ويقول بالأحمر في كتابه بيوتات في الحرف التي مارسوها : ... احترفوا في حلول الحرف التي ليس بخاملة نحو تدريس العلم والتوريق على الكراسي وتحمل الشهادة والنساخة للكتب، وتعليم الصّبيان، وإمامة المساجد، والوقوف عليهامن نحواصلاح وقبض كراء وولاية نظارة وحسبة وكتابة عند الملوك ووزارة وولاية الأمور الصّالحة، ومن احترف منهم فاحتراف الفلاحة وخدمت اجنات غلة وغرس ونسج حرير ... وبيع بز وتسبب بجبله وبيع العطر... فإنهم يدخلون في عداد الجيوش من أهل الحل والعقد[6] . " من هذه الشهادة يتضح لنا ان العرب الأوائل لم يتشغلوا في بنيان أو كان شغلهم قليل مما أتى على المؤرخ عدم ذكرهم في حرف المتعلقة بالبناء مثل صناعة الزليج ، وبمقابل اشتغلوا بالمهن التي لها علقة بالإدارة والتسيير والتعليم والتجارة والجيش.

1. عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات،المرجع السابق ، ص:162.

2 الأخضر عبدلي، المرجع السّابق، ص:143.

3. المرجع نفسه، ص:35.

4. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص:143.

5. الأخضر عبدلي، المرجع السّابق، ص:35.

6. عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات، المرجع نفسه ، ص:161.162.

عرب بنوا هلال : يعتبر القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي هو الفترة التي تعرّب فيها المغرب الأوسط بشكل كبير وذلك مع دخول القبائل الهلالية وأحلافهم من العرب واستوطنهم المنطقة ،ودخل الكثير منهم المدن واختلطوا مع أهالي بالمصاهرة[1] ، ويرى بعض الباحثين أن هذا الامتزاج حدث في تلمسان في عهد الموحدين وذلك من خلال اسكان سلطان عبد المؤمن لبعض بطون العربية داخل المدينة عندما كانت تعمل في الجيش الموحدي وبذلك اختلط عنصر البربر بالعرب بفترة سبقت ظهور الدولة الزيانية[2] . لم يغير القبائل العربية الهلالية نمط حياتهم الاجتماعي وحافظو على خصوصيات أنظمتهم القبلية الاجتماعية ، واشتغلوا في الجيش الزياني وحاربوا أعداء الدولة الزيانية سواء القبائل أو الدول [3].

العرب المتحضرين المهاجريين من أهل الأندلس: هم العنصر الأكثر بروزا في الدولة الزيانية ، أتوا، وهاجروا الى تلمسان والمغرب الأوسط و حواضر المغرب عامة قبل اضطرابات الاندلس وانحطاط الكامل وذلك بعد انهزام الموحدين في موقعة العقاب سنة 609هـ[4]، وخاصّة وبأعداد كبيرة مع سقوط المدن الأندلسية بأيدي النصارى، مند النّصف الاول للقرن الثامن هجري [5]، وهؤلاء أهل حضارة عريقة في العلوم والفنون والصنائع فانتشرت حضارتهم في المغرب الاوسط [6]، و قد أطلق لقب "**الحضر**" على امتزاج الأندلسيين مع التلمسانين الذين ظهر منهم جيل من العلماء والفنانين و الفلاحين والصناع المهرة، هاجر أهل الاندلس الى تلمسان لأنها تشبه مدن الاندلس في خصائصها الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية فان تلمسان تزخر بالمياه والبساتين والتحضر والعلم وكثرة الصنائع [7]، ولقد شاركوا في تنشيط هذه الصنائع، ومختلف الحرف في تلمسان، والمغرب الاوسط وكلّ بلاد المغرب الاسلامي، ومن هذه الحرف، الزليج ومختلف طرق صناعته وتركيبه فلقد اشتهروا في صناعته في مدن الأندلس مثل: **مالقة** و**المرية**[8]، وقرطبة التي اشتهرت بصناعته للاستهلاك الدّاخلي، والخارجي من تحف زجاجية وبلورية وخزفية [9].

1. الأخضر عبدلي، المرجع السّابق، ص:35.
2. بسام كامل عبدالرزاق شقدان،المرجع السّابق، ص:145.146.
3. المرجع نفسه، ص:148.
4. عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ،المرجع السابق، ص:54.
5. بسّام كامل عبدالرزاق شقدان، المرجع نفسه، ص:151.
6- الأخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص:35.
7. بسام كامل عبدالرزاق شقدان، المرجع نفسه، ص151.
8. أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السّابق، المجلد الأول ،ص202.
9. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، المرجع نفسه، ص:131.

وعند هجرتهم إلى المغرب الإسلامي نقلوا هذه الصّنعة مع مختلف الحرف الأخرى إلى الحواضر، بلاد المغرب الإسلامي، فحاضرة تونس مثلا استوطن فيها الأندلسيّون، بعد هجرتهم، واتخذوا بها حارات عرفت بهم، مثل: حومة الأندلس، وزقاق الاندلس وأنشأوا أسواقا للصّناعات التي جلبوها معهم كصناعة الشّاشية، ونسج الحرير ونقش الرخام والجبس والزليجي او الزليج ولقد نقل أهل البلاد عنهم اصول هذه الحرف حتى اتقنوها[1]، أمّا في المغرب الاوسط في عهد بني عبد الواد وعاصمتهم تلمسان، فلم تتوقف التّأثيرات الفنية لأهل الاندلس منذ نصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي حتى منتصف الرابع عشر، وكانت تربط ميناء وهران بميناء المرية روابط وثيقة[2] ، وهي المدينة التي ذكرناها سابقا، حيث وصفها صاحب نفح الطّيب، بوصف شهرتها في صناعة الزّجاج الغريب العجيب، والفخار المزجّج مذهب والزليجي[3] أو الزّليج، ولقد أشار صاحب" المسند الصحيح" **ابن مرزوق** على بعض الصناعات التي راجت في بلاد المغرب الاسلامي، ويعود الفضل الى أهل الأندلس من بينها الصناعات والحرف المتعلقة بالبناء مثل : البنائين و النجارين والجباسين والرخامين والزليجين ،ويؤكد في هذا الاستاد **بنعبد الله** في كتابه "مظاهر الحضارة المغربية " أن أثر أهل الاندلس فيما يخص المغرب الاقصى والاوسط واضح في هذه الصنائع فالزليجي الفاسي هو نوع من الترصيع أصله من الاندلس كما يقول أن اغلب فنون التطريز والترقيم المغربي من أصل أندلسي[4] فهذه الشهادات التّاريخيّة تؤكّد على أنّ مهاجري الأندلس مارسوا صناعة الزّليج، ونقلوها من الأندلس إلى المغرب الإسلامي، وتلمسان .

وما يراود الأذهان من أسئلة، ما إذا كان أهل تلمسان احترفوا صنعة الزليج قبل هجرة الأندلسيين اليها ، وهل تعلمها واستغنوا عن خبرة أهل الأندلس ، سنحاول الجواب على هذه التساؤلات في فصول المقبلة ، لكن ما هو معروف في تنايا صفحات التاريخ أن السلاطين الأندلسيين استعملوا الزلاجين من الاندلس واستدعوهم لتزويق قصورهم التي هي في تلمسان ،فالسلطان **أبو تاشفين** مثلا الذي كان مولعا بالتعمير والاختراع استدعى صناع من الاندلس ، وان كانت تلمسان لا تخلوا منهم ، فطلب من **أبو الوليد بن الاحمر** أن يرسل له أمهر البنائين ، فمنهم النجارون والزلاجون[5]كما تعامل أبوه السلطان السلطان **أبو حمّو** من قبل مع سلطان الأندلس وطلب بعث اليه عددا من الصناع المهرة والفنانين من الاندلس لبناء قصور بحاضرة تلمسان وقد شرع هؤلاء في بناء القصور في عهد **أبو حمو** وتم البناء في عهد السلطان الابن ابو تاشفين ، بهذه

1. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، المرجع السابق ، ص:59.
2. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، نفسه ، ص:60.
3. ـ أحمد بن محمد المقري التلمساني ، المصدر السابق، المجلد الأول ، ص202.
4. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، المرجع نفسه ، ص: 54 55.
5. محمد بن عمرو الطّمار ، المرجع السابق، ص: 129. وأنظر كذلك: عبد العزيز سالم ،قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، نفسه ، ص:60.

القصور والدور والحدائق والجنات اشتهرت تلمسان بها ومن بين هذه القصور والدور لدينا دار الملك ، دار السرور و دار أبي فهر[1] وهذه الدور هي بقصر المشور بتلمسان ومن المحتمل أن الزليج المدروس في بحثنا هذا يعود لاحد هذه القصور ، ومن محتمل ان هؤلاء البنائين الاندلسين هم من بنو القصر المدروس في بحثنا هذا وان الزليج المدروس يعود للحرفين الذين تواجدوا في فترة السلطان أبي الوليد اسماعيل سلطان غرناطة 713هـ /725هـ زد الى ذلك العلاقات النشطة التي كانت مع ميناء وهران وميناء المرية التي كانت مشهورة بصناعة الزليج كما ذكر صاحب نفح الطيب ، هذه الشهادات من التاريخ تعطي قليل من ضوء عن الزليج قصر المشور بتلمسان .

وتجدر الاشارة إلى سلوك وردّ فعل فئة الصناع والحرفين المحلين عندما وجدوا أنفسهم وجها لوجه مع الصناع والحرفين التقليديين الأندلسيين المنافسين والممارسين تقريبا لنفس الحرف فترتب عن هذا ظهور نوع من الصراع الاقتصادي غير أن حدته كان يتضاءل باستمرار مع مرور الزّمن[2].

واتّضح أنّ مهاجري الأندلس مارسوا صناعة الزّليج في الاندلس، وتلمسان ، لكن عرب الاندلس لم يسكنوا الجزيرة الخضراء وحدهم بل سكن معهم اليهود والنصارى ، فعندما بعث السلطان غرناطة الحرفين بعث معهم الاف الأسرى الأوربيين فمنهم من النجارين والزلاجون وزواقون [3]، أضف إلى هذا أن الاسطول الزياني قام بأسر مجموعات كبيرة من الاسرى النصرى في البحر الابيض المتوسط نتيجة الحروب[4]، من هنا يتضح لنا نشاط عنصرين جديدين في المجتمع الزياني وهما اليهود والنصارى .

ج . **اليهود والنصرى** :

- **اليهود** : هم اقلية كانوا يعشوا في اقادير الى جانب المسلمين مند العهد القديم ، تم تضاعفت هذه الفئة بعد نزوح عدد كبير منهم من الاندلس هروبا من التسلط المسيحي عليهم ، استقبلهم الملك الزياني **أبو زيان بن ابي حمو موسى الثاني** ،وسكنوا أقادير وبقوا هناك حتى حدوث القصة المشهورة وهي مرض بنت احد الملوك وعجز الاطباء الزيانين عن علاجها وكان من الوافدين الجدد من اهل اليهود على تلمسان الطبيب الحكيم "افرايم أنكاوا " المدفون اليوم في منطقة قباسة بقرب باب قرمادين في تلمسان(توفي سنة 845هـ) ،والذي عالج الاميرة فطلب منه

1. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، المرجع السابق ، ص:60.وأنظر كذلك: محمد بن عمرو الطّمار ، المرجع السابق ، ص: 129.
2. محمد رزوق ، دراسات في تاريخ المغرب ، أفريقيا الشرق ،الاسكندرية ، سنة 1991م ، ص: 64.
3. محمد بن عمرو الطّمار ، المرجع السابق، ص: 129.وأنظر : بسام كامل عبدالرزاق شقدان، المرجع السابق، ص: 190.
4. المرجع نفسه، ص: 129.

السلطان حق هذا العمل ، فلم يطلب الا دخول اليهود الى مدينة تقرارت ، فأذن لهم فاستقروا بالقرب من أسوارا المشور وبنوا حيا لهم[1] يضم أكثر من خمسمئة دار وكانوا في حالة اقتصادية جيدة فقد عملوا في مهن متعددة أهمها التجارة والصرفية والقروض والذهب والفضة و الاسلحة والحديد والخياطة والدلالة باللأسواق[2]. وربما اشتغل يهود تلمسان في الزليج وذلك على حسب شهادة **بن الأحمر** في كتابه "بيوتات" عندم قسم الحرف و الانتماءات القبلية في العصر الوسيط فذكر لليهود ومواليهم مهام وحرف منها :"...وأما من أسلم من اليهود فاحترفوا بخياطة الملف و الثياب ....واما الموالى منهم فاحترفوا طبخ الخبز والسفنج والشواء وصنع القدور ...وتجبيص الرباع وتزويق الخشب و**تزليج الرباع** وصناعة منسج للحياكة [3]....." على حسب شهادة هذا المؤرخ اشتغل اليهود بالزليج ولا شكّ أنّهم زلّجوا قصور ملوك بنو زيان لأنهم كانوا يسكنون بمقربة بلاطهم الملكي المشور ، فكما استعملوهم في التطبيب و العلاج من الممكن ان استعملوهم في البناء والتزويق العمائر والقصور ، وربما مستبعد جدا أنهم سمحوا لهم في بناء المساجد وتزويقها مثلهم مثل المسيحين وذلك لدافع الديني ولكي لا يتعارض امر الامراء مع محبة الأهلي التلمسانين من المسلمين العرب والبربر لكن لا ننسى أنه حدث في التاريخ الاسلامي أنه استعان الامراء الامويين في الاندلس في تزويق المساجد بالمسحين البيزنطيين لعمل الفسيفساء[4] .

- **النصارى** :هم أغلبهم من الأوربيين ، قدموا الى تلمسان لغرض التجارة أو أسروا من طرف الجيش الزياني واستعملوا في النشاطات الاقتصادية ، أما التجار منهم فكانت له فنادق خاصة تأويهم ، أما الاسرى خدم وعبيد البلاط الملكي فيتمثلون في الجاريات المسيحيات القصر الملكي والخصيان الساهرين على الحريم ، كما كان في الدولة حرس ملكي مركب من ألفي فارس من جنود النّصارى، وقد وضع لهم حدّا لمؤامراتهم السلطان يغمراسن عندما فطن لمكيدة دبروها سنة 652هـ [5]، أمّا الأسرى الذين ساهموا في النشاط الاقتصادي للدولة فشهادة السلطان الزياني **عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان** تنصّ ذلك، عندما أرسل رسالة يرد فيها طلب **جاقمو الثاني ملك أراغون** (في حدود سنة 1323م .1324م قبل ابرام معاهدة صلح سنة 1327م) ، عن تسريح الاسرى النصارى الموجودين بتلمسان ، فيقول السلطان الزياني في رسالته ردا عن رسالة ملك أرغون وطلبه في استرجاع الاسرى :"...وأما ما أشرتم اليه من تسريح جميع من عندنا من الأسارى فذلك ما لا يمكن أن

1. الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص:38.
2. بسام كامل عبدالرزاق شقدان، المرجع السابق، ص:155.
3. عبد الأحد السبتي ، المرجع السابق ، ص: 162.163.
4. انظر الفصل التمهيدي .
5. الأخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص:38.

يكون كما لا يمكن لنا أن نطلب منكم تسريح من عندكم من اسارى المسلمين لأنكم تعلمون أن ما عمر بلادنا الا الاسارى وأكثرهم صناع متفننون في أنواع جميع الصنائع ولو طلبتم ما يستغني عنه الحال في تسريح خمسة أو ستة لأسعفنا مطلبكم وقضينا اربكم ، وأما تسريح الجميع فصعب الان ، ذلك يخلي المواضع ويعطل ما يحتاج اليه أنواع الصنائع ،فان أردتم أن تكون الصداقة بيننا وبينكم في ما عدى الاسارى[1]..." هذه الشهادة التاريخية تبين ان السلطان الزياني كان مستعدا ان يضيع الصلح والمعاهدة في سبيل امتلاك الصناع من الاسرى لانهم كانوا في تلك الفترة عماد الاقتصاد الزياني وهؤلاء الصناع المسحين كان فيه النجارون والبناؤون والزليجيون والزواقين وغيرهم ، فيحي بن خلدون يذكرهم هو الاخر ويذكر غير مفصلا الاعمال البنيان التي قاموا بها مثل القصور التي ذكرت سابقا[2]، وربّما هذه الزمرة من الحرفين والزلاجون هم أصحاب القصر الذي نحن في صدد دراسته وهم أصحاب الزليج الذي نحاول اكتشاف خباياه .

إلى جانب هذه المكوّنات والعناصر الاجتماعية المشكلة للدّولة الزّيانية يقسم سكان وأهالي تلمسان، والمغرب الاوسط عامة الى ثلاث طوائف: طائفة التجار، يصفون بالأوفياء في تجارتهم [3]فترتبت عن هذه الخصال الحميدة ازدهار التجارة في تلمسان في الفترة الزيانية ، ثم طائفة الصناع وطائفة النبلاء التي تحوي هي الاخرى الصناع [4]أو ارباب الصناع بما يسموا في منطقة المغرب الأوسط والاقصى المعلمين وقد يكونوا في حالة اقتصادية جيدة لهذا يضمون الى طائفة النبلاء ،ثم يضاف الى هذه الطوائف ،المحاربون و النبلاء من القوم الذين يعتزون كثيرا بما لهم من وجاهة وشجاعة لانهم هم الذين يرافقون الملك ولهم امتيزات واعفاءات مع الرواتب الحسنة [5]وفيما يخص الصناع فسوف نذكرهم بتفصيل في الفصول المقبلة ونشرح نموذج ورشات صناعة الزليج .

المظهر الاقتصادي: ازدهرت الدولة الزيانية في عدة مجالات اقتصادية فكانت الزراعة والفلاحة من النشاطات الاقتصادية البارزة فيها فلقد اتت كثير من كتب التاريخ على وصف بساتين وجنات وموارد الماء في تلمسان زد الى ذلك كانت توجد في حدود المدينة بساتين جميلة ومنتزهات(منيات[6]) يتوجه اليها السكان في أيام السلم وفي فصل الصيف لانها تضم عيونا

1. عمر سعيدان ، المرجع السابق ، ص:70.71.وانظر : محمد بن عمرو الطّمار ، المرجع السابق ، ص: 129.
2. بسام كامل عبدالرزاق شقدان، المرجع السابق، ص:154.
3. مارمول كربخال ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص: 300.
4. المرجع نفسه، الجزء الثاني ، صفحة نفسها.
5. نفسه، الجزء الثاني ، صفحة نفسها.
6. انظر الفصل الثالث ،ص :94 .

جارية باردة وقنوات المياه وصهاريج وبها حدائق كبيرة من اشجار المتنوعة مثل أشجار الزيتون التي تستخرج منها الزيت وأشجار الجوز وجميع انواع الفاكهة متلما هو الحال في أوربا كما توجد كروم كبيرة تنتج أصناف من العنب حلو الطعم كما توجد على مقربة من المدينة طاحونات تتسلسل مع القنوات و الوديان المدينة [1]. ما يجدر الاشارة اليه أنه هذه المنتزهات والتي تسمى المنيات أو المنية عبارة عن دور كانت هي الاخرى تزوق و تبلط بالزليج في الارضيات والجدران وسوف نأتي بشرحها واعطاء امثلة عنها في الفصول الموالية .

أ . الصناعة: تمثلها طائفة الصّناع والحرفيّن، وحفلت كتب التاريخ والتراجم والطبقات والحسبة بالإشارة الى اصحاب الصناعات والحرف فمنهم البنّاء، والصباغ، والحائد، والخيّاط، والزّجاج، والصّحان والسّقاء والفخار والزليجي وفي أغلب الأحيان معظمها مرتبطة بما تخرج الارض [2]أي أن المادة الخامة والاولية لتجسيد منتوجات هذه الحرف تأتي من الارض. وتختلف الصناعة من مجتمع بدوي الى مجتمع حضري [3]أي الصناعة التي توجد داخل مدينة تلمسان تختلف على الصناعة التي في أحوازها وقرها ومدنها الخارجية ، وهذا ظاهر جليا مع صناعة الزليج اذ لا نجد تقريبا تبليطات بالزليج في المناطق التي تبعد على تلمسان فهو منتوج حضري راق مخصص لطبقة معينة والعمائر التي تتمركز في المدينة من مساجد ومدارس وقصور ملكية. لكن هناك نموذج مذكور عن وجود الزليج بعيدا عن تلمسان وهي مدينة هنين وهي من موانئ الدولة الزيانية المشهورة والمزدهرة بلطت أرضيات منازلها بالزليج وكذا كانت أسافل جدران منازلها بالزليج ،ولقد اضمحل هذا النوع من التبليط والكسوة الجدارية مع دخول الاسبان وهران وهجرة سكانها لها وبقية الجنود في القلعة [4]في الحقيقة المنازل التي بهنين تحتوي أساسا على أرضيات من الأجر المربع الشكل ،هذا لا يعني أننا نشكك في شهدات و المعلومات التاريخية على حسب ماعايناه في الموقع الأثري في المدينة ويمكن أنه لم يبق من هذا الزليج المذكور اي أثر وذلك بفعل الهجر والتدمير البشري .

عرفت تلمسان بشهرتها في الصّناعة النسيجية وكان أغلب سكانها يعملون في النسيج والفلاحة [5]، كما اشتهرت تلمسان بتنظيم نشاطها الحرفي فخصص لكل حرفة جناحا لها وبأسواقها مثل القيصريات والفنادق وسوق الوراقين والفخارين والعطارين والصباغين والدباغين. وفيما يخص صناعة الزليج واماكن صنعه فربما كانت توجد صناعته بدار الصنعة ، كالتي

1. مارمول كربخال ، المرجع السابق، الجزء الثاني ، ص: 299.

2. يحى أبو المعاطي محمد عباسي، الملكيات الزراعية واثارها في المغرب والأندلس ، دراسة تاريخية مقارنة ،رسالة دكتورا ،اشراف : طاهر راغب حسين ، جامعة القاهرة ، قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، سنة2000م ، ص: 716.

3. بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان ، رسالة دكتوراه ، اشراف : عبد الحميد حاجيات ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ،كلية الاداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، سنة 2005.2006م، ص: 269.

4. الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص:64.

5. بودواية مبخوت، المرجع نفسه، ص:270.

بقرطبة التي كانت في بادئ الامر مخصصة لصناعة اللوازم السفن ثم حولت الى دار صناعة لوازم المدنية المختلفة واحتوت على العديد من أرباب الحرف، كما خصّصت دور في اماكن اخرى لصناعات الملوثة[1]، والزّليج يحتاج إلى أفران فربّما كانت دور صناعته مع دور صناعة الفخار خارج اسوار تلمسان لكن ما حيّر الباحث هو معاينتنا لمناطق صناعة الفخار القديمة من باب القرمدين، وأقادير، قرب برج الغميس المنطقة الشمالية، لتحصين مدينة اقادير، وجدنا كميات معتبرة من القطع الفخارية لكن لم نجد ولا قطعة واحدة للزليج رغم أنه هو الاخر يتطلب عملية حرق في الافران .وهذا جانب من التساؤلات المطروحة ، مكان وجود دور صناعة الزليج وأفران حرقه؟، الجواب على هذا السؤال يتطلب تمحيصا وبحثا مدقّقا، ويمكن فيه المقارنة ممّا كان موجودا في فاس بالمغرب الأقصى، والأندلس، ومطابقته على تلمسان ومن ثم البحث عن هذه الدور والأفران .

ب . التجارة : احتلت الدولة الزيانية الريادة في مجال التجارة بالمنطقة وذلك لما تتمتع به من خصائص جغرافية فقد كانت عاصمة المغرب الاوسط عبارة عن نقطة تتلاقى فيها الطرق التجارية في مقدمتها طريق الذهب زد الى شهرة تجارها بسمعة الطيبة والاستقامة ،وقد تضاعف هذا النشاط التجاري خاصة من جهة الخط الصحراوي الافريقي المار بسجلماسة ثم بمالي والسودان ولقد تضاعف اكثر باهتمام الأوربيين النصارى بالمغرب الأوسط و بتلمسان التي كانت تعتبر لديهم ارض بربرية مختلفة عن افريقية والمغرب الأقصى وكانت القوافل المارة بالصحراء تحمل الى تلمسان الملح والعاج وريش النعام والصماغ والطيب والعنبر بالإضافة الى هذا كله القوافل الوارد من الجنوب ومن أعماق الصحراء المحملة بدقيق الذهب(التبر) الذي يحضر من اعالي نهر النيجر وأعالي بلاد السينغال ،والتمبوك ومن المالي وكذلك من بالهولا المعروف ذهبها مند القدم بالغرب ،فكان اهل تلمسان والمغاربة عامة من التجار يقايضون الملح بالذهب ، وكانت ممالك افريقيا والمغرب وخاصة محور تلمسان ـ سجلماسة تكون مركز تموين من مادة الذهب أساسا وبدونه لا تستقيم التجارة في هذه المنطقة [2] . هكذا كانت أهمية تلمسان في المجال التجاري و كان الذهب محور تجارتها واشتهرت عدة عائلات تلمسانية بالتجارة به .وهذه التجارة الثمينة سمحت لملوك تلمسان في التفنن في عمائرهم وسمحت لهم بالقدرة على التزويق القصور بالجص والزليج ، وربما سمحت لهم حتى بجلب صناع وحرفين لهذا الغرض لأنهم كانت تجارتهم مزدهرة في أيام السلم توفر لهم مطالب الرقي والرفاهية المعروفة عن الملوك .

1. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، المرجع السابق ، ص:129.130.

2. عمر سعيدان ، المرجع السابق، ص: 20.23.

المظهر الدّيني والاشعاع الثقافي: دين الدولة الزيانية هو الاسلام وبنو ملوك بنو زيان عدة مساجد لصلاة أما الاشعاع الثقافي وهو المدلول الذي أصبح يطلق على مختلف مظاهر المعرفة والفنون والسلوكات والقيم والعادات والازدهار الفكري والعلمي وما ينجم عن ذلك من انتاج وابداع [1]وفي الدولة الزيانية وتلمسان كان التعليم منتشرا في شتى المدن والقرى كان يشمثل في بادئ الامر بتعليم الكتابة وتحفيظ القران في المساجد والكتاتيب والزوايا ثم تطور الحال وجاء الاقبال على علوم اللغة و الفقه والآداب واتجهوا نحو التخصص في العلم ،وزادوا تفصيلا وتعميقا في مجال علوم الدين من قراءات وتفسير وحديث والفقه والعلوم العقلية والأدب[2] ، وكان سلاطين بنو زيان يولون العناية الفائقة بالعلم والعلماء وذلك مند تأسيس الدولة من طرف يغمراسن الذي سن هذه السنة[3] فتبعه اليها باقي السلاطين فبنو لهم المعاهد والمدارس وقربوهم اليهم في بلاطهم الملكي وكانوا يجرون الارزاق والمنح للأساتذة والطلبة والموظفين بالمدارس والمؤسسات التعليمية الثقافية ، زد على ذلك دعوة العلماء المشهورين لتدريس في تلمسان [4]. فترتبت عن هذه المجهودات ظهور نخبة من العلماء والطلبة المتفوقين الذين قد يكونوا قد شاركوا في ازدهار صناعة الزليج وذلك بتخطيط ورسم وحساب معادلات جديدة تسمح بتشكل أنماط جديدة من الزخارف الهندسية والنباتية للزليج ، وذلك على حسب طلب السلطان ، لأننا لا نشكك في أن الملوك كانوا يتسابقون في العمران فمن المحتمل تسابقوا أيضا على انماط جديدة من الزخارف الزليج التي لا يوفرها الا الطبقة المثقفة والمتعلمة ، وهكذا قدم ازدهار العلم الكثير للعمران والتزويق وصناعة الزليج وبمقابل لا يمكن للعلم أن يزدهر الا حيث تنتشر مراكز التعليم ، وكان من حظ تلمسان في هذه القرون أنها ورثت مجموعة لا بأس بها من المدارس ذات المستوى العلمي الكبير شيد الزيانيون أغلبها خلال فترات متعاقبة وقد أشار يحي بن خلدون الى هذه المدارس بقوله :" ....و المعاهد الكريمة .." وو صفها الحسن الوزان بأنها "... حسنة جيدة البناء ، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية ، شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس[5] "

1. عبد الحميد حاجيات ، تلمسان مركز اشعاع ثقافي في المغرب الاسلامي ، هذا البحث ألقي في الملتقى الدولي حول المراكز التقافية في المغرب الاسلامي ، وهران ، 18. 20 أفريل 1993م ، ونشر ضمن أعمال الملتقى ، ثم أعيد نشره في مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، عدد 10، ص: 181. 192.

2عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني،المرجع السابق ، ص: 47 .

3. عبد الحميد حاجيات ، تلمسان مركز اشعاع ثقافي في المغرب الاسلامي ، المرجع نفسه، ص: 181. 192.

4. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ، المرجع نفسه ، ص: 47. 49 .

5. محمد مشنان ، المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية ، أستاذ بكلية العلوم الاسلامية ، الجزائر ، 2009/12/2م ، ص: 3.

إضافة الى المدارس التي زخرت بها تلمسان فقد ورثت تلمسان عن الفترة الزيانية عدة معالم وبنايات منها ما اندثر ومنها ما هو باقي شاهد عن هذه الدولة التي عمرت المغرب الأوسط والتي كانت عاصمتها تلمسان ، لهذا نجد أغلب المعالم الزيانية التي هي في حالة جيدة في المدينة المذكورة والتي استعمل الزليج في أغلبها .

الفصل الثّاني:

تقنيّات الزليج كفنّ حرفي مغربيّ أندلسيّ.

- لمحة تاريخية عن ظهور الزليج في الأندلس والمغرب وتلمسان -حرفة الزليج و تقنيات صناعته والورشات المتداولة على تجسيده

-الأشكال و العناصر الفنية للزليج الهندسي والنباتي والألوان المستعملة

-المعالم التلمسانية التي تزخر بالفن الزليج

1. لمحة تاريخية عن ظهور الزليج في الأندلس والمغرب وتلمسان:

لقد قدّمنا في التّمهيد لمحة تاريخية عن الزّليج، لكنّنا في هذا الفصل سنأتي بشيء من التفصيل في ذلك.

كما ذكرنا سابقا يعتبر الزليج من المنظومة الزخرفية التزينية المتسلسلة (خشب مصبوغ أو منقوش ،جص، زليج) التي كانت تمارس على المعالم المغاربية والاندلسية على الجدران والأرضيات والواجهات الخارجية بنسبة أقل[1]. لكن السؤال المطروح هو الى أي فترة بالضبط يعود هذا التقليد الحرفي في المغرب الاسلامي والأندلس ؟

إنّ أغلب الباحثين في مجال علم الآثار الاسلامي و المغربي يرون أنّ الزّليج التقنية التزينية يعود ظهورها الى القرن 12م [2] وهذه الاشارة تؤكد بشواهد مادية وهي الزليج المتواجد في (صومعة مسجد الكتبية[3]) بمراكش بالمغرب الذي يعود بناؤها للفترة الموحدية ، وأيضا مسجد القصبة في مراكش الذي استعمل فيهما الزليج بألوان الأزرق التركوازي والأبيض[4]، لكن بعض الباحثين يرون أن هذا الفن التّزييني ظهر في فترة متقدمة عن هذا القرن أي في القرن 10م، ويكؤدّون أن هذ الفن هو عنصر تزييني بربري وإسباني، وصل الى المغرب الأقصى خاصة من البربر الجهة الشرقية من المغرب الاسلامي[5]، نحن لا نشكك في هذه الفرضيّات التي قد تكون لها خلفيات علمية ، لكن ما ذكرناه سالفا من اشارات تاريخية من المصادر والمراجع التاريخية في الفصل الأول في العنصر المظاهر الاجتماعية للدولة

---

1. ينجز الزليج في الواجهات الخارجية خاصة في الأبواب المداخل الكبرى لتحصينات والقصور والمدارس والى يشبه ذلك ، وكان تزين هذه الوجهات بالزليج فتعطي عند انتهاء من العمل شكل قوس يعلوا المدخل فاستعمال الزليج كان في البنيقيات التي تعلوا المدخل . وكان استعمال أخر للزليج في الواجهات الخارجية للصوامع المساجد فكانت الزليج يتخلل شبكة معينات بدن الصومعة كما كان يستعمل الزليج أيضا في الجوسق . ويمكن ملاحظة في تلمسان اختلاف في استعمال نسبة الزليج في صوامع الزيانية بالمقارنة مع الصوامع المرينية ، فصومعة الزيانية أقل استعمالا للزليج بالمقارنة مع الصومعة المرينية ، كما يبدوا اختلاف واضحا في أماكن استعمال هذه التزينات الخزفية ،

2 .Dominique clévenot, Gérard Dégeorge , Op.cit,p:105.

3. بنيت هذه الصومعة في نفس الوقت التي بنيت فيها منارة اشبيلية (أنظر: **ابن أبي زرع الفاسي ،المصدر السابق ، ص: 269**) المشهورة التي فقد بعضا من ملامحها بعد الاحتلال المسيحي لإشبيلية، ولم يلاحظ استعمال الزليج فيما بقى من هذه الصومعة الاندلسية ، فلربما هذه دلالة تاريخية على ان المغرب الاسلامي و الأقصى منه خاصة سبق بصناعة الزليج الأندلس ، لكن الجزم في هذا القول مستحيل في هذه الفترة لأن الجزء العلوي من المنارة (أعلى البدن والجوسق) غيرت ملامح اذن يبقى هذا التخمين مجرد فرضية تنتظر الإثبات . لكن ماهو معلوم عند الباحثين أن منارة الاشبيلية هي قرينة منارة الكتبين و منارة مسجد حسان بالرباط بالمغرب تشبهما من الداخل والخا رج ، أمر بإنشاء هذه المنارات الخليفة **يعقوب المنصور** الموحدي ، وقيل في شأن المنارة الكتبية أنها بدئ انشائها في عهد الخليفة عبد المؤمن ولم تكمل الا في عهد حفيده المنصور ، وعلى أي حال ثم انشاء الكتبية في سنة 594هـ بعد تمام منارة اشبيلية بقليل (أنظر: **محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ص: 54**.) هذه الاشارة الأخيرة تأكد أن صناع منارة الكتبية ومنارة اشبيلية مختلفين لان فترة انشائهما متقاربة فتواجد فرقتين من الحرفين والبنائين فمغاربة استعملوا الزليج أما الأندلسيّون فلم يظهر عليهم ذلك ، فهنا نشكك في التقليد الذي ينص أن الزليج فن أندلسي انتقل الى المغرب الاسلامي .

4 . Ayed Ben Amara , Op.cit,p :105. – Alessandro Zucchiatti et d'autre , Op.cit., p :1.

5 . Robert Brunschwig , Op.cit,P:7 .

الزيانية في تلمسان والعناصر السكانية المكونة للدولة الزيانية أن البربر في تلمسان وحتى في الأندلس لم يظهر لهم ممارسة حرفة الزليج على الأقل في الفترات الأولى(القرن 12م 13م 14م)، بل كانوا يحترفون الفلاحة والرعي والى ما شابه ذلك ، وما ظهر على العناصر التي مارسته هي الفئة المسيحية لربما هو امتداد للفسيفساء البزنطية لكن لا يمكن الجزم في ذلك لأن هذه أمور تاريخية تتغيرة بظهور الشواهد المادية الأثرية التي يمكنها الفصل في هذه الامور . وهناك ما ينشد فكرة أن الزليج ظهر في الاندلس في القرن 11م وانتقل الى المغرب الاسلامي[1]، لكن ما يفصل في هذه الأمور التاريخية هي الشواهد المادية الباقية من جهة والمكتشفات الأثرية التي تظهر في الحفريات المختلفة المغرب الاسلامي والأندلس .

فالتّرجيح الكبير عن فترة ظهور الزّليج يعود للقرن 12م وذلك بحكم الشواهد الباقية في انتظار اكتشافات أثرية تبرهن العكس .هذا من جانب الشواهد المادية الأثرية الباقية لكن هل تتوافق المصادر مع هذه النتائج في الحقيق لم تذكر المصادر عن تاريخ ظهور الزليج في المغرب والأندلس بصفة واضحة[2] ويمكن اللجوء فقط على الاحصاءات التي كان يقوم بها المؤرخون في تلك الفترة على الحرفة التي مورست ونرى هل ذكر الصناعة الزليج في الفترات الأولية لهذا القرن او ما اذا هو مذكور في نهايته ، والاشارة الوحيدة التي وجدنها في المراجع هي التي ذكرها المؤرخ ابن أبي زرع في كتابه روض القرطاس الى استعمال الخزف في البناء فيقول :"...ولم يشرع في استخدام المربعات الملمعة الا في هذا العصر .."[3] اشارة هامة لكنها للأسف غير واضحة[4] للجزم بأن هذه الصناعة الخزفية هي بالفعل الزليج ، ولهذا المؤرخ جرد للصناعات الحرفية في المغرب الأقصى في الفترة الموحدية يمكن أن يسلط الضوء على ما اذا كان الزليج ظهر في الفترة متقدمة عن العصر الموحدي ام لا ، ويقول في هذا الاحصاء عندما يتكلم عن مدينة فاس :"...وبلغت مدينة فاس أيام المرابطين و أيام الموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والدعة ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب وانتها عدد مساجدها أيام (المنصور وولده الناصر[5])الى سبعمئة واثنين وثمانين مسجدا مسجدا .....كان بها من ديار لعمل الصابون سبع و أربعون دار ، ومن ديار الدباغ ست وثمانون دارا ، وديار

1. نجاة عروة ، المرجع السابق ، ص 140.

2. زد الى هذا الخلط الكبير الذي يحدث في المراجع القديمة وحتى الجديدة من دراسات جامعية في نسب الزليج وتقنية صنعه و التسميات المختلفة التي تعطى له أو تسميته هو التي تعطى الى نوع اخر من البلاطات الخزفية ، هذا ما أشرنا له في الفصل التمهيدي .

3. زهرة عساوي ،مربعات الخزف في الجزائر (الفترة العثمانية) ، البرزخ ، الجزائر العاصمة ،2003م ، ص:6.

4. بحثنا في المصدر المذكور عدة مرات عن هذه الاشارة لكننا لم نجدها ، والاشارة في المرجع غير واضحة وبدون احالة. المرجع المقصود هو زهرة عساوي ،مربعات الخزف في الجزائر (الفترة العثمانية)

5 . هما يعقوب المنصور بن يوسف(580هـ/1184م)، محمد الناصر بن يعقوب (610هـ/ 1213م) . أنظر : يحي بو عزيز،تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع السابق ، ص: 200.

الصباغ مئة دار وستة عشر دارا ، وكان بها اثنتا عشر دار لسك النحاس ، وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير وطفيه مئة كوش وخمس وثلاثون كوشة . وكان بها من الافران في جهاتها وأزقتها ألف فرن ومئة وسبعون فرنا ، وكان بها أحد عشر موضعا لعمل الزجاج وبخارجها من الديار المعدة لعمل الفخار مئة دار وثمان وثمانون دارا[1] ".فنلاحظ أنه لم يتم ذكر دور لصناعة الزليج في هذه الفترة وهذا يطرح تساؤلا عن ذلك لأن منارة الكتبية بنيت في هذه مرحلة المذكورة في مدينة مراكش ،وفاس مشهورة بصناعة الزليج عن مراكش اليوم فهل مراكش سبقت مدينة فاس في صناعة الزليج[2] أو تزين منارة الكتبية جاء في مرحلة متأخرة عن بناء الصومعة، وهذا نشكك فيه أيضا ،أو كان ظهور صناعة الزليج في هذه المرحلة محتشما أي أن هذه المرحلة هي بداية صناعة الزليج فوجد في المنارة لكن لم يكن بعد منتشرا لتقام له دور صناعة مخصصة له . تساؤلات عديدة تبقى اجابة عنها بالبحوث المكثفة ،لكن المعروف أن أقدم شاهد مادي للفن الزليج في المغرب الاسلامي هو الذي هو مرصع في منارة مسجد الكتبية بمراكش .فإذن نحن نرجح أن زليج المغربي يؤرخ لفترة حكم **يعقوب المنصور بن يوسف** في نهاية القرن 12م وليس قبله وذلك أيضا أنه عرف عن الموحدين في بداية حكمهم بالتقشف وكانوا معادين لأنواع فنون التزويق المعمارية ، حيت ذكر في كتاب روض القرطاس فقهاء والأشياخ فاس يضطرون أن يستروا النقش والزخرفة الواقعين فوق محراب جامع القرويين لما علموا بزيارة عبد المؤمن لهم ، وخافوا انتقاده لهم ، فهكذا كان الحال في الدولة الموحدية في بادئ الامر ثم خلف من بعد خلف أحبوا الفنون التزويق في المباني والعمائر [3]فأبدعوا فيه حتى وصل وتوارث ليصل باقي الدول التي خلف الموحدين فأبدعوا فيه حتى أصبح ذروة ازدهاره في القرنيين 13م14م .

1. ابن أبي زرع الفاسي ،المصدر السابق ، ص:47 .48 . أنظر أيضا: علي الجزنائي ، جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ، أكادمية المغربية ، الطبعة الثانية ، سنة 1991م ، ص: 43 . 44.

2. هناك بعض الاشارات التاريخية أن مدينة مراكش كانت مزدهرة عهد الموحدي في الميادين البناء وكانت مدارسها مزينة بالزليج من الطين المشوي اللماع المقطع ، وكانوا زليجها راقي ، لكن لما استقروا بنو مرين في عاصمتهم الجديدة فاس ، ضر هذا بمراكش (أنظر : الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المصدر السابق ، ص: 131 .132 . و أنظر عبد الأحد السبتي ، المرجع السابق، ص: 181 .182.) وربما ان صناعة الزليج كانت مزدهرة بمراكش في فترة الموحدية وعند قدوم المرينين ونقلهم عاصمتهم الى فاس تدهورت صناعة الزليج في مراكش وازدهرت في فاس وهذا بديهي لأن الصناعة الزليج هي صناعة تمارس لتبليط القصور وبنايات الملكية خاصة وبنايات النبلاء .حتى عرف عن صناع مدينة فاس من الزلاجون أنهم كانوا ينتقلون الى مدن مغربية أخرى لعمل الزليج (أنظر : روجيه لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة : نقولا زياد ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، نيورك، سنة 1967م ، ص : 138.)

3. محمد المنوني ، المرجع السابق، ص: 178.

أمّا في الأندلس فتشير بعض الدراسات التاريخية والشواهد المادية الاثرية أن أول استعمال لهذا الفن التزويقي هو في (**برج الذهب**[1]) الموجود في اشبيلية سنة 617هـ / 1220م،1221م [2]أي في عهد السلطان الموحدي **يوسف المنتصر بن محمد** ،فهذا يزد على اعتقاد أن منارة مسجد إشبيلية الذي أمر ببنائها **المنصور** لم تكن مزدانة بالزليج ، وقرينتها الموجود في مسجد الكتبيية زلجت واجهتها العلوية فيفسر عن هذا أنه لم يكن هناك زلّاجون في الاندلس حتى مرحلة يوسف المنتصر ، وهذه الاشارات تنفي فردية أن الزليج هو حرفة أندلسية ظهر بها وطورت ثم انتقلت الى المغرب الاسلامي .

أمّا في تلمسان فللأسف ليست عندنا شواهد مادية كثيرة للفترة الموحدية بالمدينة ، ولا وجود لزّليج الفترة الموحدية في تلمسان، فأول ظهور لهذا الفن كان في منارتين (أقادير و المسجد الكبير) ، اللتان أمر ببنائهما السلطان يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية سنة 633هـ لمسجد الجامع بتاجرارت و المسجد العتيق بأقادير وهما مزدانتان بزليج تلك الفترة ،ومرت هذه الصومعتان على ترميمات عديدة لكن مازالت قطع من زليج تلك الفترة باقية تشهد على فن الزليج الزياني.

حقيقة أنّ تلمسان تأخرت عن صناعة هذا الفن المعماري التزويقي، لكن هذا لا ينفي أن أهل تلمسان تعلموه، ومارسوه، وانتقلوا لممارسته خارج تلمسان ، فهذا التقليد كان معروفا في تلك القرون مثل ما كان يحدث مع زلاجيّ مدينة فاس في العهد المريني فانهم كانوا يتنقلون لعمل الزليج[3] ،كما طلب السلطان الزياني أبو تاشفين الأول بإحضار بنائين وصناع وزلاجين من عند الوليد ملك غرناطة [4]، كان من الممكن أن يطلب السلطان من الدول المجاورة استعمال الزلاجين تلمسان في فترة من الفترات أخرى وذلك أن تلمسان اشتهرت بالصناعات، فلا يمكن ان تكون تلمسان لا تملك فئة الزلاجين حتى وان لم تشر اليهم كتب التاريخ ، أضف الى لذلك أنّ فاس

1- برج الذهب :أسسه الخليفة الموحدي أبو العلاء ادريس بن المنصور ، تدعيما لسور اشبيلية ، تزدان أوجه البرج بعقود صماء نصف دائرية مطولة مع مفصصة واخرى مدببة توأمية ، وتزدان بنيقيات العقود بمعينات من الزليج المزجج تتناوب فيها الخضراء مع البيضاء .أنظر : السيد عبد العزيز سالم ، العمارة الاندلسية في الأندلس وتطورها ، بحث من مجلة عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، عدد أبريل مايو . ينيوا ، الكويت ، سنة 1977م ، ص: 130.129.

2. ج.س. كولان ،الأندلس ، المرجع السابق ص: 171.

3. روجيه لوتورنو ، المرجع السابق ،ص: 138.

4. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني، المرجع السابق ، ص: 83 .

كانت تشكوا منافسة تلمسان لها في بعض الميادين الحرفية[1] ، فمن المحتمل أن الزليج كان من ضمن تنافس حرفي المدينتين.

وفي الأخير تجب الإشارة إلى أنّ هذا الفنّ التزويقي، كباقي الفنون الأندلسية المغربية لم يتغير كثيرا بل بقي قائما في صورته المتحجرة هذه بالمغرب عدة قرون ونكاد نقول انه لا يزال يعيش على النحو الى اليوم [2] اللهم الا بعد ظهور أشكال جديدة لقطع الزليج أو اختلاف المادة الخامة خاصة في ما يخص الألوان .

2 . حرفة الزليج و تقنيات صناعته والورشات المتداولة على تستجيده:

أ. حرفة الزليج : من المعلوم أنه في القرون الوسطى، في المغرب الاسلامي كانت التقنيات الصناعية بسيطة شأنها شأن الادوات والمواد الخام التي كانت تستعمل لإنتاج، فقد كانت تقوم أساسا على مهارات والخبرات التي اكتسبوها من الممارسات الطويلة والتي كانت تبدأ منذ الصغر [3] وهذا كله للاهتمام الذي كان يوجه للحرف والصنعة ، وهذه الممارسات والمعرفة الحرفية مازالت تمارسه في المدن المغربية والتي لم يطرأ عليها تقريبا أي تبديل منذ قرون قد خلت ، بأسرارها التي تحتفظ بها بعض الأسر[4] ، فان سر صنعة كان ينتقل من الأب الى الابن كما كانت صنعة تنتقل [5]، ولكن حتى لو انقرضت بعض هذه التقنيات الصناعية بسبب وفاة فجائية لحرفين المعلمين ، فان الاقتصاد الخاص بتلك الصناعة نفسها لم يكن يتغير بسبب ذلك[6] .وحرفة الزليج هي من بين الصناعات الوراثية التي كان يرثها الابن الابن عن الاب وبأسرارها ،لذلك كان من الصعب التعرف على خبايا هذه الصنعة في البحوث الأكاديمية.

وتنسب صناعة الزليج الى جماعات الصناع التي كانت تزود السوق بالمواد الأساسية لصناعات البناء المختلفة ، ومن هؤلاء أيضا صانعوا الاجر ومنهم صانعوا الفخار الذين ينتجون قنوات صرف المياه ويصنعون قرميد السطوح والزليج لتبليط الغرف وتزين أجزاء السفلى من الجدران [7]، وهكذا فان الزليج ينظم الى صناعات الفخارية لذا في

1. روجيه لوتورنو ، المرجع السابق ، ص: 163.

2. ج.س. كولان ،الأندلس ، المرجع السابق ، ص:175.

3. ما زال هذا التقليد قائما في المغرب الأقصى ، فلقد سألنا بعض المغاربة من صناع الجص والزليج الذين عملوا في اعادة بناء وتزويق البناية الجديدة للقصر المشور بتلمسان عن منطلق حرفتهم وبداية تعلمهم لهذه الصنعة ، فأغلب أحيان يبدأ المتعلم من السن ثامن و تاسع .

4. روجيه لوتورنو ، المرجع نفسه ،ص: 150.

5. يحى أبو المعاطي محمد عباسي ، المرجع السابق ص: 716. وأنظر : روجيه لوتورنو ، المرجع نفسه ،ص: 150.

6. روجيه لوتورنو ، المرجع نفسه ،ص: 150.

7. ،نفسه ،ص:131.

الاشارات التاريخية عن ظهوره لم تكن واضحة لأنه صنعة تنسب الى مجموع الصناعات الفخارية المتعلقة بالبناء . ويقصد بالجماعات المهنية الطوائف الحرفية التي تضم العاملين في مهنة واحدة وكان جميع العمال بما في ذلك المبتدئين جزءا من الطائفة وقد كان في كل طائفة نوع من التسلسل الإداري على ثلاث درجات: المستخدمين ، والصناع والمبتدئين [1] أو بتسميات مختلفة لكن بنفس المفهوم و الوظيفة : شيخ الصنعة (المعلم) والصانع المدرب، والمتعلم (الصبي)وكان من حق الشيخ ان يستثمر أمواله الخاصة وحده أو مع شركاء ليوفر ما تحتاج اليه الطائفة من لوازم صناعية[2]، ويكون هذا التسلسل أوضح في الطوائف ذات الأعداد الكبيرة ،وهذا التنظيم والتسلسل الاداري الحرفي لم يكن صارما في طبيعته فقد كان على المبتدئ كي يصبح صانعا ، أن يكون قد بلغ سن الرشد و أن يكون متقنا في عمله ومحيطا بجوانب الصنعة التي يمارسها ولم يكن يترتب عل المتعلم اجتياز اي امتحانات ليثبت ذلك .احتمال كبير أنه هكذا كان الحال بنسبة لطوائف الزليج أيضا في القرنين 13م 14م بتلمسان لكننا لا نعرف ان كانت الورشات الحرفية المتداولة على تصنيع الزليج وتركيبه وتثبيته على الجدران و الأرضيات تشكل طائفة واحدة .

أمّا فيما يخص أماكن صناعة الزّليج، فكانت كباقي الصناعات المدينة ،كان الحرفيّون يتدبّرون أمورهم في أماكن يمكن استعمالها لأكثر من غرض واحد ،فقد تقوم المصانع في الطابق الأرضي من البناء بينما الطوابق الأخرى تستعمل لأغراض اخرى ، أو قد تنشأ مصانع واسعة بحيث تتسع لعدد كبير من الأنوال ، فتسمى دار الصنعة ،أو قد تكون حوانيت بسيطة تشبه في شكلها وحجمها حوانيت التّجارة[3]. لكن ما كان يتطلب الحرق مثل الزليج ، فأفرانها كانت في أغلب الأحيان خارج المدينة لكي لا تضر بأهل المدينة . فيما يخص دور صناعة الزليج في تلمسان في العهد الزياني فليس عندنا أي اشارة لها أو حتى في المناطق المحتمل تواجدها .

وصناعة الزليج هي من النماذج الحرفة التزويقية، وله منظومة حرفية عبارة عن عدّة ورشات متداولة لصناعة الزليج التي توجد في مدن المغرب الأقصى. وفي الحقيقة هذه المنظومة التصنيعية للزليج هي تقنية صناعته ومراحل تجسيده .

ب . تقنية ومراحل صناعة الزليج والورشات المتداولة على تجسيده: (أنظر اللوحة رقم : 15)

1. روجيه لوتورنو ، المرجع السابق ،ص:140.
2. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الأندلس ،المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص:131.132.
3. روجيه لوتورنو ، المرجع نفسه،ص:146.

لم يأت الكثير من الباحثين على ذكر طريقة وتقنية ومراحل صناعة الزليج في القرون الوسطى بشكل مفصل وبالأخص في تلمسان ،فلدينا جورج ووليم مارسي يتحدثان عن تصنيعه :"...تتكون من مجموعة من الرقاقات المبرنق بالألوان شتى ومقطعة حسب رسم معين ومرصوصة على نسق بين ليتم بعد ذلك بردها وصقلها ثم جمعها وشدها بملاط من رمل وكلس ، فتشكل ألواحا سمكها حوالي 0.5سم ، فتثبث على الجدران المراد زخرفتها بمسامير عظيمة أو خشبية مشدودة بوصلات[1] ." هذا الشرح للأخوين يعتبر تلخيص لعملية ومراحل تصنيع الزليج لم يذكر فيه تفاصيل التقنية الحرفية .

للحصول على المنتوج النهائي المتمثل في قطع من الزليج اللماع المركبة لتشكل زخارف هندسية أو نباتية أو كتابية ، توجب المرور بعدة مراحل وهي عبارة عن ورشات حرفية منها ما تهيئ العجينة ومنها ما تشكله في قوالب ومنها ما تقطعه ومنها ما تحرقه في الأفران ومنها ما تجمعه وتجسده على الارضيات والجدران المختلفة .

يعرف الزليج بأنه بلاطات او مربعات من التراب المحروق بقياسات 10×10 مبرنقه أو مطلية بطلاء لماع[2] وقد نجدها بقياسات 5×5 أو حتى 3×3 وسمكها يبلغ تقريبا 1,2 سنتمتر[3] هذه المربعات تقطع يدويا الى قطع بمطرقة ذات حدين قاطعين تسمى **المنقاش**[4] وهذه القطع عبارة عن أشكال مختلفة الأحجام و الألوان ، التي يبلغ عددها حوالي 360 شكل ،و يوجد اليوم حوالي 47 لون والتي تكون بذلك العديد من الزخارف المركبة[5]، هذه القطع العديدة توضع على وجهها المطلي المبرنق على أرضيات تكون بها رسومات لخطوط ودوائر لتسهل عملية تركيب القطع فيما بينها والعمل يكون أيضا يدويا ويتطلب التركيز لكي لا تكون أخطاء في اللوحات الزخرفية من حيت اللون لأن الحرفي عند قلب القطع على وجهها لا يمكنه رؤية لونها[6] .ثم يوضع فوقها مادة لاحمة كالإسمنت والجير وفي القديم كانت المادة اللاحمة عبارة عن ملاط ترابي وجير ثم تجف هذه اللوحات ثم تركب على الارضيات القصور والمنازل أو على جدرانها .

1 . وليم و جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، المرجع السابق ، ص: 72.

2 . André paccard , le Maroc et l'artisanat Traditionnel islamique dans l'architecture, tome 1 ,éditions atelier 74,france ,1981, p :357 .

3 www.ambafrance- ma.org/efmaroc/

4 . André paccard , ibid., p :357 .

5 www.ambafrance- ma.org/efmaroc/

6 - André paccard, ibid., p :357 .

هذا الشرح يعطي صورة مصغرة عن صناعة الزليج لكن اكثر تفصيلا هناك عمليات كثيرة تتطلب ورشات مختلفة تتداول لانتاج هذا الفن المعماري ولنا نموذج عن ورشات مدينة فاس المغربية لأن في تلمسان ليس لنا اشارات تاريخية عن هذه الورشات ، لكننا نتوقع أنّها تشبه تلك الموجودة في فاس وهي كالآتي:

–ورشة تحضير العجينة : طينة مدينة فاس مشهورة وجيدة لصناعات الفخارية وتدخل هذه الطينة في خلطة صناعة الزليج ، ستخرج هذه الطينة على شكل كثل ترابية ثم تغمر لمدة 24 ساعة في حفر تشبه صهاريج تسمى زوبا (zouba) بها نسبة من الماء ثم يخلط ويعجن الكل يدويا بالأيدي والأرجل حتى تصبح العجينة الطينية متناسقة ومنسجمة ومجهزة لتصنيع [1].وعن طينة مدينة تلمسان التي تصنع بها الزليج لم تصلنا أية اشارة ماعد التي ذكرها الأخوين جورج ووليم مارسي وهي اشارة بسيطة جدا فيقولا : " وطين الخزف المطلي أحمر داكن بعض الشيء[2] ..."

ـ قولبة المربعات : توضع الخلطة المتناسقة في قوالب من خشب على شكل مستطيلات ، ثم تجفف بتعريضها للشمس مدة زمنية حتى تتماسك وتجف جفافا غير كامل لكي تضغط أسطحها وتضرب بمضارب خشبية مسطحة هي الأخرى، وتملس أسطحها بألواح ثم تفصل الى مربعات ذات القياسات المذكورة أعلاه ، ثم تجفف للمرة الأخيرة على حسب معرفة الصانع ،و يستلزم لهذا التجفيف مراقبة طقس معين[3] ، حيث لا ينصح بالتجفيف عند ارتفاع الكبير لدرجات الحرارة، ويستأنف العمل الا بعد انخفاضها لكي لا تتشقق المربعات ،وهناك مقول يرددها بعض المعلمين الزليج فيما يخص الطقس أنه اذا لم تكن الشّمس لا يكون الزّليج .

ـ حرق المربعات : تتم عملية الحرق على مرتين ، المرة الأولى تكون المربعات بدون الألوان[4]، لكي تتماسك المربعات أكثر لتعامل معها، عند غمر أسطحها الملساء في طلاء اللماع [5]، وعادة يكون هذا الطلاء اللماع بمثابة لاحم آخر يفيد لتقوه المربع، وللحصول على هذا الطلاء اللماع نحتاج عادة الرصاص و رمل الذي يجلب من مدينة مكناس المغربية يحرقان في فرن خاص فنحصل على مسحوق يخلط بنسبة من الماء ويوضع في أحواض وتغمر

1 André paccard,Op.cit, p :357 . voir :WWW.ambafrance- ma.org/efmaroc/

2 . وليم و جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان ،المرجع السابق، ص: 73.

3 www.Merzak.bolg.fr ,p :3.et: André paccard, ibid. ,1981, p :357

4 www.Merzak. bolg. fr,p :3

5 . Ibid,p :3

المربعات ذات الاسطح الملساء فيه وذلك يدويا بأيدي متمرنة [1]، وتشكيلة الألوان الزليج متنوعة سوف نذكرها في عناصر مقبلة .

ثمّ يأتي الحرق الثاني الذي ينتج منه، ظهور ألوان مربعات الزليج من الأبيض، الأسود، الأزرق، الأخضر، الأصفر، البني، الأحمر[2]، وهي الألوان المستعملة في فترة القرون الوسطى بتسلسل متفاوت.

درجة حرارة الفرن تقارب 800 درجة [3]، ويسخن الفرن من الأسفل أو من قاعدته [4]، يزود عادة وباستمرار وبدون انقطاع بأعلاف الزيتون تكون مفتة أو بوقود اخر لكن الشرط أن يكن هذا الوقود جاف[5]، توضع مربعات الزليج بترتيب معين ،في الأسفل المربعات التي يمكن أن تتحمل ألونها درجة حرق مرتفعة بقليل مثل: الأبيض في الأعلى المربعات ذات الألوان الحساسة مثل: الأخضر[6]، والترتيب يكون على النحو التالي اللون الأبيض في القاعدة ثم يأتي الأزرق ثم الأخضر[7] في الورشات الكبيرة التي تتعامل مع المشاريع الكبيرة يمكن أن نجد أفران ممتلأة الا بلون واحد لا يهتم لحساسية الألوان لدرجة الحرارة ، وقد نجد في مدينة فاس المغاربية أفران مخصصة لألوان واحدة (أي لون واحد للمربعات في فرن واحد لا يتم خلط ألوان في فرن واحد)فيكون المنتوج مختلفا حسب موضعه في الفرن وعند اخراج هذه المربعات الزليج ترتب على حسب اختلاف درجات ألوانها فيرتب الأخضر القاتم مثلا مع بعضه والفاتح مع بعضه، وتكون مدة الحرق 24 ساعة[8]، وكما قلنا ترتب مربّعات الزّليج على حسب ألوانها وتفحص، وتنظف من الشوائب، ثمّ تجهّز لتقطع أو تكسر.

. عملية تقطيع المربعات وتشكيل عناصر الزليج المختلفة:تقطيع مربعات الزليج مع تشكيل اللوحات الزّخرفية الزّليجية تعتبر من المراحل الأكثر تشويقا في العملية، إذ أنّ هذا المنتوج لا تبدأ ملامحه في الظّهور إلاّ في هذه المرحلة.

1 André paccard ,ibid, p : 358
2 www.Merzak.blog.fr,p :4
3 . André paccard, Op.cit, p :358.
4 www.Merzak.blog. fr,p :4.
5 . André paccard, ibid, p :358-359.
6 www.Merzak.blog.fr,p :4.
7 . André paccard,ibid, p :358
8 www.Merzak.blog.fr,p :4.

. عمليّة رشم مربّعات الزّليج :تكون عملية تقطيع الزّليج مسبوقة بالرّسم على مربعات الزّليج، وذلك لتحديد القطع الصغيرة و أشكالها، وهذا الرّسم يكون باتباع **نموذج** لشكل قطعة الزّليج،[1] (gabarits) يكون هو الآخر من الخشب، أو قطعة زلّيج عادية، ترسم شكل القطعة المراد تجسيدها على السطح الأملس الملمع لبلاطة المربعة من الزليج المشوي بمساعدة قلم من **عود الخيزران وبحبر معين** وهذه العملية كلها التي تسبق عملية تقطيع الزليج تسمى بعملية **الرشم** ويتم رشم المربعات واحدة تلوى الاخرى ويمكن استخراج عدة قطع زليج صغيرة من بلاطة المربع الواحدة [2]التي طهيت و طليت واحرقت مرّة ثانية، لتُقَطَّعَ على أشكال مختلفة، ومتعدّدة على حسب طلب، ومساحة اللوحات الزّخرفية في البنايات.

- **عمليّة التّقطيع المربعات (تعرف بالمغرب الاقصى بعملية التكسير)** : هي مرحلة حساسة حيث تعتمد أساسا على كفاءة الصانع و خبرته ، لأن تقطيع مربعات 10× 10 سنتمتر الى قطع أصغر وأدق ليس بالأمر السهل، وأضف إلى هذا وجب على الحرفيّ **الكسار** عدم التّبذير في عملية التكسير، أي استخراج أكبر عدد ممكن من القطع الصّغيرة في المربّع الخزفي (البسكويت) الواحد، وهنا تكمن خبرة، ودهاء الكّسار .

تقطع المربعات الزليج الى قطع ذات أحجام متباينة يتم بمطرقة ذات حدين تسمى المنقاش و توضع القطع المربعة فوق سند يرتفع على الأرض بحوالي 40 سنتمتر وتعلوه قطعة صلبة لا يتعدى قياسها عن 3 أو 5 سنتمتر من رخام أو من الحجر أو قطعة معدنية توضع فوقها قطع الزليج لكسرها وتهديب حواشيها أي الكل هو بمثابة طاولة لعملية التكسير ، وكان التقليد عادة أن عملية التقطيع تكون في موقع المشروع [3] حيث أن لا توجد معدات كبيرة كما رأينا. وتكون حركات الحرفي سريعة في القطع حيث يمسك المطرق المنقاش باليد اليمنى و يكون مرفق هذه اليد فوق ركبة وتثبت المربعات والقطع وتبدل باليد اليسرى ويضغط عليها بإحكام فوق المسند (المكان التي توضع القطع لتقطع) لكي لا تتشقق عند القطع ، تكون هذه الحركات منتظمة ودقيقة ومتكررة [4].

1. www.Merzak.blog.fr,p :5
2. André paccard , Op.cit, p :358.
3. ibid, p :358.
4. ibid, p :358.

بعدها يأتي دور **الخلاص**، وهي تسمية الحرفي الذي يهذب حواشي وحدود القطع الزليج الصغيرة **بالمبرد** ليسهل تركبها فيما بينها عند تشكيل لوحات الزخرفية كما أنه يهذب قاعدة الزليج لتكون شبه مستدقة ليتسنى دخول المادة اللاحمة عند الجمع[1] وهذه من بين خاصيات الزليج الأساسية حيث أنه يميز عن غيره من التقنيات التلبيس الفسيفسائية بهذه الخاصية ، فالفسيفساء بأنواعها تكون عادة قاعدتها مسطحة أما الزليج فتهدب قاعدته وأحيانا تكون شبه مستدق للغرض الذي ذكرناه سابقا .

تقطيع الزّليج عمل شاقّ، ودقيق للتّعرف على مدى صعوبة هذه العملية، سنعطي مثالا عن قصر مكناس بالمغرب الذي بناه الملك الحسن الثاني، إذ تطلّب الأمر تقطيع 12.600.000 قطعة زلّيج من طرف 180 حرفي قطع الزّليج، ودام العمل سبعة أشهر لتحقيق هذا الطلب[2]، وعليه فإنّ تكلفة تجسيد هذا الفنّ في المنازل باهض جدّا منذ القدم، ولهذا لا نجده تقريبا إلاّ في القصور، والمنشآت الملكية، لأنّ عامّة السّكان لا يمكنون تحمّل تكلفة هذا الفنّ إلاّ طبقة النبلاء الأثرياء، والحال نفسه في تلمسان، والمدن المغربية.

. نقل قطع الزّليج :قلنا فيما سبق أنّ التّقليد كان ينص على أنّ تُقطَّع عناصر الزّليج في مواقع مشاريع البناء، لكن قد نجد في مدينة فاس ذات الدروب الضيقة التي لا يمكن مرور عربات الكبيرة، فيها مجموعة من الحمير والبغال تنقل **قففا** بها مجموعة من قطع الزليج الصغيرة التي تسمى في المغرب الاقصى **بالفرم** وكل قفة بها مجموعة من قطع ذات شكل واللون واحد أي أن القطع لا تخلط وعادة هذه التحركات تكون برقابة من حارس لأن كل قطعة من هذه القفة تمثل سعات من العمل الجاد[3] .

. جمع وتشكيل لوحات الزخرفية من الزليج :

جمع القطع : يمارس الجمع على شكل لعبة البوزل ، صفوف متكدسة من الزليج من الأشكال المختلفة والألوان المتعدد يضعها الحرفي واحدة تلوى الأخرى على وجهها المطلي الاملس على أرضيات هي الأخرى ملساء تسمى **اللوح** تكون مرسوم عليها خطوط ودوائر لترشد الحرفي وتساعده على تحقيق شكل الزخرفي المرجو وقد تستعمل على الأرضيات طبقة من رمل لكي لا تخدش أسطح قطع الفرم الملونة وفي بعض التقنيات يستعمل نوع من الصابون الأسود على الأرضيات لكي تلتصق قطع فرم الزليج على الأرض ولا تخدش وهذه العملية تقام بالأخص في نوع

1 André paccard . op.cit, p :358.

2 . André paccard , ibid. p :359.

3 . ibid, p :359.

معين سوف نأتي على ذكره في العناصر المقبلة ، ويجب التركيز في هذه العملية لأن توجد عدة قطع متشابه بألوان مختلفة ويكون تكرار الزخارف بعدة بألوان فيمكن الالتباس ان لم يكن الحرفي الذي يسمى **الفراش** ذو خبرة و تنظيم وتركيز عالي[1].

تلحيم القطع : بعد الجمع، تأتي عملية سكب المادة اللاحمة على قاعدة قطع الزّليج الصغيرة المجموعة فقديما كانت تركّب هذه الخلطة بملاط ترابي، يضاف إليه الجير، أمّا اليوم فيستعمل الاسمنت والجير . يسكب هذا الاخير فتدخل الخلطة بين قطع الزليج وتشكل بذلك وصلات الصغيرة يتراوح عرضها ببعض الملمترات التي نرها في وجهات لوحات الزليج الزخرفية، يترك الكل ليجف ، ونتحصل في الأخير على لوحات زخرفية من قطع الزليج تكون قياساتها 100× 60 سنتمتر عادة سهلة في النقل وقد نجد ما هو أكبر منها [2].

عموما هكذا عرفت صناعة الزليج في المغرب الاسلامي والأندلس وفي تلمسان مند القرون الأولى لظهوره ، لكن لا نشكك في أنه كانت هناك بعض الاختلافات صغيرة في تقنيات الصنع مثل التي توجد اليوم بين الزليج المنتج في مدينة **فاس** والزليج المنتج في مدينة **تطوان** المغربية ، وحدث هذا الاختلاف في القرن 19م ، حيث كما رأينا في تقنية الفاسية يحرق مربّعات الزّليج مرتين في الفرن، وكذلك في التقنية التي تمارسة في مدينة تطوان لكن المربّعات الطينية في تطوان تجف تجفيفا نسبيا ثم تقطع الى أشكال الزليج المعروفة **الفرم** قبل الحرق الأول ثم تخرج من الفرن لطلائها بالمادة اللماعة ثم تدخل **الفرم** (قطع الزليج الصغيرة)الى فرن مرة أخرى . هذا تقنية التطوانية تجعل جوانب الزليج غير منسجمة في التركيب لأن القطع تتقلص حجمها عند الحرق لكنها تعتبر سهلة الانجاز مقارنة مع الأولى و هذه التقنية مشهورة بالصمود اكثر من تقنية الزليج الفاسي[3] .

وما يجب ذكره أننا وجدنا في بعض الدراسات الجامعية الحديثة التي تطرقت إلى موضوع الزّليج التطواني، وتقنية صنعه، والتي أخذت عن مراجع ودراسات قديمة في البحث نوعا ما[4]، أنّ هذا النوع ظهر في فترة مبكرة في تطوان وبل ظهر في تلمسان واختصت به المنطقة وهو منتشر في المعالم الزيانية في تلمسان ، وهذا خطأ وقد أشرنا

1 www.Merzak.blog.fr,p : 6.

2 www.Merzak.bolg.fr, ibid,p :6 .

3 . Ayed Ben Amara, Op.cit,p : 106.

4 . اعتمدت الدراسات الجامعية الحديثة على المراجع التالية :

. ERZINI, N. Zillig un contexte historique , p:168. Voir aussi : MARCAIS, W et G. Les monuments….,p315

الى فترة ظهور تقنية صناعة الزّليج التطواني في القرن 19م، وهذا باستدلال واعتماد على الدراسات الحديثة [1]، ونتائج التحاليل المخبرية التي أظهرت هذا ولا يمكن التّشكيك فيها، أمّا فيما يخص الزليج الذي وجد بتلمسان فهو منجز بالطريقة التّطوانية، فهو موجود فعلا لكن ما وجدناه يعود لفترته لأعمال ترميمات حديثة للزليج في بعض المعالم التاريخية الأثرية من بينها : مسجد سيدي ابراهيم الذي يقع غرب قلعة المشور وغرب دار الثقافة حاليا ، بالضبط ضريح سيدي ابراهيم المصمودي(أنظر الصورة 22) ، الذي لحظنا فيه استعمال الزليج التطواني استنادا على ما علمناه من خصائص هذا النوع التي يمكن ملاحظتها بالعين ،زد على هذا استفسرنا عن الحرفين الذين قاموا بترميم الزليج واستبداله ،فعلمنا أنهم جماعة من زليجين مدينة تطوان المغربية . فهذه الاشارة عن زليج الزياني الذي يقطع قبل الحرق وجب التحقق فيها أكثر في غياب المصادر التاريخية لأن رغم ما وجد بالمغرب الأقصى من نتائج ربما لا تكون صحيحة في تلمسان وهذا التحقيق وجب ان تستعمل فيه التحاليل المخبرية للفصل في الأمر ،لأن هذه الاشارة مهمة لأنها تظهر اختلافا كبيرا في تقنية صناعة الزليج وبما أن الزليج التطواني ظهر في القرن 19م فربما انتقلت الطريقة من تلمسان الى المغرب وهذا شيء هام وجب إثباته إن كان صحيحا، لكن ما نرجّحه أنّه لم تستعمل هذه الطّريقة في تلمسان، وهذا ما عاينّاه، ولاحظناه من جميع القطع الزليج التي تعاملنا معها ودرسناها.

ج . أنواع الزليج :يعتبر الزليج المغربي الأندلسي فريد من نوعه ، يشبه بالفسيفساء وبأنواع أخرى من الكسوات الجدارية والتبليطات ولقد أشرنا وفسرنا هذا سابقا في الفصل التمهيدي ، وقلنا سابقا أن الزليج يختلف في طريقة وضع الفصوص (الفرم) على وجهها وجمعها وتكوين لوحات تلحم بملاط ثم تثبت على الأسطح المختلفة (جدران ، أرضيات)، أما الفسيفساء فمعروف أنها تنجز بغرس مربعات الصغيرة واحدة تلوى الأخرى على المساحات مباشرة.

لكن وجدنا مفهوما ومعتقدا آخر في صفوف الباحثين في علم الاثار، أنّه في القرون الوسطية كانت قطع فرم الزليج توضع على الواجهات والمساحات مباشرة، كما أنجزت في الفسيفساء القديمة، إلاّ أنّ الزليج يرسم على المساحات موضوعات الزخرفة أو خطوط ودوائر لكي يستند عليها وتساعد الحرفي في وضع وغرس قطع فرم الزليج الصغيرة على جدار أو الأرضية مباشرة . ويعتمد هؤلاء الباحثين على شواهد مادية تتمثل في رسومات هذه

1 . Ayed Ben Amara , Op.cit. ,p : 106.

الخطوط والدوائر التي وجدت في المغرب الأقصى في جدران بعض المواقع الأثرية[1] ، وللأسف لم نتحصل على صور فتوغرافية لهذا ، ونحن لا نشكك في هذا الأمر غير أننا لا يمكننا الجزم حتى نعاين هذه الشواهد من رسومات خلفية للزليج .

وفي الحقيقة أن هذه العملية المتمثلة في غرس قطع فرم الزليج مباشرة على المساحات، مازالت مستعملة لكنها تخص مواضع محدّدة مثل الأعمدة، وهذه العملية تعتبر نوعا من أنواع إنجاز الزليج.

. الزليج المنجز على الأعمدة : هذه العملية تختلف أساسا على تقنية المعروفة الا في المرحلة الأخيرة وهي مرحلة تثبت لوحات الزخرفية الزليجية على المساحات المختلفة ،فعوضا عن هذا تثبت القطع الفرم واحدة تلوى الأخرى بالغرس باليد الحرفي المتمرن في الملاط على طريقة الفسيفساء القديمة .

. الزليج المحفور (Zelliges excisés):

وتسمى أيضا (Technique du champ levé) أو المقشر(mqechchar).يستعمل خاصة في الزخارف الكتابية وفي الافاريز، تتمثّل هذه التقنية في حفر مربعات الزليج تكون أكبر نوعا ما عن المربعات المعروفة التي تكسر وتقطع في الزّليج الهندسي، يكون الحفر حول النص الكتابي المراد اظهاره و ابرازه، تكون في أغلب الأحيان هذه المربعات ذات اللون الأسود ،وعادة يكون هذف هذا الحفر اظهار اللون الوردي للطين المحروق وليكون تباين بين المستوى الكتابة التي تكون باللون الأسود ومستوى الحفر الذي يكون وردي ، و قد عرف هذا النوع من الزليج الكتابي في العهد المريني بكثرة لكنهم كانوا يطلون المستوى المحفور بطلاء أبيض ،كما أن هناك عجينة بيضاء تصنع من بياض البيض الدجاج ومكونات أخرى توضع على مستوى المحفور ويكون ارتفاعها بارتفاع المستوى الكتابة التي يكون سطحها باللون الأسود فيظهر كل كأنه عملية تركيب قطع من زليج بيضاء للفراغ سوداء للكتابة [2]. تعتبر هذه الطريقة تقنية دقيقة يمارسها الحرفين المتمرينين (المعلمين) وتستخدم أساسا لأن الزخرفة الكتابية كثيرة الانحناءات كما أنها تكون في بعض أحيان رشيقة و رقيقة تصعب عملية تقطيع الفرم الزليج ،لهذا لجأ الحرفي لابتكار هذه الطريقة . في تلمسان لا نعرف أمثلة عن هذا الاستعمال في المعالم الزيانية ،و حقيقة لا توجد

1. من بين هؤلاء الباحثين : **ميشال طيراس** مدير دراسات تطبيقية العليا في جامعة السوربون فرنسا ورئيس معهد البحر الأبيض المتوسط ، و**انياس شربونتي** دكتورة ومختص في الأثار القرون الوسطى الاسلامية في جامعة السربون فرنسا ، ولقد أنجز مجموعة من حفريات في مدينة سلا المغربية ولاحظا هذه الخاصية في الزليج (رسومات خلفية للزليج).

2 . André paccard , Op.cit,p :452.

كثر من الزخرفة الكتابية الزليجية لهذه الفترة الا في مسجد المشور الموجود داخل قلعة المشور في الجهة الغربية له و لم يستعمل أي نوع من هذه التقنيات الزخرفية الكتابية فلقد عاينها وفحصناها. و لقد شرح جورج و وليم مارسي تقنية انجاز هذا الشريط الكتابي وقالا أنها مرسومة بالقلم على بلاطات الخزفية [1] .

أما في المعالم المرينية في تلمسان فمن بين الكتابات على الزّليج بهذا النوع لدينا مثال : في مدخل مسجد سيدي بومدين الذي يقع في قرية العباد التي تقع في جنوب شرق مدينة تلمسان ، وهده الكتابة عبارة على كتابة تأسيسية تحتوي على النص التالي : "هذا ما أمر به مولانا أبو الحسن عبد الله علي ". استعملت في هذا المعلم تقنية حفر الزليج بالطريقة المرينية التي شرحناها سابقا .

- **الزليج التوريق أو الكتابة المؤلفة** :يستعمل هذا النّوع لإنتاج النماذج الزخرفية النباتية و قد يستعمل في الزخارف الكتابية فانه يشبه الى حد ما في الشكل النهائي الزّليج المحفور (Zelliges excisés) وقد يخلط بينهما ان لم ندقق الملاحظة، ويسمى بالكتابة المؤلفة لأن الحرف الواحد قد يكون متكونة من عدة قطع فرم الزليج.

يعتبر هذا النوع أكثر أنواع دقة وصعوبة في الانجاز نظرا لرشاقة ودقة النماذج الزخرفية النباتية وهو يتمثّل في مراحل تصنيع الزّليج العادي، لكن الاختلاف يبدأ في مرحلة التكسير .

حيث تمارس هذه التّقنية من طرف ثلاث حرفين هم :

الكسار . الحرفي الذي يقطع ويكسر القطع الصغير (فرم) الزليج .

الخلاص . الذي يحرص على تنقيت القطع الفرم من العناصر الزائدة بالمبرد ويجعلها جاهزة لتجمع و تفرش وتلحم فيما بينها.

الفراش . الذي يفرش الزليج ويركب القطع ليشكل اللوحات الزخرفية .

وتتمثل مراحل انجازه فيما يلي :

لإنجاز نموذج عن زخرفة نباتية، وجب رسم هذا النموذج على ورقتين .

1. وليم و جورج مارسي ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، المرجع السابق ، ص : 440.

- الرسم الأول: يكون مقسم الى أجزاء بحيث تظهر قطع الفرم المرجو تحضيرها ثم يقدم الرسم الى الكسار لإنجاز الفرم الزليج.

الفراش يهذب القطع ويحكها بالمبرد وهذا العمل يكون أكثر صعوبة بحكم الأشكال الفرم الصغيرة الملتوية والدقيقة .

- الرسم الثاني يبقى كما هو يستعمله الفراش ليعتمد عليه في فرش الفرم الزليج ، يستعمل في هذه التقنية الفرش نوع من الصابون الأسود يكون بمثابة مادة لاصقة تثبت فرم الصغيرة على الأرض[1] لكي لا تنقلب عند فرش الملاط فوقها لأن الفرم الزليج هذه النوعية أدق وأرق (مثل السيقان النباتية) مقارنة مع الزليج الهندسي .

نظرا لصعوبة هذه التقنية لا نجدها منتشرة على المساحات المختلفة بكثر بل نجدها في مواقع معينة في البنايات مثل **البنقيات الأقواس والمداخل** و**النافورات** ،و**الأفاريز** ، و تنجز هذه النوعية من الزليج من طرف أمهر حرفين و ربما قد نجد لهم ورشات خاصة بهم وذلك لصعوبة انجاز هذه النوعية .

3. الأشكال و العناصر الفنية للزليج الهندسي والنباتي والألوان المستعملة فيه:

أ. شرح الأشكال الفنية للزليج الهندسي والنباتي: يقصد بالأشكال الفنية ، العناصر والتكوينات الزخرفية التي تلعب دورا رئيسيا في تأكيد الهوية المعمارية المغاربية وتكسب العمارة طابعها الخاص المعروف بها في المنطقة المغرب الاسلامي والأندلس التي استعملت منها خاصة في حرفة الزليج الزخرفة الهندسية والنباتية والكتابية والتي تميزت بأسس وخضعت لقواعد منها :

- التوازن :الذي يقصد به التناسق والانسجام في العناصر والوحدات والألوان والفضاءات .
- التماثل : يقصد منه التقابل و وظيفته تنظيم التكوينات الزخرفية .
- التكرار : ويتم بتكرار عنصر زخرفي واحد أو عدة عناصر بشكل متواصل[2] .

وتنقسم زخرفة الزليج الى قسمين :

1 . André paccard , Op.cit ,p :452.

2 . نعيمة الحضري ، الهوية والتكوينات المعمارية والعناصر الجمالية في العمارة الاسلامية المغربية ، مقالة من كلية الآداب والعلوم الانسانية ،شعبة التاريخ ، تخصص عمارة الاسلامية ، القنيطرة ، سنة مجهولة ، ص: 12.

ـ الألـواح الزخرفيـة الزليجيـة ، وهـي التشـكيلات الزخرفيـة أو نمـط الزخـرفي المتبـع (الألـواح المجهـزة للتثبـت علـى المساحات) التي تحتوي على موضوعات مختلفة .

. العناصر المكونة للألواح الزخرفية ، وتتمثل في القطع أو أشكال الزليج الصغيرة المختلفة التي تسمى بالفرم الزليج.

. و كل واحدة من هذه الأقسام (الألواح الزخرفية ، فرم الزليج) لديها قائمة طويلة من النماذج والأنماط والأشكال المختلفة، وقد نجدها متشابه عندما لا نمعن النظر ، و لم تجرد هذه القوائم النماذج الزخرفية والقطع مكونة لها بشكل جدّي في زلّيج مدينة تلمسان الزّياني، لأن لا يمكن قيام بدراسة مقارنة مع الزليج مناطق أخرى بدون بإلمام وجرد الزليج الزياني.

- **الألواح الزخرفية لزليج (أصل التشكيلات الزخرفية ودلالتها)**: يوجد الزليج عادة بالزخارف الثالث المعروفة في العالم الاسلامي ، الزخرفة الهندسية والزخرفة النباتية والزخرفة الكتابية كما ذكرنا سابقا ، وانتشرت الأولى بكثرة وذلك لسهولة تشكيل عناصر هذه الزخرفة (قطع الفرم) أما الثانية فإنها وجدت لكن بصفة أقل من الأولى وذلك لكثرة الانحناءات والتعرجات التي تتطلب عملية قطع أدق وحركات أكثر عند القطع أي جهدا أكبر أما الزخارف الكتابية فهي أقل منهما وذلك أولا لاستعمال هذا العنصر الزخرفي الا في الأفاريز ،اذن لا تحمل مجالا واسع بحكم موضعها ولها تقنيات أخرى لتجسيدها، وثانيا بحكم الاعوجاجات والتعرجات التي تتطلبها حروفها.

لكن السؤال المطروح دائما هو ما معنى هذه الأشكال الزخرفية ؟ وكيف وصلت الى فن الزّليج؟ سؤال بحاجة إلى دراسات خاصّة به.

دراسات كثيرة في القراءات السميائية للأشكال الزخرفية الاسلامية عامة، لكنّها غالبا ما تخلو من النظرة العلمية وتقترب من المفهوم الروحاني أكثر، ونحن كأثريين نرجح النظرة العلمية الا أننا لا نكذب مفاهيم هذه الدراسات ولا نشكك في رمزية الأشكال .

فمن المعلوم أنّه كانت هناك بعض الشعوب البدائية كانت تضع بعض الوحدات الزخرفية على مداخل بيوت والمعابد وعلى الأواني وذلك منعا للأرواح الشريرة أو لجلب الحظ، كما استعملت عناصر زخرفية كرموز لقوى الطبيعة ووظفت في شعائر وثنية وميثولوجي فعلى سبيل المثال : المثلث هو شكل قديم عرف مند عهد الكنعانيون وكما

وجد المثلث على سطح الفخار منذ 550 قبل الميلاد ،أما النجمة الثمانية فكانت تتمثل عند الكنعانيون بكوكب الزهرة كانت تظهر على ألبستهم واغراضهم الطقوسية وكانت تمثل للعبادة منذ 4500 سنة قبل الميلاد كما كانت ترمز للآلهة الخصب ،كذلك ظهرت الخطوط الحلزونية على سطح على واجهة الفخار منذ 700قبل الميلاد، أما الأشجار فمثلت فكرة النمو والوفرة والخصب والشباب الدائم وهي مقدسّة عند كثير من الشعوب ومنها الكنعانيّون والفرس، ومن هذه الزّخارف، الصّليب الذّي رمز للشّمس عند القدماء يبعث أشعته من الجهات الاربعة والصليبان من أشهر الرموز الدينية المتداولة في عصر البرونزي[1]، هذه جملة من القراءات السّميائية للرّموز، و الأشكال، في الحضارات الأولى.

أما الفنان المسلم فقد أخذ الزخارف من الطبيعة(نباتية ، حيوانية) وحورّها، وطوّرها، وجرّدها، لإحداث التكرار وأخذ الأشكال القديمة، وطبعها على أساس تزييني دون استخدام معانيها ورموزها كما هي من قبل والتي وجدت أصلا من أجلها ،فأصبحت النّجمة السداسية التي تتكون من مثلثين أساسيين تمثل الكون المؤلف من الأرض والسماء ، الأرض مثلث قاعدته في الأسفل والسماء مثلث قاعدته في الأعلى ، والنجمة الثمانية المؤلفة من مربعين تمثل أيضا الكون مؤلف من مربع يشير الى الجهات الأربع (شمال، جنوب ،شرق ،غرب) ومربع يرمز الى العناصر الاربعة الطبيعية (الماء، هواء ، تراب ، نارّ)، أما الدائرة فتمثل الانسان متجها الى الكون ، وبعض الأشكال النباتية تعبر عن الجنة وتكون و ثواب والايمان[2]. ومن المعروف أن أغلب القراءات السميائية في العمارة الاسلامية تتمحور حول الجنة والزليج لا يخرج من هذه الدائرة ، فمن بين الشروح المعروفة عن القصور والزليج هو أن القصر وساحته ترمز به للجنة والحوض أو النافورة التي تتوسط القصر عبارة عن الواحة أو البحيرة مع خرير المياه الدائم من حولها أعمدة و أقواس تشبه تفرع النخيل وحدائق هي نقوش الجصية النباتية التي تحيط بجدران الساحة أو الصحن وفي هذه النقوش توجد مراويح نخيلية عديدة ومختلفة الأنماط التي ترمز هي الأخرى الى الجنة لأن النخلة هي شجرة الجنة والزليج الذي يخلف الجص في أسافل الجدران و محيط بالساحة بألوانه الزاهية واللماعة والبراقة هي ألوان الجنة العديدة التي لم ترها عين وبالزليج زخارف من أطباق نجمية التي تمثل الليل والجص الابيض يمثل النهار والكل يتداول وينعكس بانعكاس هذه البناية والأشكال والزخارف فوق سطح الماء الحوض المركزي وما ينقص من هذا الشمس التي نجدها ممثل بالشمسيات الهندسية الشكل أغلب الأحيان تكون بزخرفة هندسية تمثل طبق نجمي

1. كلود عبيد ، التصوير وتجلياته في التراث الاسلامي (دراسة حضارية . جمالية . مقارنة)،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة 2008م ، ص : 86 . 87.

2. كلود عبيد ، المرجع نفسه ، ص :85 .86 .

مخرم يدخل الضوء للقاعات و يشبه الشمس . عامة هذا ما نجده في الكتب الفنية والتي تشرح العمارة الاسلامية ، ومنهم ما يشرح أن في المسجد اتجاهين رئيسين يزوقا و يخصصا بالزخرفة هي القبة اتجاه السماء والمحراب اتجاه مكة.

لكن بصفة علميّة تلخّص زخرفة الزّليج بأنها تنطلق من مقياس معلوم مقاسه(Module) يكرر بصفة مرجوة بحيث نشكل هيكلا واحدا (نجمة ، مربع ، الخ..) يتكرر هو الأخر و يغير اتجاهه أو يقلب في عدة اتجاهات وتملأ فراغاته حتى يتسنى للمجموع أن يغمر الفضاء بأشكال متنوعة [1]وتكون خلفية هذا العمل حسابات رياضية بسيطة من ضمن هذه المعادلات لدينا المعادلة التي تخص الزليج ذو أطباق النجمية وهي كالتاليZ^{10}-I 0 =، أو معقدة وحتى الزخارف النباتية خلفياتها أشكال هندسية تكون بحسابات رياضية ، ولقد وجدنا عدة دراسات متخصصة في معادلات أشكال الزليج . فمن المحتمل أن لإنجاز زخرفة جديدة أو لابتكار نمط زخرفي جديد كان المهندسين يلجأ أو يستندون الى عمل علماء الرياضيات في تخطيط هندسي للزخرفة ثم يقدم هذا العمل الى الحرفي ليقطع الزخرفة الى فرم الزليج ويشكلها فيما بعد الى ألواح ذات مواضيع مختلفة ومتنوعة.

*** قطع الزليج(الفرم)**: هي العناصر الزخرفية المكونة للوحات الزخرفة للزليج و لقد قلنا فيما سبق أنها تبلغ مجموعة قطع الزليج حوالي 360 قطعة معروفة[2] ، لكن هذا العدد يمكنه أن يزيد او ينقص في فترة القرون الوسطى ،وليس عندنا في كتب التاريخ احصائيات عن قطع هذا الفن الخزفي ، وذلك أن الحرفين كانوا يبقون جميع مراحل أعماله سرا بما فيه تنوع القطع التي كان بحوزته، و(André paccard) , من بين أوائل الباحثين الذين نشروا جدول تنوع أشكال قطع الزليج وذلك في كتابه(le Maroc et l’artisanat Traditionnel islamique dans l’architecture) الذي قدم له من المعلم الشيخ مولاي حفيظ والمعلم الشيخ حاج ملوكي. وكلّ أشكال القطع بما فيها المضلعات(متعددة الزوايا)والأشكال النجمية والنباتية لديها اسم معين معروف بها عند حرفين الزليج من أشهرها لدينا **الحتيم** وهي النجمة الثمانية أو تسمى بخاتم سليمان و الكويرة مضلع خمسة أضلاع واللوزة أربعة أضلاع زاويته الرئيسية مستدقة ، و**السفت** و**الحطايفة** و **فوركت الأرق**[3] وهي كلها ألفاظ صعبة الفهم و النطق لربما من أمازيغية المغربية وهذا يبعث التعجب أنه 360 قطعة من زليج الصغيرة مازالت

1 . Blanchard et d’autre, Répertoire graphique du décor géométrique dans la mosaïque antique , aiema ,paris , 1973, p : 7.

2 . WWW.ambafrance- ma.org/efmaroc/

3 Ayed Ben Amara Op.cit,p :104

أسماؤها متداولة وتحفظ من طرف الحرفين مدينة فاس والمدن المغربية الأخرى الى يومنا هذا وهذه دراسة خاصة يتم فيها تتبع أسماء الزليج .

أشكال القطع الزليج كثيرة ومعقدة كذلك أسمائها وهي متباينة الاحجام حتى منها ما تحمل بملقاط صغير عند الوضع لتشكيل اللوحات الزخرفية ، وتستلزم دراستها بمفردها بغرض التحقيق من أصول هذه الأشكال المتنوعة والعديدة ،لهذا اكتفينا بذكر خمس عناصر منها فقط وهي من بين القطع التي توجد في الموقع الذي نحن بصدد دراسته موقع قصر المشور في تلمسان .

ب . الألوان المستعملة في الزليج : كما نعلم ان حرفة الزليج ما زالت تمارس اليوم في المغرب الأقصى بصفة تقليدية لكن من التغيرات التي طرأت عليه هو تعدد الالوان حيث اليوم عدد ألوان الزليج المستعملة تبلغ 47 لونا [1] بينما كانت الالوان المعروفة في القرون الوسطى لا تتعدى السبعة الالوان وهي الأبيض و الاسود والأخضر والأزرق والأصفر والأحمر والبني والتي تعطي بريقا لزليج عند طلائها على المربعات وحرقها[2] ولم يظهر استعمال هذه الألوان مرة واحدة فمنها ما سبق ومنها ما جاءت في مرحلة متأخرة ، وأول الألوان التي ظهرت في الزليج هي التي استعملت بطبيعة الحال في صومعة مسجد الكتبية وهو كما قلنا سابقا المكان الأول الذي ظهر فيه الزليج وكان بالألوان الأبيض و الأزرق التركوازي [3]. وكانت خلطات الالوان يحصل عليها في القرون الوسطى منذ القرنين 13و14م بطريقة تقليدية ،منها ما غير فيه ومنها ما يستعمل الى يومنا هذا في المدن المغاربية وهي كالتالي :

للحصول على طلاء البراق و اللماع الذي يعتبر كمادة لاحمة لسطح الزليج يجب أن يكون في الخلطة الرصاص والرمل الذي كان يجلب من مدينة مكناس فيما يخص المغرب الأقصى ، ثم تحرق الخلطة في فرن خاص بها ثم تطحن جيدا ثم يضاف اليها نسبة معينة من الماء لتكون سائلة ليغمس فيها مربعات الزليج الملساء بأيد متمرنة للحرفي[4] .

1 . WWW.ambafrance- ma.org/efmaroc/

2 . www . Merzak. bolg. fr,p :4

3 . Ayed Ben Amara , Op.cit,p :105.

4 . André paccard , Op.cit, p :358.

للحصول على الأزرق في المغرب الاقصى يستعمل حاليا حصى مجلوبة من دار البيضاء + رصاص + رمل [1] أو بصيغة أخرى رصاص + رمل+ لون أزرق تحصل عليها من الكوبلت[2]، نستنتج أن الحصى المجلوب من دار البيضاء يحتوي على المادة الكوبلت .

للحصول على اللون الأخضر يجب أن يكون في الخلطة : النحاس الأصفر+ الرصاص +الرّمل[3].

للحصول على اللون الأصفر يجب: حجر الموجد في مدينة فاس يتعرف عليه الا في طقس الممطر +صدأ (يستعمل اليوم في فاس صدأ المبردات السيارة)+ رصاص + رمل .

اللون العسلي او البنيّ الفاتح ينتج بخلطة: حجر أحمر من جبال مدينة فاس +رصاص +رمل .

أمّا اللون الأبيض :زنك +رصاص + رمل .

و اللون الأسود : حصى مغنازيا منطقة في صحراء المغرب + رصاص + رمل .

و أخيرا اللون الأحمر يحصل عليه اليوم : مسحوق يجلب اليوم من فرنسا بدأ هذا قبل من عشرين سنة +رصاص + رمل . [4]

هذه تقريبا خلطات ألوان الزليج اليوم أما في القرنين 13 و14م فلم يصل الينا شيئا عن هذه الخلطات اللونية لان كما قلنا سابقا كان الصناع والحرفين يحتفظون بأسرار مهنتهم وكانت تورث لأبناء فقط ،فربما كل عائلة حرفية ممن امتهن صناعة الزليج كان لديها خلطات خاصة بهم لمنتوجهم .

لكن المتعارف عليه أنه قديما وفي القرون الوسطى ظهرت خلطات لطلاءات استعملها الانسان في كسوة المنتجات الخزفية المختلفة من بلاطات وأواني وتحف ، وأول أمثلة المعروفة عن السطوح المطلية البراقة هي الرؤوس التمائم والتماثيل المصنوعة من مادة الكوارز و الاستياتيت التي وجدت قرية البداري في صعيد مصر ويرجع تاريخها الى حوالي 5000 سنة قبل الميلاد ،وتتكون الخلطة من رمل ناعم الأبيض الممزوج بالنطرون . (وهو صورة موجودة في الطبيعة لملح الكربونات الصوديوم) الذي يعمل كمساعد قوي لصهر عند درجات الحرارة المنخفضة .ومع مرور

1 André paccard , op.cit, p :358.

2. WWW.ambafrance- ma.org/efmaroc

3 . André paccard, ibid, p :358.

4 . ibid. p :358.

الزمن حدث تطور اخر في الخلطة المصرية حيث استخدم كربونات الصوديوم والرمل والنحاس كطبقة تطلى فوق السطح ثم تحرق في درجة حرارة منخفضة جدا ، وهذا التطور الذي حدث في مصر في الأزمة القديمة نتج عنه أول الطلاءات التي صنعت ووضعت وحرقت بطريقة تشبه ما يقام به اليوم [1] وما كان يقام في طلاء الزليج في القرون الوسطية أيضا .

ونظرا لتوفر المواد القلوية في الطبيعة الشرق الأدنى و الأوسط فقد استعمل الخزافون بكثرة الطلاءات القلوية وطورها الا أنها كان لها عيوب كثيرة مثل التقشير والتسييل من على سطح المنتج وكان لديها قابلية للذوبان في الأحماض الطعام وقد كان ذلك سببا في ظهور طلاءات الرّصاص[2]، التي كما لاحظنا أنها استعملت في المربعات الزليج المغربية الأندلسية .

الطلاءات المختلفة و الطلاءات الرصاصية :

الى جانب الطلاءات القلوية والرصاصية توجد عدة طلاءات مختلفة ظهرت في أزمة مبكرة على سطوح المنتجات الخزفية ومن بينها:

. **الطلاءات الرماد** :التي كانت شائعة في الصين والتي كانت يحصل عليها في درجات حرق عالية 1200 ^{0}

. **الطلاءات الطينية** :توجد بعض الطينات قابلة للانصهار نسبيا ويرجع ذلك الى وجود أكاسيد وشوائب أخرى ضمن مكوناتها ،وبعض الطلاءات الخزف الصيني القديم من هذا النوع .

. **الطلاءات الفلدسبارية** : تتكون من الفلدسبار بمفرده أو يكون في الخلطة المكون الرئيسي ، تتطلب درجة حرق عالية حتى تنصهر ، ظل هذا النوع اختصاص الأسيويين قرابة 2000سنة .

الطلاءات البخارية :في القرن الثاني عشر تم اكتشاف طينات حرارية وأنتج الخزف الحجري في بلاد النهرين وفي القرن الرابع عشر ميلادي تم التّوصل إلى أنّ ملح الطعام، إذا تم ادخاله في فرن في درجة عالية من الحرق يتطاير الصوديوم الذي يتحد مع السيليكا و الألومنيا الموجودة في الجسم ليكون طبقة زجاجية شفافة رقيقة على سطح

1 . لبنى محمد أحمد الشوره ، التحكم في معالجة الطلاءات الزجاجية للحصول على ملامس لمنتجات الخزف الفني ، بحث مقدم للحصول على درجة ماجستير ، اشراف : عمر محمد عبد العزيز ، جامعة حلوان .كلية الفنون التطبيقية قسم الخزف ، سنة الجامعية 2002م ، ص: 5.

2. لبنى محمد أحمد الشوره ، المرجع نفسه ، ص:5.

الخزفيات ويتحرر الكلور في الجو[1]، لذا يسمى طلاء البخار واستعمل هذا النوع بكثرة في بادئ الأمر هولندا ولألمانيا و في القرن 17م انتقل الى بريطانيا ثم عن طريق المهاجرون انتقل الى أمريكا وأصبح الأساس لطراز محلي فيها . ومن بين الطلاءات التي انتشرت بكثرة عبر العالم هي الطلاءات الرصاصية وهي التي استعملت أيضا في تغطية المربعات الزليج (البسكويت) .

الطلاءات الرصاصية : كما سبق الذكر أن ظهور الطلاءات الرصاصية كان نتيجة مشكلات التي كانت تحدث في الطلاءات القلوية،وأغلب الظن أن هذا حدث في بابل ، وأول تركيبة لطلاء رصاصي تم حل رموزها المكتوبة على لوحة مسمارية وجدت في منطقة نهر الدجلة في بلاد ما بين النهرين بضبط قرب تل عمر "سيلوسيا "،وتتركب هذه الخلطة من أكسيد الرصاص ،أكسيد النحاس ، ملح الصخري ، حجر الجيري ، الزجاج [2].

ومن بين خصائص هذا النوع من الطلاءات :

. أكثر قابلية لتشغيل وسهلة العمل والتوظيف مقارنة بالتي سبقتها (الطلاءات القلوية) .

. يتم تطبيقها في طبقة أكثر سمكا. هذا ما أدى الى استعمالها على الطوب و البلاطات الخزفية بكثرة .

. لها مظهر أكثر لمعانا من الطلاءات القلوية .

وفي الشرق الأوسط كان حرفيون سوريا القديمة وبابل قد طوروا الطلاءات الرصاصية بمختلف الألوان وذلك بخلط أكاسيد معدنية مثل : أكسيد النحاس ، أكسيد الحديد ، أكسيد المنجنيز . كما قاموا بعمل طلاءات معتمة بالإضافة الأنتميون والقصدير كما في الطوب الموجودة في الجدران القصور وفي البلاطات الخزفية المعمارية المختلفة والنحت البارز[3].

الأكاسيد :استعمال الأكاسيد في الخلطات الطلاءات الرصاصية للحصول على الألوان مختلفة أمر شائع واستعمل في القرون االوسطية في البلاطات الخزفية المختلفة بما فيها الزليج المغربي الأندلسي وبما فيها تلمسان عاصمة الدولة الزيانية واستعمل حتى في الفترة العثمانية وكان يستخرج بالأكسيد الألوان المتنوعة التي وضعناها في جدول صغير :

1. لبنى محمد أحمد الشوره ، المرجع نفسه ، ص:2. 5.
2. نفسه، ص:2.
3. نفسه ، صفحة نفسها .

الأكاسيد	اللون المستخرج
أكسيد الحديد	اللونين الأصفر والأحمر
أكسيد النحاس	اللون الأحمر و الأخضر
أكسيد النيكل	اللون أخضر زيتوني
أكسيد القصدير	الأبيض العتيم
أكسيد الرصاص	طلاء شفاف
أكسيد المنغنيز	اللون بني البنفسجي
أكسيد الكوبالت	اللون الأزرق
أكسيد الكروم	اللون الأخضر

هذه الأكاسيد المستخدمة خلال الفترة العثمانية في البلاطات الخزفية بالجزائر[1]، ومن المحتمل أن تكون معظم الأكاسيد هي نفسها التي استعملت في الفترة الزّيانية بالنسبة لألوان الزّليج المختلفة بتلمسان، ولا يمكننا برهنة هذا ومعرفة محتوى طلاءات، وألوان الزليج بغياب اشارة المصادر الا بتحاليل مخبرية كيمائية والتي تبرهن ما اذا هذه الطلاءات الرصاصية والألوان الزليج التلمساني جلبت مواده من المنطقة أو من أقطار مجاورة وهذا البحث الذي نحن بصدد انجازه هي بداية محتشم لمعرف ومحاولة جواب على هذا السؤال ان أمكننا هذا بالتحاليل الاولية التي نحن بصد انجزها ودراستها .

وفي ما يتعلق بالمراجع التي تكلمت على ألوان الزليج الزياني التلمساني لدينا جورج ووليم مارسي اللذان ذكرا الألوان المختلفة لطلاء الرصاصي بصفة ملخصة: "...أما طلاؤه فمحدود الألوان ولكنه صاف وباهي الصبغة ، فاللون الأبيض شبه كامد وضارب الى الخضرة وقليل التجزع ، أما اللون البني المنغنيزي فيكتسي عموما صبغة بهيمة وفارقا ضاربا الى الأسود ، أما الأصفر فهو أمغر ضارب الى الخضرة وكثير التجزع ، و الأخضر النحاسي متغير ومتفاوت الأضواء و الضلال ونجد على نفس الزخرفة قاتم اللون من جهة وفاتح اللون من جهة أخرى ، أما الأزرق الكوبلت ، فهو نادر ويبدوا غير مستعمل بتلمسان ، قبيل النصف الثاني من القرن 14م وهو لون فاتح وناصع

1 . زهرة عساوي ،المرجع السابق ، ص: 15.

نوعا ما[1] ." في الحقيقة هذه الاشارة لا تعطي مكونات الخلطة ألوان الزليج المختلفة في تلمسان بل تعتبر تحليل وصفي اثري للألوان اجتهد الأخوين في ذلك وأفاد عصريهما ونحن نؤيد هذا الوصف لما رأينها من جانب الشبه بينه وبين ما لاحظناه في زليج الذي نحن في صدد دراسته .

لكن ما يجدر ذكره في هذا أيضا أن هذه الالوان يمكن ان تتغير بتقادم الزمن فالأصفر عادة يصبح بني بمرور الزمن ، وفي بعض الاحيان لا يمكن التفرقة بين اللون الأزرق و الأخضر في لوحات الزليج الزخرفية خاصة ان كان هناك لون أزرق التركوازي الذي هو يقترب الى الاخضر ، وهذا الأمر يصعب عمل الاثري في التعرف على ألوان الزليج بالضبط مما يلجأ الى أدوات حديثة ليحدد بالضبط نوع اللون[2] أو بالتحاليل المخبرية لمعرفة تركيباتها الكيميائية ويمكن أيضا من خلال هذه التحاليل و الدراسات المطولة معرفة مصدر عناصر المكونة لخلطات ألوان الزليج أي يمكن التعرف على المواد الخامة ومن أين جلبت ، وهذه النتائج تساعد علماء الاثار للإجابة على عدة أسئلة اثرية مثل هل مكونات الألوان التي في الزليج الزياني التلمساني الموجود في قصر المشور مجلوبة من المنطقة أو أحضرت من مناطق من الدول المجاورة ، وعند جواب على هذا السؤال يمكن غلق فراغ أخر وهو قضيت حرفين المنطقة وذلك ان جلبت مواد من المنطقة فان أهلها أدرى بخاماتها فهم متمرنّون في هذا وبالتالي هم من صنع زليج تلمسان .وهو منتشر في معالمها الزيانية، واختبارات البحوث بهذه الطريقة سوف تميط الغبار على هذه الاسئلة والاعتقاد السائد أن أهل تلمسان لم يصنعوا زلّيج القصور في القرنين 13 و 14م .

4. المعالم التلمسانية التي تزخر بفن الزليج :

تزخر مدينة تلمسان بمعالم عديدة تعود للفترة الاسلامية فهي تحتوي على حوالي 75% الى 80% من الاثار الاسلامية في الجزائر فشهدت توافد عدة فترات و حضارات خلفت من ورائها شواهد مادية اثرية منقولة أو ثابتة، وحظيت مدينة تلمسان كونها كانت عاصمة المغرب الاوسط في الفترة الزيانية بعدة معالم مازالت باقية الى يومنا هذا منها التي تنتسب الى الزيانين ومنها ما ترجع الى المرينين الذين كانوا منافسين لدولة بني عبد الواد مند تأسيسها ، فهكذا نجد تلمسان ممتلئة بمعالم القرون الوسطية التي تعود لعدة سلاطين مختلفة ولهذا حضي فن الزليج بانتشار

1 . وليم و جورج مارسي ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان ،المرجع السابق ، ص:73.

2 . من الأدوات الحديثة لتحديد الألوان هناك الكروموتر ، وهو فعال بنسبة كبيرة لتحديد الألوان (تعذر علينا استعماله في دراسة مجموعتنا لعدم وجوده في المخابر الجامعة تلمسان ،فلجأنا الى مقياس **مارسيل اللوني** : هو عبارة عن كتاب يحمل جميع أنواع الألوان بتسميتها العلمية وبنسبها، لكنه في الحقيقة غير فعال خاصة اذا كان الكتاب قديم ويتطلب مجموعة من الشروط مثل الاضاءة الطبيعية لتعرف على اللون).

بهذه المنطقة لان كثر التنافس في التعمير والبناء فيها بين سلاطين دولة واحدة أو دول المتنافسة ، ومن امثلة هذا التنافس لدينا المرينين الذي خلفوا أطلال مدينة منصورة ومسجدها التي بقيت أطلال صومعته التي ترتفع ب 38متر مزدانة بالزليج ومزينة بزخرفة تعتبر من روائع فن النحت الحجري ، ويرى بعض الباحثين أنها تشبه منارة مسجد **الكتبية** و مسجد **جيرالدا**، اشبيلية، وجامع حسان بالرباط[1].

في سنة 2011م عوّض الزلّيج الأصلي بزليج جديد بغرض مواكبة أعمال تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية والموقع الموجودة في غرب المدينة التي بناها **أبو يوسف يعقوب** ابتدأ من سنة 1299م عند الحصار المعروف الذي دام ثماني سنوات[2] ومركب سيدي **أبي مدين شعيب** الذي بناه **السلطان أبوا الحسن علي المريني** ، سنة 1339م المتكون من مسجد وضريح ومدرسة وقصر ومرافق أخرى ثانوية[3]، أستعمل في أغلبها الزليج بزخارفه الثلاث (نباتية ، هندسية ، كتابية)و مركب سيدي الحلوي الذي يقع من الناحية الشمالية لتلمسان القديمة الذي بني بعد 14 سنة من بناء جامع سيدي بومدين بقي منه الميضأة و المسجد وصومته[4] المكسوة بالزليج وايضا صحنه بلط بالزليج مربعة الشكل وهذا المسجد مبني على نمط مسجد سيدي بومدين وبينهما تشابه كبير الى حد أن يخلط بينهما في الصور الفتوغرافية ان لم تكن متخصصا .هذه اهم العمارات التي احتوت الزليج التي خلفها المرينين عندما كانوا يستولون على تلمسان أما المعالم الزيانية التي وجد فيها الزليج فلدينا :

مجموعة من المساجد التي تختلف فترات انشائها زمنيا، مثل مسجد ابي الحسن التنسي الذي بناه السلطان ابو سعيد عثمان، ومسجدا اولاد الامام، والمشور الذي بناهما ابو حمو موسى الاول، ومسجد سيدي ابراهيم وضريح ملوك بين عبد الواد الذي بناهما ابو حمو موسى الثاني، كما بنى المدرسة اليعقوبية، والمدرسة التاشفينية التي بناها السلطان ابو تاشفين الاول، بما فيها قصور المشهورة، مثل قصر الملك، قصر السرور، قصر ابي فهر، وموقع القصر العينة المدروسة، قد يكون واحدا من هذه القصور، والزليج المكتشف في حفريات هذا القصر يعتبر من ابهى انواع الزّليج الموجود في تلمسان.

1 . رشيد بورية ،مقالة بعنوان :جولة عبر مساجد تلمسان ، ص: 177. وأنظر : وليم و جورج مارسي ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، المرجع السابق ، ص: 247، 259، 292.

2 . Rachid Bourouiba , l'art musulman en Algérie, Société Nationale d'édition et la diffusion , Alger , 1983,p : 247 .

3. وليم و جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان ، المرجع نفسه ، ص: 317.

4. ،نفسه ، ص: 401.

الفصل الثّالث:

الزّليج في العمارة الزّيانية وقصر المشور.

- العمارة الزيانية والزليج
- موضوعات الألواح الزخرفية للزليج الزياني
- قلعة المشور وقصر المكتشف.
- زليج موقع قصر المشور
- زليج قصر المشور نتائج أولية للتّحاليل

1. العمارة الزيانية والزليج :

لما تأسست دولة بني عبد الواد أصبحت تلمسان إحدى عواصم المغرب وكانت المدينة قد قطعت اشواطا بعيدة في ميدان العمران مند قرون قليلة سبقت تأسيس هذه الدولة ، في عهد المرابطي و الموحدي الذين بنوا وعمّروا البلاد، و المسجد الكبير في تلمسان شاهد على هذا الموروث المادي من تلك الحقب فالمرابطين بنو في سنة 1135م وشهد توسيعات تعود للفترة الموحدية[1]، كما بنوا معالم أخرى لا يسعنا ذكرها كلها، ولقد واصل ملوك بني عبد الواد المشوار التعميري، والبناء، وحصّن يغمراسن تلمسان ببناء باب كشوطة وما يليه من أبراج وأسوار وشيد المشوار وجعله مقر الملوك الجديد[2]، بعدما كان مستقرا في القصر البالي، الذي شيّده المرابطون قرب المسجد الجامع الكبير من الجهة الغربية له[3]. كما بنى يغمراسن مئذنة المسجد الأعظم بتاجرارت ومئذنة مسجد العتيق بأقادير [4]وهما مزينتان بالزليج البديع الزاهي الالوان الذي ما زال بريقه يسطع الى يومنا هذا[5]، ومن آثار السّلطان أبي سعيد عثمان، مسجد أبي الحسن التنسي هوتحفة رائعة، خاصّة في مجال التّزويق الزخرفي بني سنة 1296م[6]، لا يحتوي حاليا على زليج بداخله وليس لدينا اشارات على أنه كان مزينا بالزليج لكنه من المحتمل ان كان مرصعا بالزليج في داخل وذلك أن مستوى الجص الممارس فيه راق جدا يستحيل أن يترك بدون زليج ، من الخارج في صومعته فهو مزدان بالزليج خاصة في جوسقه اما في أعلى بدن الصومعة فتوجد أقواس بها تيجان من زليج وهذه هي خاصية هذه الصومعة .

1. عبد العزيز لعرج ، تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية، المرجع السابق ، ص: 27.26.

2. عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى الزياني ،المرجع السابق، ص:78.

3. عبد العزيز لعرج ، تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية، المرجع نفسه، 27.26.

4. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني، المرجع نفسه، ص:78.

5. شهدت الصومعتان عدة ترميمات في الفترة الفرنسية في الحقب الأولى من الاستعمار مما يشكك أن كل الزليج الصومعة أصلي أو يعود الى الفترة الزيانية ، لكن من المحتمل أن تكون بقيا للزليج بنو عبد الوادية ، ووجب للتحقق من هذا الاطلاع على أرشيفات الفرنسية التي تخص أعمال الترميم المقامة على الصومعتان ،لكن يستحل هذا لأنه هذه الأرشيفات منها ما اندثر و ربما منها مفقود في بعض المؤسسات الوطنية ومنها ماهو موجود بفرنسا مثل أرشيفات **العسكرية فانسن** التي تثمثل في مخططات للمدينة ولبعض معالمها ولقد وصلت الى الجزائر بعض النسخ في معرض سنة 2011م وهي مطبوعة على شكل كتاب دليل بعنوان : **صورة تلمسان في المحفوظات الفرنسية دليل المعرض تلمسان .2011م** ، و لوحات هذه المخططات موجودة في **المركز الثقافي الفرنسي** في تلمسان الموجود قرب **مسجد أبي الحسن التنسي** الذي هو اليوم **متحف العمومي الوطني للخط الاسلامي** .

6. عبد الحميد حاجيات ، أبوا حمو موسى الزياني حياته و اثاره ، المرجع نفسه ، ص:79.

أما في عهد أبو حمو موسى الأول فانه كان مقبلا على تشجيع العلوم والعلماء مما أخده الى بناء أول مدرسة في المغرب الأوسط بتلمسان ، وعين للتدريس فيها الأخوين ابني الامام ، فسميت بذلك [1]ومسجدها مازال قائما استعمل في صومعته التزويق بالزليج في بدنه بنسبة قليلة وفي جوسقه، أيضا في داخل كشفت ترميمات التي مورست لمواكبة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية 2011م بعض أشرطة من قطع مربعة شكل من الزليج أخضر اللون بعتبة الباب الشمالية لقاعة الصلاة للمسجد التي تطل على ساحة المسجد.وموقع المدرسة يعتقد أنه كان موجود في جهة غربية الشمالية للمسجد[2]، ومن أثار هذا السلطان الزياني أيضا مسجد المشور[3] الذي يقع في الجهة الغربية في قلعة المشور ويحمل طابع الفن عبد الوادية المتأثر بالفن الأندلسي وزليج يتواجد أيضا في صومعته في صحن المسجد ،أما الزليج الذي هو في الصومعة يرافقه بلاطات خزفية نشك أنه مطلية بالبريق المعدني ويتضح ذلك عند سطوع الشمس عليه . كما بنى السلطان أبو حمو موسى الأول قصبة احتجز فيها رهائن من أبناء وبنات أشياخ القبائل ليضمن ولائهم ،لكن هذه القصبة لم يبق منها شيئ[4] يحتمل أن كانت هذه القصبة مبلطة بالزليج خاصة ان كانت داخل المشوار .

أمّا عصر أبي تاشفين فيعتبر مرحلة ازدهار للعمران اذ بلغ أوجه من العظمة والرونق ، وكان هذا السلطان يميل الى اللهو واللذات وكان يمتاز عن أسلافه بدوق الفني مرهف وتفهم جمال الأشكال والصور مع صدقه بالاختراع وبصرة بالتشكيل والابتداع[5]، نعتقد أن فترة هذا السلطان كانت فترة ازدهار صناعة الزليج لأنه كان محبا للزّخرفة و الاشكال الجميلة الجميلة والزليج يوفر هذه المطالب، وكان كذلك ولوعا ببناء القصور الأنيقة وغرس الجنات ومن بين القصور التي بناها والتي سلف ذكرها قصر السرور ، قصر الملك ، قصر أبي فهر[6]، ورغم أن المؤرخين لم يحددوا مكان هذه القصور الا أننا نلتمس شعورا أنه من الممكن أن يكون القصر الذي نحن في صدد دراسة زلّيجه هو من أحد هذه القصور وذلك لما عاينّاه من دقّة، ورشاقة، وجمالية الزّليج الذي يوجد في هذا القصر، وقد تؤكّد دراسات أكاديميّة لا حقة هذه الفرضيّة او تنفيها، وأمر هذا السلطان ببناء مدرسة تقابل الجامع الأعظم المرابطي سميت باسمه كانت من التحف المعمارية تلك الفترة هدمت في الفترة الفرنسية سنة 1875م وانشأ مكانها بلدية عام 1883م، التي أصبحت المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ، مازال لدينا

1. عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى الزياني ، المرجع السّابق، ص:80.
2. صالح بن قربة ، تاريخ الجزائر في عصر الوسيط من خلال المصادر ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ، الجزائر ، 2007م ، ص: 141.
3. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني، المرجع نفسه، ص:80.
4. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني نفسه، ص:81.80.
5. نفسه، ص:81.
6. نفسه، صفحة نفسها .

نماذج عن زليج المدرسة التاشفينية وهي تشبه الى حد كبير زليج قصر المشور (عيّنة الدّراسة)، وهذه النّماذج موزعة على المتاحف في تلمسان وخارجها : فمنها المعروضة في المتحف العمومي الوطني للفن و التاريخ ومنها قطعة بها زليج ذو زخرفة كتابية ونباتية فريدة من نوعها في المتحف العمومي الوطني للخط الاسلامي (أبي الحسن التنسي) ومنها ما تزال غائرة تحت التراب ، ففي تسعينيات القرن العشرين أقيمت أعمال حفر قرب البلدية (موقع المدرسة التاشفنية) من الجهة الشمالية لها عند المدخل الرئيسي لها ، اكتشفت تبليطات من زليج هندسي الشكل لكننا لم نتوصل لمعاينة صور هذا الاكتشاف .وبعض القطع زليج المدرسة ايضا توجد في متحف زابنا وهران لكنها قليلة وأخرى في المتحف الوطني للأثار القديمة الجزائر العاصمة .كما يرجع حفر الصهريج الكبير (صهريج مبدة أو بدة) الى عهد أبي تاشفين[1] الموجود في غرب مدينة تلمسان القديمة .ومن السلاطين الزيانين الذين خلفوا أثارا باقية لدينا أبو حموا موسى الثاني الذي نهض بدولة أجداده سياسيا وثقافيا وعمرها ومن أثاره مركب سيدي ابراهم الذي يحتوي على مقبرة الملوك بنو زيان ومدرسة زينت بالزليج البديع و جامع زينت صومعته أيضا بالزليج والضريح القائم الى يومنا هذا مازل مزدانا بالزليج البديع الذي رمم عدة مرات في حقب مختلفة ، لكن عند قدوم هذا السلطان كانت تلمسان زاخرت بالأثار والمعالم الراقية و ما كان على أبوا حموا موسى الثاني والسلاطين الذين تلوه الى التباع هذا التقليد الفني العمائري الخاص بملوك المغرب الأوسط والاقصى والأندلس .

الى جانب هذه المعالم الزيانية المعروفة هنالك معالم مندثر تحث التراب تكلمت عنها كتب التاريخ ولم يصلنا الينا منها إلاّ القليل، هي المنيات[2] وليس لدينا نماذج عنها في تلمسان الا التي اكتشفها مزارع فرنسي عند حرثه لقطعة أرضه في منطقة الصافصيف سنة 1929م ، وأقيمت حفرية لها من يوم 9 الى 27 سبتمبر من نفس السنة من طرف الباحث" Alfred bel" فاكتشف مجموعة من الهياكل لها وأرضيات من الزليج [3]، لكن الباحث صنفها أنها تعود للفترة المرينية باستناد الا قطعة

1. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ، المرجع السابق، ص:83.

2. المنية : هو الشيء المرغوب فيه، المبتغى ،هي الحديقة أو المزرعة تكون خارج أسوار المدينة ، أنظر : السيد عبد العزيز سالم السيد عبد العزيز سالم ، العمارة الاندلسية في الأندلس وتطورها ، المرجع السابق ،ص: 101.

3 Alfred bel .vestiges d'une villa royal musulmane (du début du xiv siècle dans la banliene de Tlemcen extrait du cinquième congrès international d'archéologie .Alger 14 – 16 avril 1980 p:2.

من الجص المكتوبة لكن بعض الدراسات التي أتت فيما بعد برهنت ان هذا الموقع يعود للفترة الزيانية باستناد الى تاج عمود[1] مكتشف في نفس الفترة أظهر أن الموقع أكثره زياني من أن يكون مريني .

في سنة 2010م، اكتشفنا أثارا لمنية شككنا في بادئ الأمر أنها نفس المنية التي اكتشفها "**بال**" ، و اتضح أنها تعود للفترة الزيانية وذلك باكتشافنا نحن أيضا لتاج زياني في 2013م ، نقلناه الى المصالح المكلفة بحماية الاثار وعرضنا صوره ومقاسته على خبيرة للتيجان الفترة الاسلامية الوسيطة لمغرب الاسلامي والاندلس[2]بالإضافة لهذا التاج اكتشفنا مجموعة من الهياكل والارضيات المختلفة منها المبلطة بالزليج والاجر ومنها جدران يظهر أنها كانت مكسوة بالزليج لما وجدناه من نمادج(أنظر الصور رقم :32و33) وسوف نقدم تفصيلا عن باقي الاكتشافات في دراسات مقبلة انشاء الله .

ومن هنا يظهر أن فنّ الزّليج هو فنّ تزويقي بالمنشأة الملكيّة خاصة أو أنه استعمل في المشاريع السلاطين فقط داخل المدينة وخارجها ولربما كان هناك تنافس بين السلاطين في بناء المنشأة وتزويقها ، لذا نجده ينتشر ويرتبط بالعمارات التي خلفوها بمواضيع مختلفة ومتنوعة .

2 . موضوعات الألواح الزخرفيّة للزّليج الزّياني: موضوعات ألواح الزّليج مختلفة باختلاف الزخارف النباتية أو الهندسية التي هي أكثر استعمالا ، ونقصد بالموضوعات الزخرفية الأشكال العامة المعروفة في الزخرفة الاسلامية ونتطرق لهذا العنصر لتعريف وذكر بعض هذه الموضوعات التي استخدمت في الزليج المغربي الأندلسي . وهذه الموضوعات الزخرفية في الألواح هي في الحقيقة العناصر المكونة للنمط الزخرفي الذي يتعدد في زليج تلمسان التي يعود للفترة الزيانية . أما فيما يخص موضوعات الألواح الزخرفية الزليجية فلدينا في الزخرفة الهندسية ما يلي :

أ . الموضوعات الزخرفة الهندسية: تحتلّ الزّخرفة الهندسية المرتبة الأولى من حيث الاستعمال في التزويق بالزليج ولها مواضيع عديدة و مختلفة لكنها تبدوا كأنها متشابه إن لم ندقّق النّظر فيها، وتسمّى **بالتسطير**[3]، لاعتمادها على الخطوط المستقيمة و الزوايا ،وأكثر النمادج والمواضيع شيوعا في الزليج الزياني هي :

1. . تاج العمود منية الصافصيف: هو معروض اليوم في ساحة الخارجية الشمالية لمسجد أبي الحسن التنسي في الزاوية الشمالية الغربية لها ويحمل وكان يعتبر من مجموعة المتحفية لمتحف المدرسة يحمل رقم جرد :amchap10

2. الدكتورة : بسمة فدهلون ، التي قامت بجرد ودراسة كل التّيجان التّلمسانية للفترة الزيانية والمرينية في القرن 14م.أنظر مقال : تيجان تلمسانية في القرن14م مقدم في الملتقى الدولي الذي نظمته جامعة تلمسان ، تحث عنوان ثلاثة عشر قرنا من التاريخ المشترك ، ايام 19.18.17 أكتوبر سنة 2011م .

3. نعيمة الحضري ، المرجع السابق، ص:13.

1 . الاطباق النجمية : هي عبارة عن أشكال نجمية متعددة الأضلاع أو دوائر مضلعة وخطوط منكسرة ومتشابكة يظهر منها العنصر النجمي، ولهذا سميت بالأطباق النّجمية، هو ابتكار فنّانين مسلمين[1]، وتعتبر من أبرز الموضوعات الزخرفية الهندسية التي امتازت بها الفنون الاسلامية ، و هي من الأشكال الهندسية المستوحاة من البلورات الصخرية (الكريستال) وبلورات الماس و اشعاعات النجوم، و الأطباق النجمية توحي بالاستمرارية واللانهائية في الزخرفة[2] ،ولربما شاع استخدامها في الزليج بكثر لأن ألوانه زاهية وبراقة وقطعه كثيرة وصغيرة تعطي لزخرفة بالأطباق النجمية منظورا يطابق العناصر التي ذكرنها (البلورات الماس واشعاعات النجوم) التي جلبت واقتبست منها .

انتشرت الأطباق النّجمية بكثرة في مدينة تلمسان والمغرب الأقصى والأندلس وتعتبر عند بعض الباحثين ميزة خاصة اتّصف بها الفن المغربي الأندلسي مند نهاية القرن 11م وبداية 12م، هي والأشرطة البيضاء المتشابكة المحيطة بها[3]، التي تعتبر عنصر منها .ومن النماذج الأولى التي نعرفها في تلمسان عن هذا النوع هي التي وجدت في بادئ الأمر في فن الجصي نذكر محراب جامع الكبير الذي يعود للفترة المرابطين 1135م أما الفترة الزيانية فهناك محراب أبي الحسن التنسي الذي يعود لسنة 1296م كما تتوجد قطع للجص استعمل فيها طبق نجمي في المتحف المدرسة (أصبح اليوم المتحف العمومي الوطني للآثار الاسلامية . تلمسان) التي اكتشفت في أعمال استطلاع في قلعة المشور لسنة 1991م/1992م وهي مسجل تحث رقم جرد026/s.

أما نماذج الأطباق النّجمية في فن الزّليج بتلمسان، في الفترة الزّيانية، فهي عديدة نذكر منها :

المدرسة التاشفينية :متنوعة وهي من بين أهمّ النّماذج الموجودة للزليج تلمسان لأنّها منجزة بطريقة فنية راقية فرشت على الجدران والأرضيات، وواجهات الأبواب و استعملت فيها الألوان المختلفة، مع تغيّر مواضعها عند توزيعها بصفة متناسقة، لكن ما لم يتغير لون السيقان البيضاء المتداخلة. أحصينا أضلاعها الأطباق النجمية للمدرسة التاشفينية المتبقية على مختلف المتاحف الوطنية فوجدنا قد استعمل فيها ثمانية أضلاع وعشرون ضلع.

والنّماذج الموجودة في متحف تلمسان(الذي صار يسمّى المتحف العمومي الوطني للآثار الاسلامية /المدرسة) ،هي على شكل لوحات من الزليج لا يتعدى طولها عادة عن 1.55م وهذه الأخيرة موجودة تحث رقم جرد الحالي 194 .91

1. نعيمة الحضري ، المرجع السابق ، ص:13.
2. كلود عبيد ، المرجع السابق، 84.
3. نجاة عروة، المرجع السابق ،ص: 140.

ورقم جرد مارسي 194 لسنة 1906م ،التي استعمل فيها 20ضلع لم يستعمل فيها الا اللون الأسود والسيقان بيضاء وتتخلل هذه الاطباق النجمية الكبيرة أطباق أخرى ذات 8 أضلاع أستعمل فيها اللون الأصفر عسلي والأسود و الأزرق وسيقان بيضاء وتتراتب وتتداول هذه الأطباق الصغيرة مع متعددات الزوايا ذات الأشكال النجمية .وهناك لوحات من زليج أخرى بنفس النمط الزخرفي التي تعود ربما لنفس التبليط موجود أيضا في نفس المتحف تحمل رقم جرد الحالي z/33 التي كانت تحمل رقم جرد 193(جرد مارسي 1906م) (أنظر صورة : 11 و12) .

هناك نوع آخر من الأطباق النّجمية للمدرسة التاشفينية موجدة في نفس المتحف تحث رقم جرد z/30، استعملت فيها 8 أضلاع بالألوان الزّرقاء، والصّفراء العسلية، تحدّها سيقان بيضاء، والكلّ يشكّل دوائر متكرّرة ومتداولة في الألوان، نوات الدّائرة الواحدة فيها نجمة ثمانية (خاتم سليمان)، ذات لون أسود ثم تترتب بعدها أشكال متعددة الزوايا (فرم التي تسمى باللوزة) تشكل بدورها دائرة اما تكون باللون الأزرق أو العسلي ثم تليها دائرة أخرى بأشكال متعددة الزوايا والأحجام باللون الأسود فقط في كل مرة ،ثم دائرة بأشكال متعددة الزوايا بالأزرق أو الأصفر العسلي وأخيرا دائرة الأخيرة ذات اللون الأسود (أنظر صورة رقم :13).

في متحف الاثار القديمة في الجزائر العاصمة هناك لوحة للزليج المدرسة التاشفينية بمختلف الأنواع النباتي و الهندسي تظهر فيها الأطباق النجمية لكنّها غير كاملة الملامح، وهي تحت رقم جرد 184 (أنظر الصورة رقم :14). في المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ لتلمسان هناك لوحات من الزليج للأطباق النجمية للمدرسة التاشفينية التي هي للمتحف المدرسة، الاولى التي هي تحت رقم جرد 194 قد تم ذكرها و الثانية لم نجد لها رقم جرد وهي عبارة عن لوحة مرممة تحوي على مجموعة من الأطباق النجمية منها ماهي كاملة ملامح ومنها ماهي ناقصة الملامح وهي فريدة من نوعها كلها استعمل فيها ثمانية أضلاع (أنظر الصورة رقم : 15).كما هناك في متحف زبانة بولاية وهران زليج ينتسب للمدرسة التاشفينية عايناه لكن لم نلتقط له صور . وهناك لوحات لزليج المدرسة التاشفينية في مخازن متحف اللوفر في فرنسا .

أما النماذج التي لم نجدها عن الأطباق النجمية في المتاحف و التي وجدت في الرسومات والمخططات الأرشيف متعلقة بالزليج المدرسة التاشفينية لسنة 1873م لرسامين (E – Danjoy)و (E- Duthoit) فهي ذات4 أضلاع 10و أضلاع و 12ضلع و18 ضلع، زد الى ذلك وجود أنصاف الأطباق النجمية تتكون من5 أضلاع قد وجدت على واجهة مدخل المدرسة في بنيقة (أنظر الشكل رقم :4)، كما ظهر ضمن هذه الرسومات نوع من الأطباق النجمية قومها دوائر تلتقي في مركز واحد فتعطي انطباعا بأنه استعمل فيها الزخرفة النباتية(أنظر الشكل رقم : 2)

ضريح الملوك بني زيان (سيدي براهيم) : مازال ضريح سيدي ابراهيم يحتفظ بزليج يظهر انه أصلي ، لكن من الضروري التحقق منه وذلك عبر أرشيف الترميم الفرنسي الذي لم نتوصل للحصول عليه لأنه ما لاحظناه أيضا أن هذا النوع من الزليج يشبه الزليج التيطواني بالمغرب الأقصى ، وتوجد بهذا الضريح أطباق نجمية ثمانية الأضلع استعمل فيه اللون الأسود فقط تحدّها قطع نجميّة، ومضلعات باللون الأصفر العسلي الكل يشكل مربعا يحيط بالطبق النجمي(أنظر الصورة رقم :22).

قصر المشور :توجد عدّة نماذج من لوحات الزليج التي استعمل فيها الاطباق النجمية جلبت من قلعة المشور وأغلبها ثمانية الضلع و الاثني عشرة ضلعا وستة عشر ضلعا و عشرون ضلعا، و هذه النماذج كانت معروفة قبل حفريات المشور 2008م بكثير وذلك مند سنة 1906م في جرد جورج مارسي ومن بين هذه لوحات الزليج بالأطباق النجمية التي هي مسجلة تحث رقم 201 ولها نفس الرقم الجرد حاليا في متحف المدرسة استعمل فيها الأطباق ثمانية الأضلاع باللون الأسود، ومنها ما هو باللّون الأخضر(أنظر الصورة رقم :16) .والتي تحمل رقم جرد الحالي في متحف المدرسة 91/199 وفي جرد مارسي 199 ذات 8 أضلاع(أنظر الصورة رقم :17) وهي تشبه لوحة زليج الأطباق النجمية للمدرسة التاشفينية التي تحمل رقم z/30 .ايضا التي تحمل رقم جرد مارسي 200 ذات 8 أضلاع (أنظر الصورة رقم :18)، واللوحة التي تحمل رقم جرد مارسي 196 ذات 8 أضلاع أيضا (أنظر الصورة رقم : 19).

هذا فيما يخصّ ألواح الزّليج ذات الأطباق النّجمية التي جردت في سنة 1906م من طرف جورج مارسي أما التي وصلتنا في فترات الحديثة فهي التي تحمل رقم جرد sn 0506 استعمل فيها عشرون ضلعا[1](أنظر الصورة رقم :20).و في متحف المدرسة لوحة من الزليج للأطباق النجمية ثمانية مختلفة تحت رقم جرد 0306sn تعود أيضا لموقع المشور (أنظر الصورة رقم :21).

أمّا زلّيج الأطباق النّجمية التي مازالت باقية في موقع المشور والتي أدمجت في المبنى الجديد الذي يسمى اليوم القصر الملكي، فهي موجودة في الغرفة الشرقية والجنوبية والغربية لهذا المبنى أما تبعا لمخطط حفرية الانقاذية لسنة 2010م فهي موجودة في المنطقة الأولى في الجهة الغربية والشّمالية لها، وفي المنطقة الثانية في الجهة الجنوبية والشرقية، وتبعا لمخطط حفريات 2008م فهي موجودة بالضبط في قاعة2D20 التي تقع في الجهة الشمالية للموقع وقاعة 2D23 التي تقع في الجهة

1. تشبه التي وجدت في جهة غربية من قلعة المشور عندما حاول بعض عمال اقتلاع جذور شجرت تشنار فاكتشفت أرضية من زليج بأطباق نجمية وذلك كان في تسعينيات قرن العشرين .

الغربية لموقع اما باقي مواقع الهياكل التي وجدت بها الأطباق النجمية فكانت لم تكتشف بعد . استعمل في هذه الاطباق النجمية ثمانية أضلاع واثني عشر ضلع وست عشر ضلع ، كما أنه استعمل في مسجد المشور زليج بالأطباق النجمية في فرش صحنه وهي ذات ثمانية أضلاع.

أطباق نجمية مجهولة المواقع :توجد في متحف المدرسة نماذج للأطباق نجمية مجهولة الموقع وهي موضوعة تحث رقم جرد z/007 واستعمل فيها 20 ضلع معروضة اليوم في المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ بتلمسان ،ونموذج اخر z/040 هو الاخر يحمل 20 ضلع (أنظر الصورة رقم :23) اضافة الى هذا توجد مجموعة معتبر من قطع الزليج في متحف تلمسان (المدرسة) من بينها بقايا لزخارف بالأطباق نجمية .

. 2 . شبكة المعينات :

يعتبر هذا النوع من الزخرفة أوسع استعمالا في الزليج الزياني وحتى المريني بتلمسان بعد الأطباق النجمية وموزست في مواد أخرى غير الزليج مثل الجص وبالأجر ، كما يكثر استعمالها في العمائر مثل المآذن ومداخل وغالبا ما يكون الزليج مرصعا فيها أو يكون العنصر الرئيسي والوحيد في زخارفها، وينتمي هذا النوع من الزخرفة الى ما يسمى بالزخرفة الشبكية فهناك التشبيكات المستقيمة و التشبيكات مقوسة الخطوط والتشبيكات الهندسية [1] وقوام هذه الزخرفة الشبكية مربعات أو معينات أو أقواس مكسورة أو مزيج بين أقواس ومعينات ويمكن أن نجد شبكة معينات بطابع زخرفي نباتي التي يسميها جورج ووليم مارسي تشبيكات زهرية [2] وغالبا ما تكون قاعدة هذه الزخرفة بائكة صماء ثم تنطلق التشبيكات بالمعينات وأحيانا ما تكون هذه المعينات مزدوجة . وفيما يخص تاريخ ظهور هذه الزخرفة فان الترجيح الوارد بين المتخصصين ينص أنها ظهرت في الأندلس ومن هؤلاء يذكر جورج ووليم مارسي أنها ظهرت في المنارات المساجد ،منها جامع قرطبة ،كما وجدت في منبر مسجد سيدي عقبة حوالي 894م[3]، وفي المغرب الاسلامي لنا مثال في واجهة الجنوبية لمئذنة قلعة بني حماد عن استعمال هذا النمط الزخرفي ما تزال بعض القطع المطلية باللون الأخضر ثابتة بإحدى فراغات مشكلة لشبكة .

وفي تلمسان أيضا استعملت الزخرفة بالشبكة معينات في المنارات الزيانية ورصعت بداخلها قطع من الزليج تكون في أغلب الأحيان خضراء اللون ، اما في الارضيات فلنا مثالين نجدهما في قصر المشور الأول بالجهة الشرقية للموقع في مربع الخريطة

1. وليم و جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان ، المرجع السابق، ص:115.112.
2. المرجع نفسه، ص:119.
3. نفسه، ص:112.

الشبكية للموقع W 50 حسب مخطط حفريات 2008م ، أما حسب مخطط 2010م فهي تقع في المنطقة الثانية ، وتظهر بوضوح أنها عتبة مدخل للقاعة (أنظر الصورة رقم :24). والثاني في الجهة الغربية للموقع في وسط القاعة 23D2 حسب مخطط للخريطة شبكية لحفرية 2008م أما في مخطط 2010م فيوجد في المنطقة الأولى في الجهة الغربية واستعملت زخرفة بشبكة المعينات في شريط يحيط بنافورة مغلقة بالأجر عند اكتشافها ، ونشير أن هذا الزليج أول والثاني اكتشفا في حفرية 2010م (أنظر الصورة رقم: 25).

3. الأفاريز:

افريز الحائط طنفه[1] ،أي الجزء البارز فيه ، وهو الزخرفة المنقوشة أو المكتوبة تحت السقف من الداخل المنشأة أو تحت السطح ، وممن استعملوا هذا المصطلح ابن رستة(أبي علي أحمد بن عمر) في كتابه الأعلاق النفيسة في وصفه للكعبة الشريفة عام 290هـ/902م ، حين قال أن سقفها قد نقش بالألوان والذهب وأنه يوجد افريز منقوش ومذهب يدور تحت سقفها أسفل هذا الأفريز افريز أحز من الفسيفساء [2] ثم طورت استعمالات الأفاريز في أماكن أخرى غير أسفل السقوف واستعملت كأشرطة تزينية مزخرفة تحيط بالبنيات المختلفة وبرزت بكثرة في القباب و الصوامع والمآذن المساجد . من بين استعمالات هذه الزخرفة في الزليج تلمسان في الفترة الزيانية استعملت في جوسق المآذن و حشى في البدن حيث تحيط بالواجهات الأربعة لها ، أما داخل المباني وظفت في أعلى الازار الزليج على الجدران وفي الأرضيات مورست لتحيط بالنا فورات . وهذا النوع له مواضيع مختلفة من أشكال نجمية و معينات و أقواس وشرفات(أنظر الصورة رقم :26)، فالأفاريز تأخذ شكلا أو شكلين أو أكثر وتكرره بتسلسل على شكل شريط كما الأفاريز ليست هندسية فقط بل استعملت الأفاريز النباتية أيضا في الزليج ، ويجب الاشارة أن الضفائر الهندسية المختلفة يمكن استعمالها كأفاريز في الزخرفة في الزليج .

4. الضفائر :

الضفيرة هو السد أو الحائط الذي يبنى لحجز الماء[3] ، لكن هذا المصطلح يستعمل للإشارة للزخرفة شريطية المضفورة وقد نجدها بتسمية أخرى وهي الجدائل ، تعمل الضفيرة عمل الأفريز وتوظف في نفس الأماكن التي تمارس فيها الأفاريز وقد نجدها متحدة مع أشكال هندسية أخرى .

1 .. طنف : هو السقيفة التي تبرز فوق باب الدار . أنظر : سامي محمد نوار، المرجع السابق ، ص:118.

2 . سامي محمد نوار، المرجع نفسه ، ص: 17.

3 ، نفسه ،ص: 112.

في تلمسان الفترة الزيانية استعملت الضفائر في المآذن منها مئذنة مسجد الكبير المرابطي الذي يوجد فيه شريطان من الضفائر أما المآذن مساجد التالية: أقادير ، سيدي ابراهيم المصمودي ، ولاد الامام استعمل شريط واحد فقط لضفائر . مسجد أبي الحسن التنسي استعمل في زخرفة الزليج الاصلية نوع من الضفائر التي تتكون من ثلاثة خطوط مضفورة خطان بلون أسود وخط باللون أصفر العسلي(أنظر الصورة رقم : 27) أما استعمال الضفائر في الجدران في الفترة الزيانية داخل المنشأة فليس هناك نماذج اما خارج المنشأة في الواجهات فلدينا أمثلة عنها في باب المدرسة التاشفينية (أنظر الصورة 14و شكل رقم :4) .في الأرضيات استعملت الضفائر في صحن مسجد المشور .

. 5 . أشكال النجمية :

ذكرنا في عنصر سابق استعمال الأشكال النجمية في الزخارف القديمة وتاريخ أول ظهور لها ، وأعطينا مثال بالنجمة الثمانية التي تتشكل بتقاطع مربعين من نفس القياس أو قياس مختلف و هي في الحقيقة أكثر عنصر من هذه المجموعة استعمالا في الزليج أيضا ،لهذا نجدها منتشرة بكثرة في الزليج الزياني بأحجام مختلفة وفي أماكن متنوعة وفي مواضيع شاسعة ، فيمكن أن نجدها على واجهات الجدران الخارجية والداخلية وكذا الارضيات وقد نجدها متحدة مع أشكال متنوعة من معينات ومربعات ومستطيلات أو تكون نواة الأطباق النجمية الثمانية التي تكون هي منطلقها .وسميت بأسماء عدة من أشهرها خاتم "سليمان" ويمكن القول أنه في تلمسان لا يخلوا أي معلم من المعالم الزيانية البارزة في الزخرفة بالزليج من النجمة الثمانية وخاصة منها الصوامع اذ تستعمل بكثرة في أفاريز المزينة لجوسق المأذنة . بإضافة الى النجمة الثمانية في الزليج الزياني هناك النجمة ذات عشرة رؤوس واثني عشرة رأسا وست عشرة رأسا و عشرون رأسا وكل هذه الانواع نجوم نجد أنه قد استعملت أنصافها في الزخرفة وذلك عند حدود النطاق الزخرفي أو ادخلت في نمط الزخرفة لتزين مع أشكال أخرى .

. 6 . المربعات :

تعدّدت أشكال قطع الزليج، ويعتبر المربع هو منطلق لهذه الاشكال وذلك عند ممارسة عملية القطع التي ذكرناها سالفا اذ أن يحرق الزليج في شكل مربعات ثم تكسر الى أشكال مختلفة ، ويعتبر تقطيع المربع المحروق الى مربعات صغير من بين أسهل عمليات تقطيع لذا كثر استعمال شكل المربع في الزليج بأحجام المختلفة .

كما قد نجد المربع متحدا مع أشكال أخرى مثل النجوم الثمانية والمستطيلات أو معينات أو حتى مع مربعات أخرى أصغر حجما ،ولنا نماذج كثيرة عن استعمال شكل المربع في الزليج الزياني (أنظر الصورة رقم :28).

. 7 . المستطيلات :

هي أكثر الأشكال الهندسية استعمالا في زخرفة الزليج عامّة وفي الزليج الزياني، فقد نجده متحدّا مع أشكال أخرى في تكوين الزخرفة (أنظر الصورة رقم : 28) أو نجدها منفردة مشكلة بتسلسلها شريطا بلون أخضر في أغلب الأحيان ، توظف عادة لفصل بين مواضيع الزخرفية الزليجية أو لإحاطة بها ، استعملت في جميع الأماكن اي في الواجهات الجدران الخارجية والداخلية على الأرضيات في النفورات في الأحواض في العتبات ولها أحجام كثيرة ، ونماذج عنها كثيرة في الزليج الزياني وفي قصر المشور .

. 8 . المضلعات :

الى جانب المربعات والمستطيلات استعمل في الزليج الزياني بتلمسان المعينات بمختلفة الأحجام و المثلثات وأشكال الخماسية والسداسية و الثمانية الاضلاع بأشكال مختلفة ومتنوعة جدا اذ يصعب حتى وصفها ، لكن من المعروف في حرفة الزليج أن كل شكل له اسم معروف به بين مجموعات الحرفية التقليدية في المغرب الاقصى وسوف نأتي ببعض من هذه الاسماء في عنصر مقبل .

. 9 . الشرفات و الاقواس :

قد يصنفان في ما يسمّى الزخارف المعمارية وذلك لاقتباس فنان أشكالها من عمارة ، والشرفات هي عبارة عن زوائد توضع في أطراف[1] المنشأة المختلفة خاصة الحربية منها بغرض تزييني أو وظيفي . واستعملت بكثرة في الأفاريز التي تعلو ايزار الجداري وقد نجدها في أشرطة المحيطة بالنافورات و لها أشكال مختلفة في الزليج الزياني (أنظر الصورة رقم :29)، وفي قصر المشور أمثلة عن مختلف أنواع الشرافات التزينية الزخرفية في الزليج وكذا نجدها في أرضيت صحن مسجد المشور وكذا في ضريح سيدي ابراهيم .

أما الأقواس فليس لنا نماذج كثيرة عنها في الزليج الزياني الا في باب المدرسة التاشفينية وهو من نوع نصف دائري متجاوز(أنظر الشكل رقم : 4) .

1 . ابراهيم أنيس ، معجم الوسيط ،دار الدعوة للنشر والتوزيع ، اسطنبول ، تركيا ، سنة1985م ، ص: 480.

ب . الموضوعات الزخرفية النباتية :

تقوم عادة على زخارف مشكلة من أوراق النباتات المختلفة والزهور المتنوعة وبراعمها لذا سميت بفن التوريق[1]، وقد نجد لها تسميات أخرى مثل التشجير أو التزهير أو الرقش النباتي [2]، وترتكز أسسها على الخطوط المنحنية وأجزاء الدائرة واللولب وتجريد النباتي ، كما برزت فيها أساليب عديدة مثل افراد و مزاوجة والتقابل والتعانق وفي كثير من أحيان تتألف الوحدات الزخرفية من عناصره نباتية متداخلة ومتناظرة ومتشابكة وتكون متكررة بصورة منتظمة ومتناسقة[3] .

وفي الزّليج يستعمل مجموعة من الاشكال النباتية معروفة في الفن المغربي وعند الحرفين والصناع ولكل شكل اسم متداول بينهم من بين هذه المفردات: الظفر ة والسبايل والحاجب والنوارة والصنوبرية [4]، لكن هذه الأخيرة تعتبر قطع الفرم زليج ولا تعتبر من موضوعاتها الزخرفية النباتية بل القطع المشكلة لها ، اذ يمكن لقطعتين من الفرم تشكيل مروحة نخيليّة.

وما يجب ذكره أن موضوعات زخرفية النباتية في الزليج محدودة مقارنة مع التي هي موجودة في الزخرفة الهندسية اذ تدور حول مواضيع واحدة وهي تشبيكات بمراويح نخيلية التي تجمع في أغلب أحيان بين العناصر معروفة في الزليج النّباتي، اذ نجد مراويح نخيلية بسيطة مجتمعة مع مراويح نخيلية مزدوجة مع أغصان المتداخلة مع البراعم في بعض المرات . ونماذجها في المعالم زيانية الباقية محدودة أيضا اذ نجد أثر زخرفة النباتية في أرضيات الزليج الزياني الا في قصر المشور و المدرسة التاشفينية التي اندثرت (أنظر الشكل رقم 6) .وهذه التشبيكات النباتية بالمراويح النخيلية في الزليج الزياني تشبه إلى حد كبير التشبيكات بالمراويح النخلية لمركب مدينة شالة المغربية الذي يعود عهدها للفترة المرينية ، ويذهب بعض الباحثين الى القول أن هذا الزليج الزياني النباتي والمغربي هو من صنع ورشة واحدة[5] (أنظر الصورة رقم :30) أما الزليج النباتي في الواجهات الزيانية التي وصلت لنا فلدينا مثال وحيد وهي في حلية منار مسجد أبي الحسن التنسي ، اذ استعمل في تزين تيجان عموديين الحاملة لثلاثة عقود صماء مفصصة ، وهي عبارة عن توريقات ملفوفة و متدابرة على محور سيميترية استعمل فيها اللون الابيض والأسود والأخضر، وهناك قطعة محفوظة في متحف المدرسة بتلمسان للزليج النباتي لمسجد أبي الحسن التنسي الموضعة تحث رقم جرد التالي :sn30 التي كانت ضمن مجموعة مارسي تحث رقم 202 وهي بنفس النمط الزخرفي النباتي

1 .. التوريق : هي الزخرفة العربية ، الزخرفة النباتية المعقدة Arabesque أنظر : السيد عبد العزيز سالم ، بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية ، المرجع السابق ، ص: 2.

2. عفيف البهنسي ، الجمالية الفنية في المفردات العمارة الاسلامية ، عالم الفكر ، المجلد 4، سنة 2006م ، ص: 39.

3. نعيمة الحضري ، المرجع السابق ، ص:18.

4. نعيمة الحضري، المرجع نفسه ، ص: 18.

للتجان (أنظر الصورة رقم :31).في المدرسة التاشفينية أستعمل الزليج النباتي في واجهة مدخلها (أنظر الصورة 14 و الشكل : 4) وفي متحف المدرسة بعض نمادج القليلة للزليج النباتي الزياني المحفوظة تحت أرقام جرد : sn22و sn007 و 028/z(أنظر الصور رقم:34 .35 .36) .

ج . الموضوعات الزخرفية الكتابية :

اعتمد الفنّان المسلم على الكتابة العربية كعنصر زخرفي في كل ابداعاته الفنية مند العصر الأموي وتطورت العمارة في القرن الرابع هجري وانتشر معها استعمال الخط العربي بشكل واسع في العالم الاسلامي[1].

وكان للخط العربي في الزّليج المغربي الأندلسي دور وظيفي وجمالي، اذ نجده مستعملا في الكتابات التأسيسية في المنشأة المختلفة كما نجده مستعملا كعنصر مكملا لجماليات العمارة .

ولقد ذكرنا سابقا التقنية المستعمل في تجسيده على الزليج وهي" التقشير/ excises" أو بما يسميه الحرفين الزليج المغرب الأقصى الزليج المقشر أو طريقة الكتابة المؤلفة .

في الزّليج التلمساني لدينا نماذج قليلة عنه وأكثرها تعود للفترة المرينية (واجهة مدخل الرئيسي لمسجد "سيدي بومدين "العباد وواجهة مدخل الرئيسي لمسجد "سيدي الحلوي") وهي عبارة عن كتابات تأسيسية ، في الزليج الزياني لدينا استعمال في واجهة الجنوبية لمئذنة مسجد المشور ، لكن الكتابة منجزة على بلاطات خزفية غير مقطعة أي مربعات خزفية وليس قطع فرم زليج مركبّة.

أما نماذج الزّليج المقشر الكتابي الزياني فلدينا نماذج قليلة معروفة ، هي التي موجودة في متحف المدرسة التي تحمل رقم جرد :sn28 (أنظر الصورة رقم : 37)، وهناك قطعة من زليج الكتابي تعود لقصر المشور اكتشفت في فترة حفريات 2010م ، لم نتمكن لمعاينتها أو الحصول على صورتها ، لكننا وجدنا اشارة لها في تقرير أولي حول الحفرية الانتقادية لقلعة المشور بتلمسان [2].

1. نعيمة الحضري ، المرجع السابق ، ص:18.
2. لخضر درياس، وأخرون ، تقرير أولي حول الحفرية الانقادية لقلعة المشور . تلمسان ، أوت 2010 م ، ص :26.

3. قلعة المشور والقصر المكتشف :

أ . موقع قلعة المشور:تحدّ قلعة المشور النّاحية الجنوبية لقلب مدينة تلمسان، على 1,19° من خطوط الطول غربا، و34,53° من دوائر العرض، أمّا المناخ فهو شبه جافّ معتدل، يتربّع على مساحة تقدّر بـ: أربعة هكتارات[1]، شكل القلعة مستطيل (280 × 460متر)[2]ونسبة ارتفاعها بالنّسبة لمستوى البحر تقدّر بـ:810,19 مترا، (أنظر اللوحة رقم 18:).

بعبارة أخرى تتمركز قلعة المشور وسط مدينة تلمسان حالية حيث تحدها شرقا ثانوية المشور، وحيّ الرّحيبة، وغربا، كان يحدّها قصر" **مصطفى باشا"**[3]، الذي كان ملكا للجيش الوطني الشعبي، (أنظر اللوحة رقم 1)، الذي هدم مؤخرا في سنة 2013م وتبنى مكانه بنايات جديدة , وغربا دار الثقافة عبد القادر علولة وخلفها, مسجد سيدي ابراهيم, أما من ناحية الشمال ساحة الأمير عبد القادر مع الجامع الكبير, ومسجد سيدي أبي الحسن التنسي ومتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ مقر بلدية سابقا مند سنة 1883م. أما جنوبا ثانوية مليحة حميدو ويفصل بينهما طريق ولائي الذي يؤدي الى مقبر شيخ السنوسي ومركب سيدي بومدين(أنظر اللوحة رقم 2) .

ب . لمحة تاريخية عن قلعة المشور :أولّ حادثة تاريخيّة مشهور بها موقع قلعة المشور هو نصبّ يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي خيمة لحصار مدينة أقادير أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، في عهد الدولة الزّيانية نقل السلطان يغمراسن بن زيان مقر حكمه من القصر البالي المرابطي الملاصق للمسجد الكبير الى هضبة جنوب المسجد نفسه [4]، ثمّ استقرّ ورثته فيها، وكان من أهمّ النّاشطين في بناء المدينة السّلطانان: أبو حمو موسى الأول، وعبد الرّحمن بن تاشفين، عمدوا إلى تشييد الدّور، والقصور، والمدارس، والمساجد، فهناك إشارة مشهورة لعبد الرحمن بن خلدون للقصور معروفة في كتب التاريخ، دار الملك، الدار السرور، دار أبي فهر، والدار البيضاء ، أما السور الحائط لقلعة المشور فقد بني من طرف أبي العباس أحمد العاقل سنة 1446م[5]، في العهد العثماني استقرت وتحصّنت عائلات من الكراغلة أيام الفتن خف على اثرها بريق القصور

1 . لخضر درياس وأخرون ، المرجع السابق ، ص :1.

2 . Agnès Charpentier ,et d’autres,l’image de Tlemcen dans les archives françaises , Mauguin , Blida , Algérie, 2011 ,p :65.

3. هذه البناية كانت تعود للفترة العثمانية .، أنظر :

Agnès Charpentier ,et d’autres, ibid , p :152.

4. عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص:175.

5. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ، المرجع السابق، ص:82. 83.

. فترة المقاومة الجزائرية تمركز الأمير عبد القادر مدة أربع سنوات بعد فرض معاهدة التافنة على الفرنسين سنة 1837م[1]، غير أن العساكر الفرنسين سيطروا على مدينة وقلعة المشور وعمدوا على تهديم البنايات و تغير ملامح القصور داخل القلعة التي أسفرت الحفريات على اظهار بقايا من أثار قصر الشمالي وذلك مند تسعينات القرن العشرون .

- بعض الاحداث التاريخية الحديثة لقلعة المشور من القرن 20و 21م:

1962م:تمركز الجيش الجزائري بالمشور وبناء مدرسة أشبال الثورة.

1987م :مغادرة الجيش الجزائري قلعة المشور.

1990م:بداية الحفريات في المشور (قيام بأسبار وتحرّي الموقع و بحوث) .

2002م:بداية أعمال التّرميم تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية .

2003م:افتتاح المشور كمكان ثقافي تحث الرّعاية السّامية لفخامة رئيس الجمهورية السّيد عبد العزيز بوتفليقة

2008و2009م:حفريات جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قسم علم الآثار .

2010م: الحفرية الوقائية، وترميمات وإعادة بناء القصر.

2011م : القصر الملكي منشأة سياحية ثقافية، ومسجد المشور متحف للطقوس الإسلامية، لمواكبة تظاهر عاصمة الثّقافة الاسلامية تلمسان .

2013م: قصر المشور ومقهى أصيلة سابقا، متحف (مركز التفسير للباس التقليدي).

ج . قصر المشور : يقع قصر المشور في الجهة الشمالية الغربية لقلعة المشور(أنظر اللوحة رقم :2و4) ، تعد هذه البناية من المنشآت التي أعيد استعمالها في قلعة المشور من طرف الجيش الفرنسي فقد غيروا ملامحها تماما حيث كانت سوف تهدم بقايا جدران المبنى في تسعينات وذلك لأنها كانت بطابع فرنسي .

فيما يخص تاريخ تأسيسه فاستنادا للنوعية الزليج والجص الذي وجد به يذهب بعض الباحثين أنه يعود للقرن الرابع عشر ميلادي[1] .

1. فتحي دردار، الأمير عبد القادر. بطل المقاومة الجزائرية (1832-1847) ،دار معرفة ،الجزائر ،سنة2001م، ص:42.

. بعض المراحل التّاريخية عن قصر المشور في العصر الحديث:

- **الفترة الفرنسية:**

تغيير ملامح البنايات وتغيير وظيفتها. تحويل المسجد الى دير والقصر الشمالي هيّئ ليكون مبنى يشغله العساكر الفرنسيون كمستوصف قبل أن يبنى المستشفى سنة 1858م (مازال مدخله قائما في ساحة قلعة المشور).

- **ما بعد الاستقلال –القرن العشرين:**

المرحلة الأولى :

استعمال القصر في وظائف إدارية من طرف الجيش الجزائري بداية من 1962م حتى 1987م

المرحلة الثانية:

إهمال المبنى ومحاولة هدمه 1989م ، (أنظر الصورة رقم : 38)

المرحلة الثالثة:

اكتشاف الموقع والقيام بأسبار ما بين 1990مم1993 .

- **القرن الواحد والعشرين: المرحلة الأولى:**

المرحلة الأولى :

القيام بحفرية مشتركة بين جامعة أبوبكر بلقايد وجامعة السوربون في سنتي: 2008و 2009.

المرحلة الثانية: 2010م

الحفريات الانقاذية المشتركة بين **المركز الوطني للبحث في علم الاثار والمركز الوطني في البحث في ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا وعلم التاريخ ووزارة الثقافة من جهة والديوان الوطني لترقية التراث ومكتب الدراسات ARCADE ،, ومقاولة مصمودي للبناء،** في نفس السنة بدأت أعمال **بناء القصر الملكي السياحي الجديد على الموقع الأثري للقصر** وتم ردم كل المنشآت التي وجدت بعد تصويرها وذلك لمواكبة تظاهرت تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية لسنة2011م .

د . الحفريات المتداولة على موقع القصر:

1 . Agnès Charpentier ,et d'autres,l'image de Tlemcen dans les archives françaises ,op.cit,p :159.

أقيمت على الموقع القصر عدة أعمال بحث منها ما كان اكتشافي أولي ومنها ما كان منظما ومنها ما كانت استعجالي وتمت عدة اكتشافات في مختلف مراحل هذه الأعمال من بينها تبليطات من الزليج المختلفة . وسوف نقدم تلخيصا لجملة هذه الأعمال ومناهج بحثها ومكتشفتها ونطاق عمالها على الموقع (أنظر اللوحة رقم : 3) .

- **المرحلة الأولية للبحوث والاكتشاف**:بدأت الأبحاث في المشور سنة 1989م، حينما قرّرت السّلطات المحلّية هدم البنايات التي تعود الى الفترة الفرنسيّة و تم اكتشاف قطعة جصّية لبائكة صماء ذات زخارف نباتية وكتابيّة (أنظر الصورة رقم :39).في الجزء العلوي من الجدار الدّاخلي لأحد قاعات الجهة الشّمالية وتمّ بموجب ذلك إيقاف عمليّة الهدم، ومباشرة الدّراسات التي أثبتت بأن البناية ما هي إلاّ جزء من القصر الزّياني، أعيد استعماله من طرف الفرنسيّين[1].
- **المرحلة الثانية(أسبار واكتشافات)**: برمجت الدائرة الاثرية تحث اشراف السيد ابراهيم شنوفي، مراد زرارقة والسّيدة نصيرة كوسي مجموعة من الاسبار في الجهة الشمالية للهيكل الأثري (أصبحت اليوم القاعة الشمالية للقصر الملكي) التي أعطت مجموعة من الاكتشافات الأثرية الهامّة أرضيات كاملة الملامح الزخرفية من الزّليج الهندسي بمختلف الألوان، وأساسات لمباني وحدث هذا ما بين سنة 1990. 1993م [2] والزليج المكتشف خلال هذه الفترة عبارة عن أشكال هندسية مكوّنة من خطوط منحنية، ومنكسرة بيضاء اللّون تتخلّلها قطع نجمية ثمانية الرؤوس (خاتم سليمان ،أو الحتيم) وأخرى ذات أشكال هندسية مختلفة ا، والألوان المستعملة في القطع الفرم هي الأسود والأزرق والأخضر والأصفر. (أنظر الصورة رقم 40).
- **الحفرية المشتركة (2008م)**:في إطار تعاون بين :جامعة ابي بكر بلقايد (تلمسان) و جامعة السربون (فرنسا) من جهة ومديرية الثقافة لولاية تلمسان، من جهة أخرى تم القيام بحفرية وكانت هذه الحفرية عبارة عن مجموعة تربصات أثرية استفاد منها طلبة جامعة تلمسان وكانت تتواصل إلى أزيد من شهرين .لقد جاءت هذه الاخيرة لمواصلة اكتشافات الاسبار التي أقيمت في تسعينيات القرن 20م .

وكما كان متوقّعا تمّ توصّل لنتائج أثرية قيّمة، وكان ذلك باكتشاف أرضيات مزلجة بالزخرفة النباتية و الهندسية وقنوات صرف المياه، مساحات مبلّطة بالأجر، وهياكل من الأساسات بموادّ مختلطة من الكدان والآجر إلى جانب قطع الكثير من الجصّ والفخار في مختلف الطبقات الأثرية.

1. لخضر درياس، وأخرون، المرجع السابق ، ص:1.
2. المرجع نفسه ، ص: 1.

البعثة الأثرية 2008 م:

الأساتذة :

. ممثل مديرية الثقافة، السيد "**شنوفي ابراهيم** "(محافظ التراث التاريخي والأثري والمتحفي ،تلمسان).

. ممثل جامعة تلمسان، الأستاذ "**شرقي رزقي** "(جامعة تلمسان)

الأساتذة الممثلين جامعة السوربون (فرنسا)

. Agnès CHARPENTIER

. Prof .Michel Terrasse

. Topographe JEAN PAULE SAINT AUBIN

الطلبة :

مجموعة من الطلبة جامعة تلمسان قسم علم الاثار(مختلف المستويات) **ولقد شارك الباحث ضمن هذه الحفريات، وكان القطاع الذّي نشطنا فيه مع زميلتين هو القاعة الشمالية، وما حولها وسميت 2D20، والزّليج المدروس في بحثنا هذا أغلبه من هذا القطاع**، وأسندت لطلبة مهام التّسجيل الأثري والتّحري العلمي، وتسير العمال .

العمال : مجموعة من العمال للقيام بعملية الحفر و نقل الردم، وسائق السيارة.

. منهجية العمل في حفرية 20082007م: استهل العمل الاثري بالقيام برفوع طبوغرافية و انشاء خريطة شبكية للموقع، بحيث يسهل فيما بعد عملية التسجيل الاثري و نسب اللقى الاثرية الى مكانها الاصلي. (أنظر اللوحة رقم : 5)

- جرد بالصور الفتوغرافية وقيام برفع قياسات لجميع الهياكل(أساسات وأسوار) الموقع ونسب اليها أسماء يضم فيها رقم مربع الخريطة الشبكية ورقم الهيكل في حدّ ذاته .
- جرد وتصوير الزخارف الجصية مكتشفة و الأرضيات الزليج وتحديد مكانها ونوعها .
- تقسيم المتمدرسين الى 3 فرقة وتوزيعهم في نطاقات مختلف من الموقع وكان يشرف على كل فرقة أستاذ متخصص ،ولقد برمج لهم نظام تسجيل اللقى الاثرية محكم بحيث يسهل عليم العمل وعلى سبيل المثال:

بعثة:Mission يرمز لها Tlm08 معناهاTlemcen 2008

ورشة العمل،Chantier :و الدي يمثلها فريق العمل و كان يرمز له بفريق 1 او 2 أو 3

منهجية التنقيب: بعد تقسيم الموقع بخريطة شبكية طوبوغرافية الذي كان ضلع المربع الواحد منها 100م ويرمز للجهة الغربية الى الشرقية برقم معيّن، وللجهة الجنوبية إلى الشمالية بحرف معيّن، وقسمت المناطق إلى مربعات حفر ضلع واحد منها 5م، وذلك في المساحات الكبيرة، وكان الحفر طبقة طبقة مهما كانت نوعية الطبقة (ردم أو طبقة اثرية عادية).

أمّا داخل القاعات فلقد كان الحفر مفتوحا بتبتع الهياكل المبنية ولقد أعطية للقاعات أسماء بالأرقام والحروف مثل القاعة الشمالية 2D20، وكان الحفر: طبقة طبقة مع التسجيل والتقاط الصور.

نتائج اكتشافات الحفرية: اكتشاف هياكل(أساسات و أسوار) متداخلة في ما بينها هذا يوحي لتعدد الفترات المتعاقبة على الموقع وبروز مداخل تحت الأسوار.(أنظر اللوحة:6).

أرضيات الزليج مختلفة الاستعمال للزخارف الهندسية في المساحات الكبيرة واستعمال الزخارف النباتية خاصة منها المراويح النخيلية في العتبات و الافاريز، وكما لوحظ تفاوت بين نوعية الزليج فكان هناك الزليج المتقن الصنع والزليج البسيط كما كان هناك زليج أعيد استعماله في القاعة الشمالية (أنظر اللوحة :6).

- اكتشاف ارضيات من الآجر مختلفة الأشكال خارج القاعات في المساحة الخالية من الهياكل ،الجهة الجنوبية (أنظر الصورة رقم: 42).
- اكتشاف فرن وارضيات من الزليج و حجر تافزة .

ومجموعة كبيرة من قطع الجصّية والفخارية التي توجدت في مختلف الطبقات (أنظر الصورة رقم : 41).

- **حفرية 2009** :

كانت تحتوي على نفس البعثة الاثرية وعملت بنفس المنهجية وما اختلف هو الموقع الحفر، فكان من الجهة الشمالية الغربية من القصر.

حفرة مجموعة اسبار الصغيرة ولم يكن هنا توسع في النطاق في الجهة الشمالية الغربية من القصر .

حفر مربع وحيد في الجهة شمالية الشرقية للمسجد المشور.

كان الحفر هده المرة اعمق فقد كان يصل عمق السبر الواحد في بعض أحيان حتى 3م .

جاءت هذه أعمال الحفر لمعرفة نطاق توسع هياكل القصر، وكما كان منتظرا اكتشفت أرضيات من زليج، ومجموعة قنوات، وبعض الأسوار التي تعود إلى الفترة الفرنسيّة .

دامت أعمال الحفر حوالي شهر. (أنظر الصور :43 . 44 . 45)

- **حفرية 2010م :**

في إطار التحضيرات لتظاهرة تلمسان عاصة الثقافة الاسلامية تكاثفه الجهود باحثين من مركز الوطني للبحث في علم الاثار و المركز الوطني للبحث في ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا، وعلم التاريخ و وزارة الثقافة من جهة والديوان الوطني لترقية التّراث، ومكتب الدراسات (ARCADE) والمقاول مصمودي للبناء، ومديرية الثقافة لولاية تلمسان من جهة أخرى وكانت التعليمات واضحة لإجراء حفرية إنقادية بالقصر الملكي. دامت هذه الحفرية حوالي 6 أشهر.(أنظر اللوحة رقم : 7)

أهداف هذه الحفرية :

التعرف على مكونات القصر وهياكل الأثرية.

إنقاذ اللقى الأثرية المردومة.

فهم النمط المعمار للموقع.

محاولة اكتشاف مرافق جديدة للقصر ومحاولت ضبط حدوده.

هذا كله لإعادة **بناء القصر** بأقرب صورة لأن هذه الاعمال والاهداف تندرج في اطار مشروع ترميم المعلم بمناسبة ترقية المدينة كعاصمة للثقافة الإسلامية.

وبوشر العمل بعد تقسيم الموقع الى خمسة مناطق فحفرت واحدة تلوى الأخرى وصنفت الهياكل والاكتشافات باستناد على هذه المناطق . (أنظر اللوحة رقم : 8)

فرقة البحث:

مدير الحفرية : الاستاد لخضر درياس ، مفتش بوزارة الثفافة

رئيس المهمة : نور الدين مفتاح ،مكلف بالبحث

الباحثين : 13 باحث مختلف التخصصات

المشاركون :من التقنين و الاعوان عددهم 4

المؤسسات المشاركة:

مكتب الدراساتARCADE

مقاولة مصمودي للبناء (هده المؤسسات وفرت التجهيزات و الآلات و اليد العاملة للقيام بعملية الحفر) [1]

الاكتشافات الحفرية:

و **يمكن تصنيف أهم الاكتشافات الأثرية المنقولة حسب التقرير الأولي للحفرية فيما يلي:**

1- الرخام: أثناء الحفريات عثر على عدد من نماذج لآثار الرخامية تتمثل في التيجان مزخرفة عن طريق الحفر، كما عثر على مجموعة من الأعمدة مختلفة الأطوال بين 60 سم إلى 112 سم، و قاعدة لعمود و لوحات رخامية كانت تستخدم في العتبات[2].

2- المعادن: و تتمثل بوجه خاص في العدد الكبير من المسامير المستخدمة في تثبيت لوحات الزليج، سواء في الأرضيات أو الجدران، بالإضافة إلى مجموعة من معدن الرصاص المستخدم في البنادق، و رغم ذلك فإن هذا الصنف من اللقي الأثرية يبدو قليلا مقارنة مع المواد الأخرى[3].

3- الحجارة: و يمكن التمييز بين الحجر الرملي المزخرف بأشكال هندسية، و البعض الآخر بأزهار تشبه الزخارف البربرية، ووجدت كذلك أحجار تتمثل في شواهد القبور استغلت في مجاري تصريف المياه تعود للفترة الفرنسية ، من أمثلة ذلك:

أ- لوحة حجرية مستطيلة مقاسها 36/47 و سمكها 6سم ، و الجزء المغمور في الأرض 12 سم ، نص كتابتها:الحمد لله هذا قبر – الشاب الأسعد- محمد بن الحاج محمد قطازية توفي –رحمه الله أواخر رمضان عام 1041هـ.

1. لخضر درياس، وأخرون، المرجع السابق ، ص:32.
2. المرجع نفسه، ص: 37.
3. نفسه، ص: 37.

ب- لوحة حجرية مكسورة مقاسها 30/40 ، و يبرز جانب من كتابتها نصه: الحمد لله أما بعد هذا قبر المرحوم بكرم الله سيدي الحاج الهاشمي قريش رحمه الله[1].

4- الخزف و الأدوات الطينية: و عثر على مجموعة من الخزف الأبيض، و الأزرق كما وجدت مجموعة مختلفة من الأدوات الطينية .

5- الزليج: ووجدت مجموعة كبيرة من الزليج بزخارف متنوعة .

أما المكتشفات الحفرية 2010م الغير المنقولة التي تتمثل في الهياكل والأساسات والأرضيات فهي عديدة ومتنوعة ومنتشرة في نطاق الحفرية (أنظر الصورة رقم : 46 .47 . 48). ونحن يهمنا في دراستنا هذه الزليج المكتشف فبالإضافة الى الزليج الذي اكتشف في حفريات 2008م 2009م ، هناك مجموعات هام من قطع وفرم الزليج حفرية 2010م ، بما فيها الأرضيات التي بقي منها بعض النماذج في الموقع القصر .

4. زليج موقع قصر المشور :

من بين مجموعات التبليطات الزليجية المتبقية في قصر المشور هنالك التي اكتشفت في أعمال استكشافية في تسعينات قرن العشيرين ومنها ما اكتشف في حفريات 2008م، ومنها وجدت وأظهرت في حفريات 2010م .

أول زليج اكتشف في موقع القصر هو الذي موجود اليوم في القاعة الشمالية للقصر التي سميت في فترة حفرية 2008م 2D20 والتي موجودة في المنطقة الأولى في حفرية 2010م وكان يكسوا بعض أجزاء جدران قليلة الارتفاع بينما كان مفروشا في كل أرجاء القاعة الا أنه أقتلع لأسباب وظيفية لبناء القصر الجديد وما تبقى منه هو الذي موجود في ايوان القاعة أو في الجهة الشرقية لها والزليج عبارة عن أشكال هندسية مكوّنة من سقان منحنية، ومنكسرة بيضاء اللّون و قطع الفرم المستعمل في السيقان هي ثلاثة .تتخلّل وتمركز فيها قطع نجمية ثمانية الرؤوس (خاتم سليمان ،أو الحتيم) وأخرى ذات أشكال هندسية مختلفة أنصاف نجوم و قطعتين من الفرم مختلفة لملأ الفراغات ، والألوان المستعملة في القطع الفرم هي الأسود والأزرق والأخضر والأصفر كما استعمل بصفة قليلة في حدود اللوحات الزليجية لهذا النوع أطباق نجمية ذات ثمانية أضلع أنصاف أطباق الثمانية.وما يجب ذكره أنه قطع الفرم تبليط الزليجي المركزي هي أصغر حجما من قطع فرم الزليج تبليط أطراف القاعة ولربما لتعطي خدعة بصرية تعطي شعور أن القاعة واسعة (أنظر اللوحة رقم :9).

وهذا النوع من الزليج المشور صنفناه في جردنا **بالنوع الأول** وهو يحوي على 27 قطعة منقولة من حفرية 2008م مختلفة الأحجام درسنها كلها وجردنها وقمنا بإنشاء بطاقة تحليلية لكل قطعة باللغة الفرنسية والعربية مع القياسات والصور

1 - لخضر درياس وأخرون ، المرجع السابق ، ص 36.

ومخطط ،وذلك كله ليسهل علينا عمل التحليل وانتقاء عينات لدراسة المخبرية ، و هذا نموذج بطاقة التحليلية هو في مرحلة التطوير لأننا في دراستنا أخدنا بعض الخبرة عن ما يستلزمه وضعه في البطاقة التحليلية لمساعدة العمل المخبري والتحليل الاثري اذ أن هناك بعض الملاحظات في ما يخص نوعية قاعدة قطعة فرم التي يمكن أن تعطي صورة عن كيفية القطع مربعات الزليج وبتالي التفريق بين الورشات وبحث عن أوجه التشابه بينها وبالتالي يمكن معرفة الورشات التي نشطت في منطقة تلمسان في القصر المشور وباقي المواقع الاخرى (أنظر اللوحة رقم : 10).

في نفس القاعة هناك شريط من الزليج بالزخرفة النباتية اكتشف في حفرية 2008م كامل الملامح(أنظر اللوحة :11) وكانت هنا بعض الملامح في عتبة مدخل لزليج نباتي أيضا.

في نفس القاعة هناك أرضيات والكسوات جدارية من الزليج وهي :

النوع الثاني: وجدناه نحن مع زملاء في حفرية 2008م وكان يوم :8/12/ 2008م يقع هذا الزليج في الجهة الغربية للقاعة الشمالية 2D20 في المنطقة الأولى حسب مخطط حفرية 2010م وكان يكسوا جدار لا يتعدى المتر وأرضية وهو عبارة عن زليج هندسي متكون من قطع فرم على شكل مستطيل ومربع وشبه منحرف ومثلثات في حدود اللوحة الزخرفية واستعمل فيه لون أسود والأبيض والأصفر العسلي والأزرق والأخضر. واللوحة الزخرفية عبارة عن مضلعات ثمانية بيضاء اللون تخرقها مستطيلات بطول 7سم باللون الأسود وكل يحده مربعات بطول 3سم من أطراف الأربعة لثماني وتكون باللون الأخضر أو الأصفر أو الأزرق(أنظر اللوحة : 12) . ثم في سنة 2009 م اكتشف نفس الزليج في أرضية في الجهة الغربية للموقع بنفس القياسات والألوان . وفي موقع وجدت قياسات أخرى لهذا الزليج وذلك في الجهة الغربية للموقع في داخل المنشأة الفرنسية مقهى أصيلا سابقا متحف لباس التقليدي اليوم وهذا كان عند بداية تجهيز المتحف نهاية سنة 2012م . ونفس النمط وجدنها في الموقع الجديد الذي اكتشفناه وبنفس القياسات زليج قاعة 2D20 لكن استعمل فيه اللون الأبيض والأخضر و الأسواد فقط (أنظر الصورة رقم :33). وهذا النوع من زليج المشور كان متواجد في أرضيات المدرسة التاشفينية بألوان نفسها ومنها بالقياسات نفسها ومنها بألوان أبيض والأسود فقط وبأحجام وقياسات مختلفة ،وكذا في منية الصفصيف وجد هذا النوع بألوان مختلفة لكن بنفس القياسات ومجموعات هذا النوع للمواقع مختلفة متوفرة في متاحف تلمسان (متحف المدرسة ، متحف العمومي الوطني للفن والتاريخ).

القطع المنقولة من هذا زليج النوع الثاني هي 33 قطعة فرم وقطع مركبة مختلفة الأحجام من حفرية 2008م جردنها كلها وصورنها وأعددنا لها بطاقات تحليلية .

النوع الثالث: اكتشف في حفرية 2008م في القاعة الشمالية 2D20في الجدار الجنوب لها، في المنطقة الأولى حسب مخطط حفرية 2010م كما وجد في الجهة الغربية للموقع في حفرية 2009م وكذا اكتشف أرضيات له في المنطقة الثانية في 2010م، يتكون من أربعة قطع فرم مربعات ، مستطيلات ، نجوم ثمانية ، مثلثات في حدود الالواح الزليج أستعمل فيه اللون الأسود والأبيض والأزرق ومنه ما استعمل فيه الأخضر والأصفر أيضا ، هذا النوع من الزليج واسع الانتشار لأنه استعمل في الممرات والأروقة حتى الدرج ، في 2012م في موقع مقهى أصيلا سابقا غربية الموقع في اطار تجهيز متحف اللباس التقليدي اكتشف أرضيات من هذا النوع من الزليج أيضا ، أحجام هذا النوع كثيرة لكن تغلب فيه القياسات 3سم في ضلع مربع النجوم الثمانية و بين 7سم و6سم في ضلع مربعات.(أنظر اللوحة رقم :13)

هذا النوع يحوي على 18قطعة منقولة من الفرم أو قطع مركبة التي تعود لحفرية 2008م جردناها كلها .

النوع الرابع : عبارة عن زليج بسيط نوعا ما مكتشف في حفرية 2008م ويعطي شعورا أنه ليس من نفس الفترة زليج الذي ذكرناه سابق ، هذا النوع اقتلع كليا من موقع المشور خلال أعمال بناء 2010م بعد انتهاء من الحفريات . كان متواجدا في الجهة الشمالية من القصر في منطقة الرابعة حسب مخطط حفرية 2010م . استعمل في مربعات من الزليج فقط باللون الأبيض والأسود فقط بقياسات 7×7سم وفي بعض الاحيان 6×6سم.تحتوي المجموعة التي جردناها من هذا النوع على 29 قطعة منها كاملة الملامح ومنها المكسر.(أنظر الصورة رقم : 49)

النوع الخامس : أبسط نوع في المجموعة أقتلع كليا هو الاخر بعد حفرية 2010م ، ويظهر أنه اعيد استعماله لأن تركيبه غير منتظم بل هو عبارة عن لوحات زليجية مكسرة وركبت فيما بينها موضوع هذه اللوحات كانت قطع زليج مربعة الشكل استعمل فيها اللون البني والاسود والابيض (أنظر الصورة رقم: 50) . المجموعة حفرية 2008م تحوي على 9قطع من هذا النوع .

بالإضافة الى هذه الانواع الخمسة والقطع المنقولة من الزليج 2008م وجدت في مجموعة قطع غير معروفة المصدر أحصينا منها 45 قطعة مختلفة الأحجام والأشكال صنفناها كلها في مجموعة خاصة بها وسمينها ذات الموقع المجهول .

أما بالنّسبة لمجموعة زليج حفرية 2009م فهي غير موجودة لأننا لم نجد أثناء الحفرية الا أرضية واحدة من الزليج كامل الملامح وكان متماسكا ولم تكن هناك قطع من زليج منقولة.

قطع المنقولة من زليج المشور 2010م هي موجودة في مخزن متحف المدرسة وهي مجموعة كبيرة جدا لم نتوصل لدراستها نظرا لكم الهائل ،وأن توجهنا في هذا البحث كان دراسة مجموعة 2008م .

ومن اكتشافات 2010م فيما يخص الزليج المتبقي في الموقع لدينا :

النوع السادس : اكتشف في حفرية 2010م في عتبة القاعة الشرقية في المنطقة الثانية حسب مخطط الحفرية وهو عبارة عن شبكة معينات بسيطة و مزدوجة أستعمل فيها اللون الازرق والأصفر العسلي والأسود أما السيقان فهي بيضاء وهذه الزخرفة الزليجية فريدة من نوعها في تلمسان .(أنظر الصورة رقم : 24).

النوع السابع : هو زليج بالزخرفة النباتية المتواجد في القاعة الشرقية لموقع في المنطقة الثانية حسب مخطط حفرية 2010م، وهي عبارة عن أرضية لعتبة داخل القاعة اكتشفت ضمن أعمال الحفرية المذكورة قوام موضوع لوحة الزّليجية، أشكال نباتية متشابكة يظهر منها البراعم مركبة من قطعتين من الفرم والمراويح النخيلية البسيطة استعمل في قاعدتها أشكال كؤوس ومراويح نخيلية مزدوجة وسيقان استعمل فيها اللون الأصفر عسلي والازرق والأسود والأخضر والأبيض في الفراغات ، عددنا قطع فرم المستعمل لتركيب زخرفة لوحة الزليج هي 19 قطعة متكررة لتشكيل اللوحة الزليجية .هذا النوع يعتبر هو الأخر نموذج فريد من نوعه لا نعرف له مثال في تلمسان . (أنظر اللوحة رقم : 14).

النوع الثامن :إلى جانب هذه الأنواع توجد مجموعة من الأنماط والانواع في قصر المشور أغلبها استعمل فيها الأشكال المربعة لذا نصنفها في نوع واحد ، منها المربعات التي استعملت في الحوض المركزي للقصر (المنطقة الثالثة حسب مخطط حفرية 2010م)بألوان الأسود ، الأصفر ، الأزرق والأسود ، الذي اكتشف في 2010م ومجموعة من أرضيات من مربعات بالألوان الأبيض والأسود وبأحجام مختلفة في الجهة الجنوبية الشرقية للموقع موجودة على درج ومجموعة من المربعات في الغرف الشمالية التي لم تمسها يد التغير نجدها بأحجام مختلفة تتحد معها بعض الأشكال نجمية تعلوها أفاريز من الشرفات.

النوع التاسع :هي المجموعة التي تحتوي في مواضيعها على الزخرفة بالأطباق النجمية وأغلبها اكتشفت في فترة 2010م وهي متنوعة وتتطلب تصنيفا خاصا بها حسب استعمالها لأضلع فيها، فالتي اكتشفت في حفرية 2010م هي ذات ثمانية أضلع والاثني عشر ضلع وست عشر ضلع وقد شرحنا هذا في عنصر سابق ، تواجدت في القاعات الجنوبية والشرقية والغربية وقليل منها في القاعة الشمالية وهي موجودة أيضا خارج موقع القصر في الجهة الغربية له .

النوع العاشر : هو زليج بالزخرفة النباتية الموجود في القاعة الجنوبية اكتشفت قليل منه في عتبة مدخل القاعة الشمالية في 2008م، أمّا في 2010م اكتشف ملامحه كاملة في عتبة مدخل القاعة الجنوبية في المنطقة الثانية حسب مخطط الحرفية نفسها و استعمل فيها الألوان المعروفة في الموقع الأبيض، الاسود ، الأزرق ، الأخضر ، الأصفر العسلي تتألف زخرفتها من مراويح نخيلة مزدوجة متشابكة وملتفة فيما بينها سيقانها رقيقة ورشيقة(أنظر الصورة :51) غاية في دقة الانجاز تذكرنا بالتي كانت في مدخل المدرسة التاشفينية والتي تتواجد في واجهة مدخل مدرسة شالة في المركب المريني في

المغرب الأقصى، وتوحي لنا ولبعض الباحثين أنّها أنجزتها نفس الورشة الحرفية للزّليج لكن، لم تؤكّد هذه الفرضيّة الى يومنا هذا وذلك لغياب الاشارات التاريخية في المصادر.

ومن هنا يظهر لنا تكامل علم الآثار مع العلوم الأخرى في نفي وإثبات بعض الفرضيّات، لذا وجدت هذه العلوم المساعدة ومنها علم الأركيومتري (الفيزياء المطبقة على علم الآثار)، الذي يوفّر أنواعا من التحاليل المخبرية تكون لها علاقة بالفيزياء والكيمياء يكون الغرض منها التعرف أولا على التركيبات المواد ونوع الخامات وبذلك يسمح للأثرين عمل مقارنة بين مواد الأثرية من نفس النوع في موقع واحد أو من مختلف المواقع . لكن هذا العمل يتطلب وقتا كبيرا في مجال التحليل المخبري، والمقارنة وذلك لإعطاء نتائج وافية، إذ أنّه لا يمكن إعطاء قراءات جيدة بمجموعة صغيرة من العينات، لذا وجب عرض مجموعتنا كلّها على المخبر لإتمام دراستها.

ولأجل ذلك، واخترنا مجموعة أوليّة صغيرة من عيّنات زليج قصر المشور بغرض قيام بتحاليل مخبرية عليها، وهذه العينات الزليج هي من مجموعة الأولى والثانية من حفرية 2008م، الذّي شاركنا في اكتشافها وعملنا على جردها وتصنيفها ضمن بحثنا هذا. واخترنا النوع الأول والثاني وذلك لاحترام التسلسل المنطقي في دراستنا هذا الزليج، وأيضا التسلسل التاريخي في الاكتشاف، اذ أن أول زليج يكتشف في قصر مشور هو زليج النوع الأول والنّوع الثاني اكتشف في ما بعد في حفريات 2008م. وهدف هذه التحاليل هو معرفة مكونات ومركبات القشرة اللونية للزليج المشور ونفس الشيء بنسبة لطينتها .

5. زليج قصر المشور نتائج أولية للتحاليل:

اختيرت مجموعة من العينات الأولية من زليج قصر المشور المستخرج من حفرية سنة 2008م المشتركة بين جامعة تلمسان الجزائر وجامعة السوربون باريس فرنسا، ومديرية الثقافة لولاية تلمسان لسنة 2008م، بغرض اجراء بعض التحاليل المخبرية بهدف معرفة مكوناتها ومركبتها ولإعطاء معطيات علمية موثوقة لمساعد على اعطاء قراءات أثرية مستقبلية صحيحة.

ولقد تمّت هذه التحاليل بمساعدة ومشاركة قسم علم الاثار الذي مثلناه نحن و مخبر كيماء العضوية لكلية العلوم لجامعة تلمسان (Laboratoire de catalyse et synthèse en chimie organique) الذي يمثله الدكتور : "**رضوان بشير**" مدير المخبر ومتخصص في علم الكيماء ومخبر مركز البحث العلمي في الفيزياء المطبقة على علم الاثار ، الأركيومتري . IRAMAT . في جامعة بردوا ثلاثة ،فرنسا الذي يمثله الدكتور : "**عياد بن عمارة** "متخصص في علم الأركيومتري في جامعة

بردوا ثلاثة ومخبر أساتذة الأجانب المشاركين و المأطرين لأعمال تربص حفرية سنة2008م وهما : الدكتورة السيدة "**Agnès CHARPENTIER** "و الدكتور"**Michel Terrasse** "من جامعة السربون فرنسا وهما متخصصان في علم الاثار الاسلامي . **ويجب الاشارة أنه وجهت هذه الدراسة باستناد واعتماد على تقرير داخلي حول نتائج عينات** بين مخبر لأركيومتري بوردو ثلاثة ومخبر كلية العلوم في الكيماء العضوية، مع الاستناد إلى القراءات الأولية لنتائج لمختصين السيد **عياد بن عمارة** والسيد **رضوان بشير**.

اختيرت خمس عينات من زليج قصر المشور تلمسان من النوع الأول والثّاني (أنظر اللوحة 9 و 12)، من القاعة الشمالية لقصر المشور (القاعة 2D20)، وهذا بعد قيام بأعمال التنظيف والجرد و تصوير الفتوغرافي وتصنيف وتحضير في قسم علم الاثار ثم وجهت الى مخبر كلية العلوم المذكور أعلاه ثم الى مخبر جامعة بوردو ثلاثة فرسا المذكور أعلاه لقيام بالتحاليل. وهذا العدد من العينات في الحقيقة هو غير كافي لإعطاء قراءه اثرية مضبوطة وصحيحة لزليج قصر المشور، لذا وجب الاشارة أنه من الضروري اكمال كل التحاليل على مجموعة زليج المشور المجلوبة من مختلف الحفريات وذلك لتعميم القراءات الأثرية فيما يخص المواد والخامات المستعملة ثم يبدأ عمل البحث على المناجم والمواقع التي جلبت منها هذه المواد لنفي أو تصديق فرضيات المختلفة حول زليج المشور ما اذا كان جلب من مناطق اخرى (الأندلس ، المغرب الأقصى) أم كانت صناعته بمواد محلية وهذا يوجهنا أنه من الممكن أن تكون الورشات التي صنعته هي أخرى محلية لأن من البديه أنه أهل البلاد هم أدرى بخاماتها الطبيعية .لذا هذه الدراسة تعتبر خطوة أولية لعمل الجبار فيما يخص الزليج .

أ . أهداف التحاليل الأولية :

علما أن مقطع الزليج يتكون من طبقتين هما : القشرة اللونية [1] والطينة المحروقة وكل واحدة لها مكونات وتركيبات .

لذا جاءت هذه أهداف التحاليل الأولية لمحاولة الجواب على التساؤلات التالية :

. أصل لون عينات زليج المشور و طبيعة الخامات المستعملة لتحضيره؟

. طبيعة الحامل القشرة (الطينة المحروقة) وطريقة ممارسة القشرة اللونية عليها ؟

1. القشرة اللونية : قد نجدها في بعض المراجع بتسميات أخرى مثل الطبقة المبرنقة أو الطبقة المزججة لكن هذه التسميات تعطي دلالة على تقنية تصنيعية معينة وفي هذا الطور من التجارب لا يمكن اعطاء هذ التسميات لذا سميناها بالقشرة اللونية لنكون حيادين .

. هل يمكننا التوصل الى نتائج تحاليل متناسقة ومتشابه لمكونات عينات الزليج نتمكن من خلالها تصنيفها و وضع خصائص لها وربما نسبها الى ورشة معينة ؟

ب . تقديم العينات المدروسة في المخبر :

عينات الزليج الخمسة المختارة هي كلها من قصر المشور من نفس القاعة (القاعة الشمالية 2D20) من المجموعة المكتشفة 2008 م نوع الأول والثاني ، ألوان قشرة اللونية التي وجدت فيها هي الألوان المعروفة عادة في الزليج القرون الوسطى : الأبيض ، الأسود ، الأخضر ، الأزرق ، والأصفر العسلي . ولقد تم تقديم أسماء أو أرقام جرد لكل العينات من طرف مخبر الاركيومتري بردوا ثلاثة وذلك باستعمال حروف وأرقام .

فالنوع الأول أخدت منه عينة واحدة وسميت BDX15700.(BDX هو لدلالة على بردوا . BORDEAUX) ورقم مقدم هو رقم تسلسلي حسب دخول عينات المخبر وسوف نسميها نحن العينة رقم :1.

النوع الثاني أخد من أربع عينات وسميت BDX15696 نسميها نحن العينة رقم :2 / BDX15697 نسميها العينة رقم :3 BDX15698 العينة رقم :4 / العينة رقم :5 هي BDX15699 . (أنظر الصورة رقم :52)

ملاحظة : يمكن لعينة واحدة أن تحمل لونين أو أكثر اذ أن العينة رقم: 1 (BDX15700) تحوي على ثلاثة ألوان هم الأصفر العسلي والأسود و الأبيض . والعينة رقم :5 (BDX15699)، تحوي على لونين هما الأبيض والأسود (أنظر الصورة :52).

ج . اعداد العينات والمراحل المتبعة للتحاليل :

وضبت العينات على شكل مقاطع صغيرة عمودية أو شرائح يظهر فيها طبقة القشرة اللونية والطينة المحروقة وكان هذا بقطعها بشكل عمودي على سطح قطعة الملون (الفرم) ، هذه المقاطع عينات لا يتعدا سمكها عن 3مم.

عملية القطع كانت باستعمال منشار دائري صغير من حبيبات الماس لا يتعدى سمكه 2مم (disque diamanté) مع جريان الماء من أنبوب صغير . بعد عملية الجفاف القطع الشرائح العينات تم غمر هذه الأخيرة في مادة أو غراء ايبوكسيدي وتسمى هذه العملية enrobage وذلك لتحضير وتحويل الشرائح عينات بسيطة الى صفائح أو شرائح أخرى مخبرية مغلفة بمادة المذكورة لتعطي عند جفافها هيئة الشرائح المخبرية الزجاجية المعروفة الذي يتراوح سمكها من 5مم الى 2سم في بعض

الأحيان وهذا التوضيب يسهل التعامل معها في المراحل المخبرية المقبلة ، لأن هذه الشرائح البسيطة ان لم تغمر بهذه المادة تكون عرضتا لتلف وكسر بحكم سمكها الصغير.

بعد عملية الغمر تأتي عملية الصقل polissage وهي تتمثل بصقل سطح شرائح العينات المخبرية بعد جفافها بما فيها مقطع طبقة القشرة اللونية والطينة المحروقة للزليج على ألة أعدت لذلك هي عبارة عن اسطوانة أفقية تدور بسرعة مدروسة يجري فوقها نسبة قليلة من ماء أو نسب من مواد المخبرية المختلفة لتسهل عملية الصقل وتتخلل أخيرة عمل مراقبة هذه الشرائح المخبرية في المجهر لترصد الخدوش المجهرية على أسطحها ونزعها بعملية الصقل لأنها تعيق الملاحظة الأنسجة المادة المدروسة بمختلف أنواع المجهر(loupe binoculaire et microscopie électronique à balayage, MEB) في المراحل المقبلة .

ثمّ تأتي عملية ملاحظة العينات(القشرة اللونية والطينة المحروقة للزليج) بضوء أو الأشعة البيضاء بمجهر الأشعة البيضاء المسمى: loupe binoculaire وتكون ملاحظة بمقياس ماكرومتري وتكون نتائج هذه الملاحظة على شكل صور ملونة على شاشة الجهاز .

ومن تمّ عرض هذه العينات على المجهر المسح الالكتروني microscopie électronique à balayage, MEB لتمر بمرحلتين من التحليل. يعمل هذا المجهر المذكور بقدف مجموعة كبيرة من الالكترونات على الإلكترونات العينة فيحدث تصادم بينها فتخرج من مسارها فتعطي قراءات في الجهاز فتعرف المركبات المواد المدروسة .

- المرحلة الأولى لدراسة والتحليل ب المجهر المسح الالكتروني MEB هو ملاحظة واختبار الأنسجة بمقياس ميكرومتري التي تسمى micro-texture وغرض هذا التعرف على التناسق الكميائي لأنسجة، ويكون هذا عبر شاشة أيضا وتكون نتيجة صور رمادية اللون التي تسمى : l'imagerie en mode électrons rétrodiffusés تظهر من خلالها الأنسجة المختلفة لقشرة اللونية للزليج وكذا طينتها المحروقة.
- المرحلة الثانية : استخلاص بينات تعطي بعد دراستها التركيبات الكيمائية لقشرة اللونية والطينة المحروقة .

ثم يتم إدخال هذه البيانات في برنامج دراسة التحاليل وهو منشأ من طرف : standards de la société Oxford Instruments.

د. نتائج التجارب والقراءات :

- ملاحظة الأنسجة الطينة المحروقة والقشرة اللونية :
- 1/المراقبة بمجهر الأشعة البيضاء تعطي صورا ملونة لطبقات الزليج بمقياس ميكرومتري (أنظر اللوحة رقم 16:) .

الطينة المحروقة للعينات:من الشراح العينات المصقولة العينة 1 والعينة 2 يظهر بالمراقبة بالمجهر الأشعة البيضاء أن انسجتها متشابه ومتقاربة تحوي على حبيبات ضعيفة (de faible granulométrie inférieure à 200 µm) اصغر من 200ميكرومتر والتباين بين الحبيبات تحي بأنها مكونات dégraissant naturel التي نجدها عادة في الأتربة أو الطينيات المستعملة في صناع الزليج .

في ما يخص لون الطينة المحروقة فهي عسلي فاتح بنسبة للعينات التالية : الأزرق بنسبة عينة 2 والأخضر العينة 3 والأبيض بنسبة للعينة 5 والعينة 1.

أما لون طينة المحروقة بالنسبة لزليج الأسود والأصفر العسلي للعينة رقم :1 فهو أمغر محمر ocre rouge.

أما زليج أسود لعينة رقم :5 فطينته المحروقة تتألف من لونين أمغر محمر في الأعلى عندما نقترب من الطبقة قشرة اللونية و عسلي فاتح في الاسفل . هذا المثال الأخير يوحي أن هذا التفارق اللوني هو متعلق بمحيط وبيئة الحرق في الفرن والى درجة الحرارة .

القشرة اللونية للعينات :جاءت نتائج الملاحظة بالمجهر الأشعة البيضاء للقشرة اللونية للعينات أن الأغلب العينات الزليج لم تستعمل فيها طبق وسيطة بين القشرة اللونية والطين المحروق ،ما عدا العينة رقم :2 بنسبة لزليج الأزرق والعينة رقم :3 للزليج الأخضر تظهر طبقة وسيطة عاتمة بين القشرة اللونية والطينة المحروقة لذا وجب بحث فيها والتدقيق الدراسة .

- 2/ مراقبة بالمجهر المسح الالكتروني MEB :جاءت المراقبة بالمجهر المسح الالكتروني بالنّتائج التالية : سمك القشرة اللونية لمجموع العينات يتراوح عامة بين 200 µm الى 350µm . أرق قشرة لونية في المجموعة هي لزليج الأصفر العسلي من العينة رقم :1 بسمك 200 µm وسمك المرتفع في المجموعة يعود للزليج ذات اللون الاسود من لعينة رقم : 1 والعينة رقم :5 ويتراوح سمكها بين 300 µm و350 µm و سمك القشرة اللونية لزليج الابيض للعينة رقم :1 هو أيضا مرتفع ب300 µm.

يلعب سمك قشرة اللونية دور هام في اللون الذي يظهر لعين وذلك أن ارتفاع سمك القشرة اللونية تقوي الظاهرة امتصاص اللون لضوء أو عكسه ، فهذا يعطي افترضا أو قراءة أن ارتفاع سمك القشرة اللونية بنسبة لزليج الاسود هو بفعل ارادة الحرفين الزليج اذ أنه هذا يعتبر اختيار تقني في عملية الصنع الزليج للحصول على لون أسود جيد وقاتم. وبهذا فان ارتفاع سمك طبقة القشرة اللون بالنسبة لزليج الاسود هو لغرض تقوية ظاهرة الامتصاص الضوئي .

لوحظ أيضا في كل مجموعة العيّنات أن القشرة اللونية فيها تحوي مجموعة من البلورات غير دائبة عند عملية الحرق وهي بلورات الكوارتز، كما لوحظ كذلك فراغات غازية، وتظهر هذه الملاحظة جيدا في القشرات اللونية العاتمة .

في النّهاية أسفرت اختبارات القشرة اللونية والطينة المحروقة بالمجهر الأشعة البيضاء والمجهر المسح الالكتروني أنّ الحدود الوسطية بين القشرة اللونية والطينة المحروقة هي ليست دائما منتظمة اذ يلحظ أن هناك اختلال واضح ومهم فيما يخص العينتين : 2 و 3 بالعكس ما وجد في باقي العينات . من هذه الملاحظات والاختبارات يمكن القول أنه من الصعب تنبأ في هذه المرحلة من البحث وبمجموعة أولية من الزليج قصر المشور أن هذه المجموعة أحرقت مرتين عند عملية تصنيعها .

- نتائج التركيبات الكيميائية لقشرات اللونية والطينة المحروقة :

أسفرت النتائج الاختبار أن كل **القشرات اللونية لزليج المشور استعمل فيها الرصاص** لكن نسب استعماله تتراوح بين 28.1% بنسبة لقشرة اللونية لزليج أخضر اللون العينة رقم :3 الى 50.8% للقشرة اللونية لزليج أسود اللون من العينة رقم :1. مما لوحظ أيضا أن القشرات اللونية لزليج أسود لون وأصفر لون تحوي أعلى نسبة من الرصاص التي تساهم عادة في تذويب السليسيوم عند درجات المعينة تتشكل على اثرها طبقة مبرنقه أو بما يسمى التزجيج .

ومن النتائج أيضا أنه لوحظ كل العينات من الأبيض والأخضر والأزرق عتمت كليا باستعمال أكسيد القصدير بنسب 8.2 الى 10.7. أما باقي الألوان الأسود والأصفر العسلي هي شفافة وبتالي لون الطينة المحروقة تساهم في اعطاء اللون المشاهد بالعين المجردة ، لذا كما ذكر سابقا أن استعمال سمك كبير في طبقة القشرة اللونية في اللون الأسود لتقوية امتصاص الضوء يكون بغرض تحصل على لون أسود عاتم أما شفافية اللون الأصفر العسلي و ضعف سمكه هو لاستغلال لون طينة المحروقة التي تكون في بعض أحيان هي الأخرى عسلية اللون

ومساهمتها في اعطاء اللون المرئي المرغوب فيه . من خلال النتائج يظهر أيضا أن كل القشرات اللونية محروقة عرضت لبيئة حرق أكسيدية .

ويظهر أيضا أنه استعمل في القشرة اللونية البيضاء نسبة قليلة من الحديد بنسبة1%، أما المنغنيزيوم فوجد في القشرة اللونية السوداء لعينتين رقم :1 بنسبة 5.2 %و العينة رقم :5 بنسبة 3.7% وأضيفه نسبة من الحديد لتكملت ضعف المنغنيزيوم فيها . وجود النحاس في القشرة اللونية الخضراء بنسبة 1.7 % بإضافة الى أكسيد القصدير بنسبة 8.2 % الذي يعطي مفعول مبيض للون الاخضر في بيئة رصاصية . يوجد الحديد بنسبة 3.7 % في الاصفر العسلي للعيّنة رقم :1.

في القشرة اللونية الزرقاء توجد فيها الكوبلت بسبة صغيرة 0.4 % و نسبة من أكسيد القصدير 9.6%، والكوبلت هو المكون الرئسي للحصول على اللون الأزرق وله قوة تلوين كبيرة فنسبته الموجدة 0.4 % هي صغيرة بمقارنة مع النسب الأخرى لكنها كافية لحصول على لون أزرق جيد . ولوحظ أيضا أن في عينة زرقاء اللون تواجد نسبة من الزنك ، وتفسير هذا أنه الكوبلت يوجد في الطبيعة أحيانا مشتركا أو متحدا مع الزنك وهذه الخاصية هامة ويمكنها أن تكون منطلق لبحوث أخرى وذلك بالبحث عن مناجم الذي تحوي الكوبلت والزنك ان وجدت ومن هنا ينطلق التحري عن مواد الخامة للمنطقة . لكن في غياب هذه المعلومات نكتفي بأن نشيرة أنه هناك مناجم لكنها في أوربا التي يتواجد فيها الكوبلت مشتركا مع الزنك وهي في منطقة بألمانيا تسمى: اغزبيرق (Erzgebirge, Allemagne) كان يجلب منها الخامات لصناعة الزجاج الأزرق اللون في مناطق حوض البحر المتوسط في القرن 13م و14م[1] ومن الباحثين الذين تعملنا معهم في المخبر الفرنسي يؤيدون هذه الفردية بغياب معلومات حول مناجم المنطقة تلمسان في الفترة الوسيطة[2] .

أما في ما يخص تركيبة الطينيات المحروقة فجل العينات ثرية بعنصر الكالسيوم بنسب متوسطة من 18.6 % الى 22.8 % وهذا يدل على استعمال طينيات طفلية مغمر مع الماء ، ويجب الاشارة الى أن بنسب التي تحصلنا عليها يظهر أن تركيبة الطينة الجيدة تعطي نسبة قليلة من التلف القشرة اللونية عند تصنيعها وذلك أن خصائص تمد وتقلص القشرة اللونية رصاصية بفعل عوامل المختلفة (مثل ارتفاع وانخفاض درجات الحرارة) هي متقاربة مع

1 . Gratuze B., Soullier I., Blet M., Vallauri L, De l'origine du cobalt : du verre à la céramique, Revue de l'Archéométrie, 1996, p : 77-94.

خصائص تمدد وتقلص العجية المحروقة الكالسيومية مما يؤدي الى تقلص نسبة التشققات التي تسمى بالفرنسية trésaillures على سطح الزليج و هذا يسمح أيضا لتقليل الشظايا الضائعة عند عملية تقطيع أو تكسير مربعات الزليج الى قطع فرم الزليج[1] .

عموما تظهر أنّ كلّ عيّنات زلّيج المشور الخمس صنعت من نفس الطّينة، لكن هل جلبت من المنطقة أو من منطقة أخرى وجب البحث في هذا بقيام بتحاليل عن الطينة المنطقة . يظهر أيضا يوجد الحديد بنسبة 4 % من هذا يتضح لنا اللون أمغر المحمر الذي شوهد في بعض العينات المدروسة بالمجهر الاشعة البيضاء ويظهر هذا أيضا استعمال الحرق في البيئة الاكسيدية. أما بنسبة للعينات الطينة المحروقة ذات اللون عسلي فاتح فيتضح أن الحديد حبس عند ارتفاع درجات في الفترة الحرق العالي 800 °، لذا لون الطينة يكون عادة وكما هو معروف سببا في تغير لون العجينة ويعطي تباين في الألوان في العجينة الواحدة [2]

من هذه النتائج المقدمة والمدروسة من طرف الأستاذين المتخصصين : عياد بن عمارة و رضوان بشير نخلص لمايلي :

. سمك القشرة اللونية في الزليج يلعب دورا هاما في اللون الذي يظهر لعين فاختلاف سمك في المستوى الواحد لسطح لون زليج معين يعطي جمالية لزليج لأن هذا سطح اللوني غير منتظم فتكون تفاوتات مرئية تعطي هذه الجمالية التي هي معروفة عند الزليج .

. اختلاف سمك القشرة اللونية في قطع فرم الزليج ذات اللون مشترك تعطي اختلافا في ألوان ، أي على سبيل المثال أن الأصفر عسلي فيه درجات اختلاف في ألوانه في نفس المجموعة من بين أسباب هذا الاختلاف هو سمك القشرة اللونية فيه .

. الأصفر العسلي في مجموعتنا شفاف ورقيق القشرة اللونية هذا يقتضي أن الطينة المحروقة تأثر على طبيعة لونه المرئي فان كانت لون طينة أمغر محمرة فيأتي أصفر عسلي يميل الى عتوم واحمرار وان كانت الطينة باللون العسلي فاتح تكون نتيجة متباينة فيحدث اختلاف ينجم عنه الصفة **الجمالية الفنية المنمنمة** المعروفة في الزليج التلمساني و المغربي الاندلسي .

[1]. قراءة وتحليل البيانات ونتائج التجارب والتحاليل المخبرية من طرف السيد: عياد بن عمارة ،دكتور في جامعة ميشال منتني بردوا ثلاثة تخصص علم الفيزياء وعلم الاركيومتري .

[2]. من تحليل الباحث "عياد بن عمارة".

. الزليج الأسود في مجموعتنا شفاف و قشرته اللونية سمكها مرتفع مقارنة مع العينات الاخرى وهذا يسهل عملية امتصاص الضوء واعطاء عتومية جيدة لزليج ذو اللون الاسود الذي يظهر لعين وشفافية التي فيه تساعد على مساهمة الطينة المحروقة في اعطاء مفعول لوني يكون بدرجات متفاوت على حسب لون هذه الطينة .بهذا يكون اختلافات بين فرم الزليج ذات اللون الأسود الواحد من المجموعة نفسها فيعطي هذا **الصفة الجمالية الفنية المنمنمة** التي نجدها في الزليج .

هذا المفهوم لا يمكنه أن يطبق على عينات الزليج ذات اللون الزرقاء والبيضاء والخضراء وذلك لاستعمال نسب من أكسيد القصدير لإعطاء العتومية الكاملة وسمك قشر اللونية لها متوسط وغير شفافة ، لكن في موقع المشور نجد تفاوت بين درجات الألوان في نفس اللون وفي نفس المجموعة ،هذا راجع ربما الى استعمال أكسيد القصدير الذي يعطي نوعا من البيوضة لألوان في بيئة رصاصية كما هو الحال في اللون الاخضر وبهذا المفعول تكون تفاوتات في اللون الواحد فيعطي هذ الصفة الجمالية في تبليط أو في الإيزار الجداري في القصور والمنشئات المختلفة الاخرى .

من الأمور المعروفة عن الزليج وجود الرصاص في تركيبته التصنيعية فهو يلعب دورا هاما في ألوان الزليج فلقد وجد الرصاص في كل قشرات اللونية للعينات وأيضا وجود النحاس في اللون الاخضر والكوبلت في اللون الازرق .

أما وجود الكوبلت مع الزنك فهذه خاصية وجب التعمق في دراستها وتكون منطلق لبحث عن مناجم في المنطقة تحوي على الكوبلت والزّنك ومن هنا يمكن اتباث فردية مواد خامة محلية .

التركيبة الطينة جيد وكلها تحتوي على الكالسيوم وهي تقلل تلف القشرة اللونية عند تصنيعها وكذا يكون هناك نسبة أقل من ضياع الشظايا عند عملية التكسير . ويمكن اعطاء نتيجة أن نوع الطينة جيدة تعطي قشرة لونية جيدة .

صنعت كل العينات من طينة نفسها لكن تفاوت درجات الحرارة والحرق تعطي ألوانا متباينة لطينة وهذا راجع لترتيب المربعات الزليج في الفرن .

في الأخير يلاحظ في عينات زليج قصر المشور من القاعة الشّمالية له أن الاصفر العسلي والاسود استعمل فيهما عمل التزجيج وهي متفاوتة في درجات ألوانها والزليج الأبيض والازرق والاخضر استعمل فيهم عمل التبيض والتعتيم وهي متفاوتة في درجات ألوانها وهذا يعطي صفة الجمالية الفنية في المنظر العام للوحات الزليج، و كل ألوان العينات استعمل فيها الرّصاص كما هو معهود في صناعة ألوان الزّليج، وكذا استعمال النحاس في الزّليج الاخضر والكوبلت في الازرق، بالاشتراك مع الزنك وهذه تعتبر خاصية فريدة في المجموعة.

كلّ المجموعة صنعت من طينة واحدة، ربما يدلّ على انّها من نفس الورشة، أمّا فرضية انتمائها لنفس المنطقة فهذا متروك للبحث فيه، من المحتمل أيضا أن الورشة المشرفة على قطع الزّليج لم يكن لها تبذير في المنتوج عند عملية القطع أو الكسر.

تجب الإشارة كذلك على أن هذه القراءات والنتائج هي أولية، لذا وجب إنهاء التحاليل، والتجارب لتعميم النتائج وتصويب القراءات، وهذه النّتائج هي عبارة عن خصائص أوليّة لزلّيج المشور، وجب تعميمها، وتخصيصها، مع مجموعات أخرى.

الخاتمة

الخاتمة

وصلتُ إلى نهاية المطاف في هذا البحث الذّي حاولتُ من خلاله استكشاف خبايا فنّ الزّليج وتسمياته المتداولة، والفئة الاجتماعيّة في الدّولة الزّيانية التي كانت تمارسه، كما أنّي سعيت لإضاءة بعض الجوانب من الشّواهد الماديّة في المغرب الإسلامي، والأندلس في الفترة الوسيطة، لمحاولة معرفة أولّ ظهور حقيقيّ له، كما أنّي جلت في تقنيات ومراحل تصنيع هذا الفنّ المغربي الأندلسيّ، وشرحت الأشكال، والعناصر الفنّية من هندسيّة، ونباتيّة، وتطرّقت للألوان المستعملة فيه، كما ذكرنا بعض المعالم التّلمسانية غير الزّيانيّة التي وجدت فيها الزّليج، ثمّ عرّجنا على المعالم الزّيانيّة التي كسيت بحلّته، مع الولوج إلى موضوعاته الفنّية الزّخرفية المختلفة، ووصلت أخيرا إلى صلب بحثنا عن قصر المشور، والزّليج المستعمل فيه، والمكتشف في الحفريات المختلفة، ومن ثمّ دراسة مجموعة الزّليج "حفرية 2008م"، التي قمنا بجردها، واخترنا منها عيّنات كان الغرض منها إجراء تحاليل مخبريّة لاستخلاص نتائج تسمح لنا بمعرفة الموادّ المكوّنة لها، ومن ثمّ إحصاء الخصائص التّي لاحظناها، وتوصّلنا على ضوئها إلى نتائج التجارب المخبرية.

ومن نتائج هذا البحث:

- إنّ تسمية الزّليج هي تسميّة أصلية له بحكم تردّده في المصادر التاريخية، أمّا باقي التّسميات فهي منحوتة منه، ومتحوّرة عنه، بسبب اختلاف اللّهجات، كما أنّنا أزلنا اللّبس في مجال تسمية الزّليج، وأوضحنا إشكالية الخلط بينه وبين بعض تسميات البلاطات، والكسوات الجدارية الأخرى.
- واتّضح في بحثنا وبالاستعانة بالمصادر أنّ من بين الفئات الاجتماعية التي مارست صناعة الزّليج في الدّولة الزّيانية نجد فئة من المسيحيّن الذين أجلبوا من الأندلس بطلب أحد سلاطين بنو زيان، لكن لا يمكن تعميم هذه الاشارة التاريخية على كلّ فترات الدّولة الزّيانية.
- في ما يخصّ أولّ ظهور تاريخيّ لهذا الفنّ التّزييني في المغرب الإسلاميّ فرجّحنا أنّ أول استعمال للزّليج كان في منارة مسجد الكتبيّة في مراكش بالمغرب الأقصى في سنة 594هـ، بينما كان ظهوره في المنشآت الاندلسية سنة 617هـ في برج الذّهب الموجود في اشبيلية .
- من خلال عرضنا لمراحل وتقنيات تصنيع الزّليج في الفترة المعاصرة في المغرب الأقصى، خلصنا إلى أنّ هذه المراحل لا يمكن أن تكون بالضّرورة لنفس تقنيّات مراحل تصنيع الزّليج الزّياني في القرنين 13م، و14م، لأنّ من المعلوم أنّ الحرفيّن كانت لهم أسرار مهنتهم ويستحيل تناقل أسرار بعض التقنيات بين الحرفيّن.
- من خلال بحثنا خلصنا إلى أنّ منظومة زخرفة الزّليج هي معقّدة ومتشعّبة، وفهمها يتطلّب دراسة أوسع، ومتخصصة في مجال القراءات السّميائية، وتشكيل زخرفة الزّليج تنطلق منذ اللّحظة الأولى، التّي يتمّ فيها كسر أو قطع الفرم الزّليج، وهي أشكال نباتيّة، أو هندسيّة صغيرة تقارب 360 قطعة فرم في زلّيج المغرب الأقصى في يومنا هذا، وعليه يمكن أن نتصوّر أنّ عدد قطع الفرم في القرنين: 13م أو 14م، مساويا لمجموع قطع فرم الحالي أو يزيد عنه. كما أشرنا أنّه من جانب تشكيل الزّخرفة يحتمل أنّه كان يستعان بعلماء الرّياضيات لتشكيل زخارف هندسية، أو حتى نباتيّة جديدة، تقدم للحرفيّن لرسمها، واستعمالها، وتقطيع قطع الفرم على

مثالها، ومحتمل أيضا أنه حدث تنافس بين المواضيع الزخرفية الجديدة بين الورشات، وهذا كلّه يتطلّب دراسة خاصّة بها.

– ومن جانب الألوان المستعملة لم نتوصّل في المصادر التاريخيّة على إشارات للخلطات المستعملة في صناعة ألوان الزّليج المتنوعة، وهذا راجع لأسرار المهنة عند الحرفيّين، لذا توجّهنا للتّحاليل المخبريّة لمعرفة هل بإمكاننا معرفة أسرار الخلطات اللّونية، ومن ثمّ التّفرقة بين أنواع هذه الخلطات، والتّعرف على الورشات المختلفة التي مارست هذه التّقنية في الفترة الزّيانية.

– أمّا في ما يخصّ المعالم غير الزّيانيّة التّلمسانيّة التي استعملت الزّليج فنجد: المرينيّين الذين استعملوا هذا الفنّ في المواقع المشهورة الثّلاثة (منارة المنصورة، مسجد سيدي الحلوي، مركب سيدي بومدين)، ولاحظنا أن موضوعات لوحات الزّليج متقاربة، لكنّ الزّليج الزّياني أرقّ وأرشق في أشكال قطعة الفرم –إن صحّ التّعبير– لكن لم نتطرّق إلى المقارنة بينه، وبين الزّليج الزّياني لأن توجّهنا في دراستنا كان مغايرا. لكن فيما يخصّ استعمال الزّليج في مختلف الأماكن في المنشآت المرينية، لاحظنا أنّه ليس هناك اختلاف إلاّ الذي أشرنا إليه في منارات مساجد تلمسان للفترة الوسيطة، فالمنارات المرينيّة تستعمل نسبة أكبر من الزّليج في تزويق بدن، وجوسق الصّوامع، ويتواجد فيها شريط كبير من الزّليج في رأس بدن الصومعة، بينما الصّوامع الزّيانية لا وجود لهذا الشريط الكبير، بل هناك استعمال صغير للزّليج مقارنة ما ذكرناه عن المنارات المرينيّة. وهذا الأمر معروف ومذكور في دراسات أخرى.

– أمّا المعالم الزّيانية التي استعملت الزّليج في تزيين جدرانها، وأرضياتها، وواجهاتها، وظّفت عدّة موضوعات مختلفة، ومتشابهة في بعض الأحيان. استعملت الضّفائر، والأفاريز الهندسيّة في منارات المساجد، كما استعملت شبكة المعيّنات في جوسق الصّوامع، إضافة إلى استعمال المضلعات، مثل المعينات والمربعات، ولكن في الصّومعة الزّيانية لم تستعمل الزّخرفة بالأطباق النّجمية، وهذه الخاصّية تعتبر نقطة اختلاف بينها وبين الصّومعة المرينيّة، إذ استعملت في منارتي مسجد سيد الحلوي وسيدي بومدين الزخرفة بالأطباق النجمية، أمّا في المنشآت الأخرى الزّيانية، استخدمت الأطباق النّجمية في الأرضيّات، والجدران، وحتّى في واجهات المداخل، مثل مدخل المدرسة التّاشفينية. أمّا الموضوعات الزخرفية الهندسية الأخرى، فاستعملت في الأرضيات، والجدران، أمّا الموضوعات الزّخرفية النّباتية ومنها المراويح النّباتية البسيطة، والمزدوجة، والبراعم، والسّيقان فوجدناها مستعملة في قصر المشور، خاصّة في العتبات، والأفاريز، أمّا في الواجهات فلدينا نموذجين معروفين، أولاهما لصومعة مسجد سيدي أبي الحسن التّنسي، إذ استعمل في أحد التّيجان الزّخرفية من الزّليج مراوح نخيليّة، وهذا النّموذج الزّخرفي في زليج تلمسان فريد من نوعه، النّموذج الثّاني يظهر في رسومات الأرشيفات الفرنسية لمدخل المدرسة التاشفينية، استعمال مراويح نخيلية بسيطة ومزدوجة ملتفة مع سيقانها، وهذه الأخيرة تشبه إلى حدّ كبير ما رأيناه في عتبات قصر المشور، وما وُجد في بنقيّة مدخل مدرسة مركب شالة في المغرب الأقصى، وهذا التشابه الأخير يبعث تساؤلا هو: هل نحن أمام ورشة واحدة صنعت نفس الزّليج في المواقع الثّلاثة؟ وهذه الإشكاليّة ستكون جزءً من موضوع بحوث مستقبلية بإذن الله.

- وفيما يخص زليج المشور المنتشر على سطح الأرض، والمغمور فيها، فيتّضح لنا جليّا بعد مشاركاتنا البحثيّة في الشواهد المادية التي عاينّاها، والاستفسار مع مختلف الأساتذة المتخصّصين في علم الآثار، أنّ قصر المشور هو موقع يحتوي على عدّة فترات مختلفة، وعدّة مرافق متنوّعة تخصّ عدّة طبقات اجتماعية في القصر (ملوك ، وزراء ، عسكر ،خدم ...) ففي الحفرية التي شاركنا فيها سنة 2008م ثم في سنة 2009م شاهدنا:

أ- عدّة نماذج من الزّليج متفاوتة الصّنع والإتقان التي تعود لنفس الطّبقة، وهذا يعطي لنا قراءات أثريّة عديدة، من بينها أنّ الزّليج الرّاقي المتقن تواجد في وسط موقع المشور في الغرف، والأروقة، والحوض، وتواجدت فيه عدّة موضوعات زخرفيّة من أطباق نجميّة متنوعة، ومراويح مختلفة...، وبألوان زاهية ومتنوّعة، أمّا الزّليج الموجود في أطراف الموقع في الغرف، والممرّات، فهو زلّيج بسيط، يكون ممثّلا في أغلب الأحيان، بمربّعات بسيطة غير منتظمة المقاسات بلونين كحدّ أقصى هما الأبيض، والأسود في أغلب الأحيان، وتفسير هذا أنّ الطّبقة الحاكمة من السّلاطين والنّبلاء كان التّبليط والكسوة الجدارية لغرفها راقيا، أمّا جهة الخدم فزلّيجها أبسط إنجاز.

ب- كما شاهدنا في موقع القصر أنّ هناك تبليطات كاملة من الزّليج الرّاقي المتقن الصّنع بنفس الموضوع الزّخرفي، ثم نجد بعض قطع الزّليج مربّعة الشّكل في وسط نفس الأرضيّة، وظّفت هذه الأخيرة في غلق، وترميم التلف المتمثّل في الفراغات الصّغيرة، التّي حدثت بفعل ضياع، وزوال بعض قطع الفرم الزّليج من الأرضية، يمكن ملاحظة هذه الحالة في القاعة الشّمالية لقصر المشور التّي سمّيت في حفرية 2008م، بالقاعة 2D20، في أرضية الإيوان، وهنا لنا قراءات عديدة من بينها: أنّ التّبليط الأوّل هو من صنع ورشة معيّنة، أمّا المربعات التّي تم غلق بها الفراغات فهي من فترة أحدث من التّبليط الأصلي، أو إن كانت هناك فترة ازدهار بالزّليج المستعمل في التّبليط الكامل، أمّا القطع المربّعة تدلّ على فترة انحطاط، أومحنة مرّ بها الموقع، كفترة حصار للقلعة فلم يكن بالإمكان التّرميم بالموادّ نفسها.

ت- كما شاهدنا من خلال حفريات المشور خاصّة في ما يتعلّق بالزّليج، أنّه وُجِدتْ حالات لعدّة طبقات من الزّليج بعضها فوق بعض في نفس المربّع من مربعات الحفرية، وهذا يدلّ على تعدّد المراحل، وتعاقب الفترات التي مرّ بها الموقع القصر.

ومن هذه الاختلافات التي توجد في أنواع الزّليج، ومختلف المراحل التاريخية التي يعود لها، حاولنا إجراء تحاليل مخبرية على مجموعة من العيّنات من زليج نفس الطّبقة للتّعرف على خصائصها الكيميائية، ليتسنّى لنا مستقبلا مقارنتها مع عيّنات لزلّيج طبقة أخرى لنفس الموقع، مع إجراء نفس التّحاليل المخبرية عليها، وبالتّالي التّعرف على مختلف خصائص مجموعات الزّليج ومقارنتها مع مواقع أخرى .

وبعد استقراء نتائج تحاليل المخبرية لعيّنات زلّيج قصر المشور مع الأساتذة المتخصّصين، تبيّن وجود مجموعة من الخصائص المعروفة على الزّليج وخصائص صفاتها مقتصرة على العيّنات المدروسة في مجموعتنا فقط، وهي كالتّالي:

1- من حيث الألوان:

-استعمال الرّصاص في كل عيّنات المجموعة، كما هو معروف عن صناعة ألوان الزّليج في المغرب الإسلامي والأندلس.

-عينات من الزّليج ذات اللّونين: الأصفر العسلي، والأسود، يتميّزان بأنّهما شفّافان، سمك الأول هو الأصغر في المجموعة، بينما الثّاني هو أكبر سمك منها.

-عيّنات ذات الألوان البيضاء، والزّرقاء، والخضراء عتّمت بأكسيد القصدير.

-وجود الكوبالت مشترك مع الزّنك في عيّنة اللّون الأزرق، وهذه الخاصّية فريدة من نوعها، يمكن أن تكون منطلقا للبحث في خامات المنطقة، للتّعرف على ما إذا جُلِب هذا الكوبالت المتّحد مع الزّنك من منطقة تلمسان، أو جاء من اقليم آخر.

2- من حيث الطّينة:فقد ظهر على مجموعة عينات الزّليج، أنّها صنعت من الطّينة نفسها، وتبيّن أنّها طينة جيّدة تسمح بعدم حدوث تشقّقات على سطح الزّليج.

في الأخير وجبت الإشارة على أن مشوار دراسة هذه المجموعة لم ينتهِ بعد، وهو مشوار طويل يتطلّب سنين عديدة للقيام بكل التّحاليل على مجموعة زلّيج قصر المشور، لمختلف الحفريات في الطّبقات الأثرية المختلفة، لتعميم النّتائج، وإيجاد خصائص كلّ مجموعة ومقارنتها فيما بينها، والبحث على خامات تتميز مكوناتها بنفس المواصفات، ومن ثمّ مقارنتها مع مجموعات أخرى من مواقع مختلفة، وبعد هذا العمل كلّه يمكن اكتشاف، أو التّعرف على ورشات محليّة إن وجدت، أو ورشات من أقاليم أجنبيّة جلبت إلى مدينة تلمسان، لترصيع الزّليج على المساحات المختلفة من المنشآت الزّيانية.

الملاحق:

- ✓ الأشكال.
- ✓ الصّور.
- ✓ اللّوحات.

✓ الأشكال.

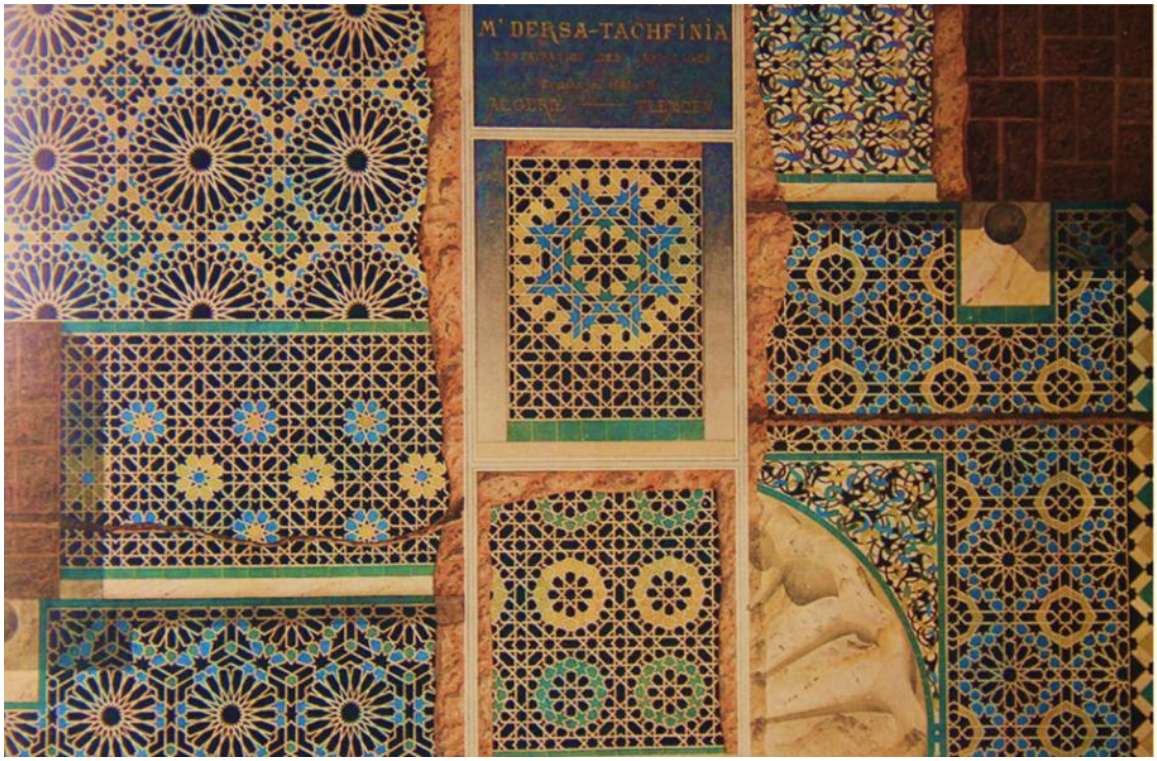

شكل رقم :1. رسومات للزليج المدرسة التاشفينية . أنظر : Ahmed khoumas , Chérazad Nafa, l'Algérie et son patrimoine ,Monum ,éditions du patrimoine,Paris,2003,p :97.

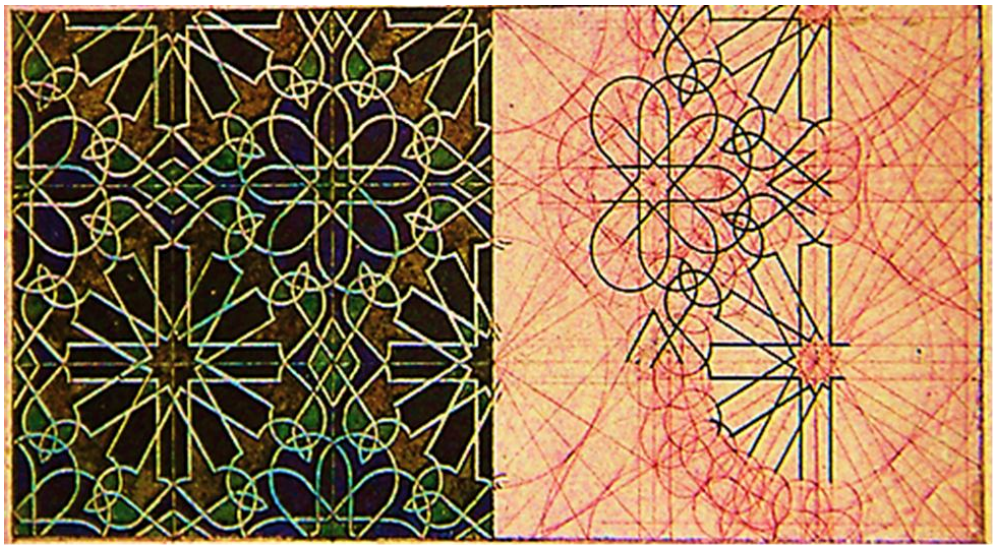

شكل رقم : 2 . زليج مدرسة تاشفنية / أطباق نجمية ذات 12 ضلع و 8 أضلاع من رسم Duthoit. أنظر :

. Ahmed khoumas , Chérazad Nafa, l'Algérie et son patrimoine ,Monum ,éditions du patrimoine,Paris,2003,p :98.

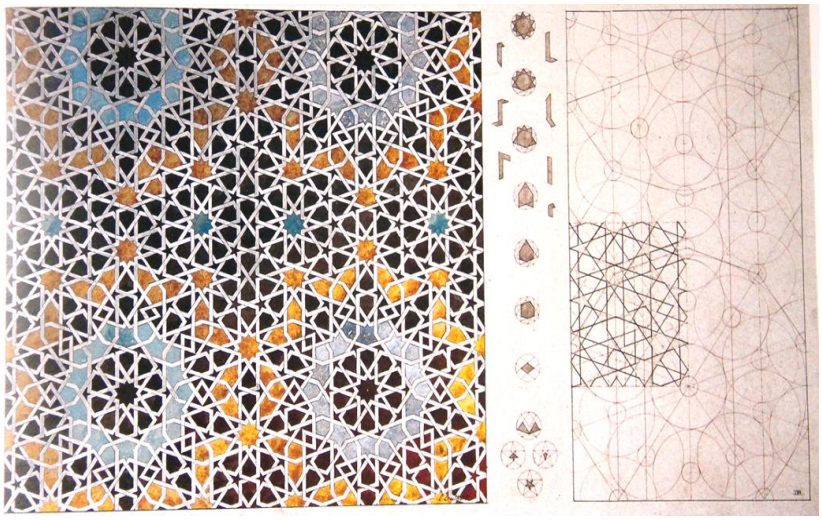

شكل رقم :3.

رسم لتبليط من زليج للمدرسة التاشفينية تظهر أطباق نجمية ذات عشرة أضلاع.

.

أنظر:

. Ahmed khoumas , Chérazad Nafa, l'Algérie et son patrimoine ,Monum ,éditions du patrimoine,Paris,2003,p :99

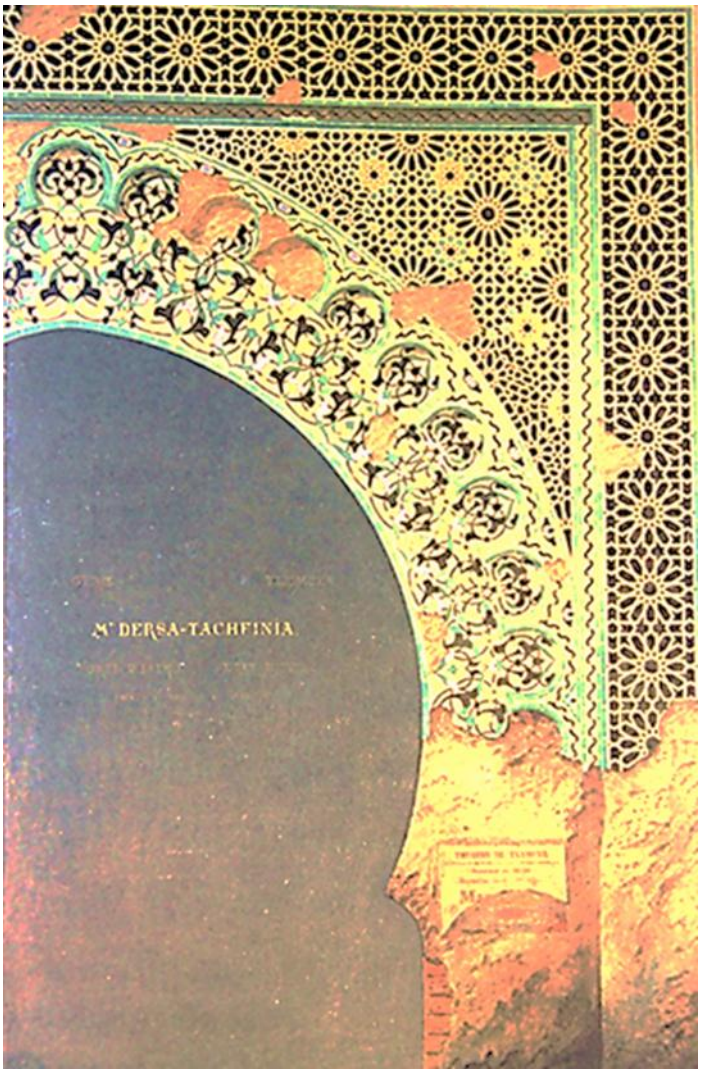

شكل رقم : 4.

مقطع لواجهة مدخل المدرسة التاشفينية

.

أنظر:

. Ahmed khoumas , Chérazad Nafa, l'Algérie et son patrimoine ,Monum ,éditions du patrimoine,Paris,2003,p :95.

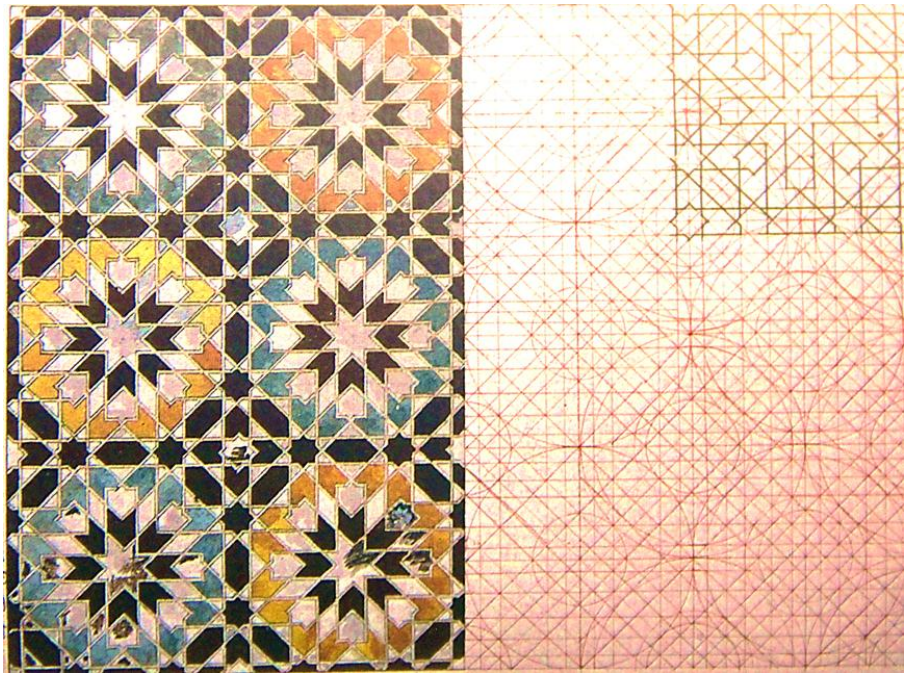

شكل رقم :5.

رسم لتبليط من زليج للمدرسة التاشفينية .تظهر أطباق نجمية ذات ثمانية أضلاع1.

أنظر :

. Ahmed khoumas , Chérazad Nafa, l'Algérie et son patrimoine ,Monum ,éditions du patrimoine,Paris,2003,p :98

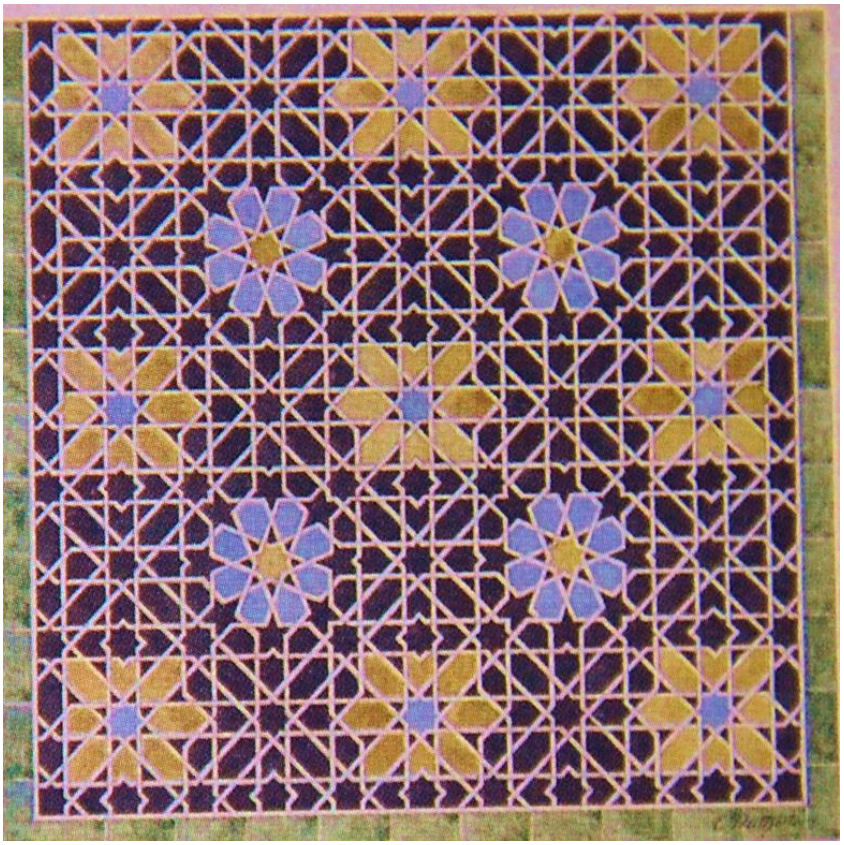

شكل رقم : 6 .

رسم لتبليط من زليج للمدرسة التاشفينية .تظهر أطباق نجمية ذات ثمانية أضلاع 2.

أنظر:

Agnès Charpentier ,et d'autres,l'image de Tlemcen dans les archives françaises , Mauguin , Blida , Algérie, 2011,p :144.

الصّور.

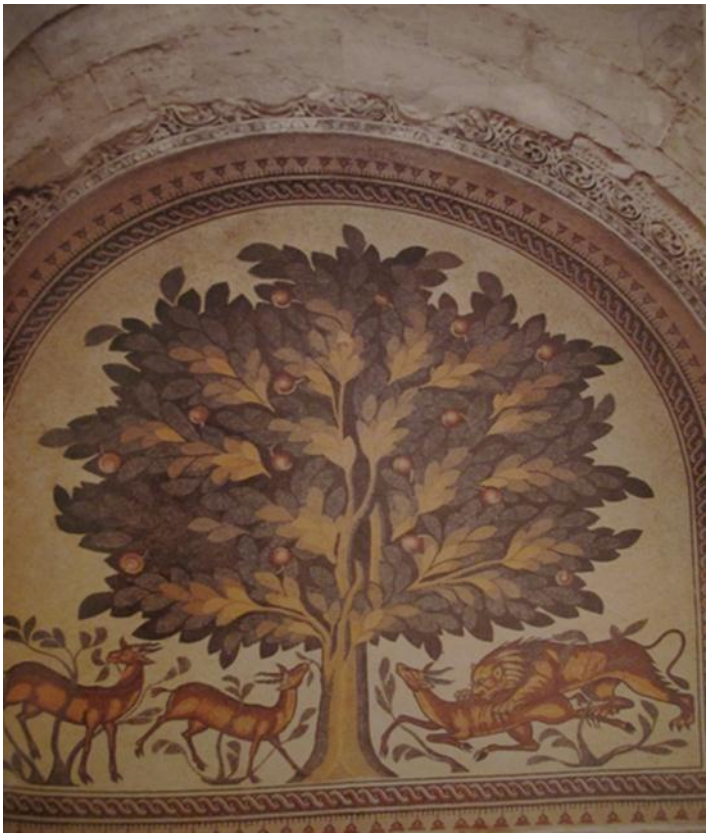

الصورة رقم :1.

فسيفساء الأسد قصر الأموي في خربت المفجر في جيريشوا (739م744م).

رغم ان التقنية رومانية لكن يوجد تأثير ساساني.

Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,EdITION CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000,p77.

الصورة رقم:2.أ

فسيفساء قبة الصخرة .منظر عام

-Henri Stirelin ,Architecture de l'Islam de l'Atlantique au Gange ,Office du livre,Suisse,1979,p30,31

الصورة رقم:2.ب

فسيفساء قبة الصخرة .منظر مقرب

-Henri Stirelin ,Architecture de l'Islam de l'Atlantique au Gange ,Officedulivre,Suisse,1979,p30,31

الصرة رقم : 3:أ

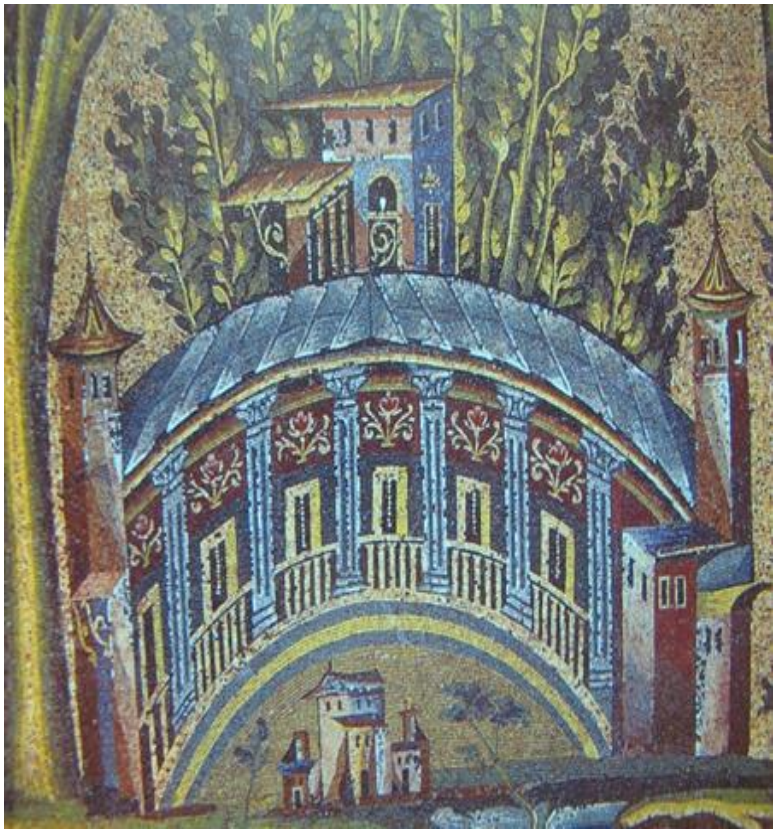

فسيفساء مسجد الأموي بدمشق استعمال الأشجار و بنايات، أنظر:

Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,EdITION CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000,p79.

الصورة رقم : 3:ب

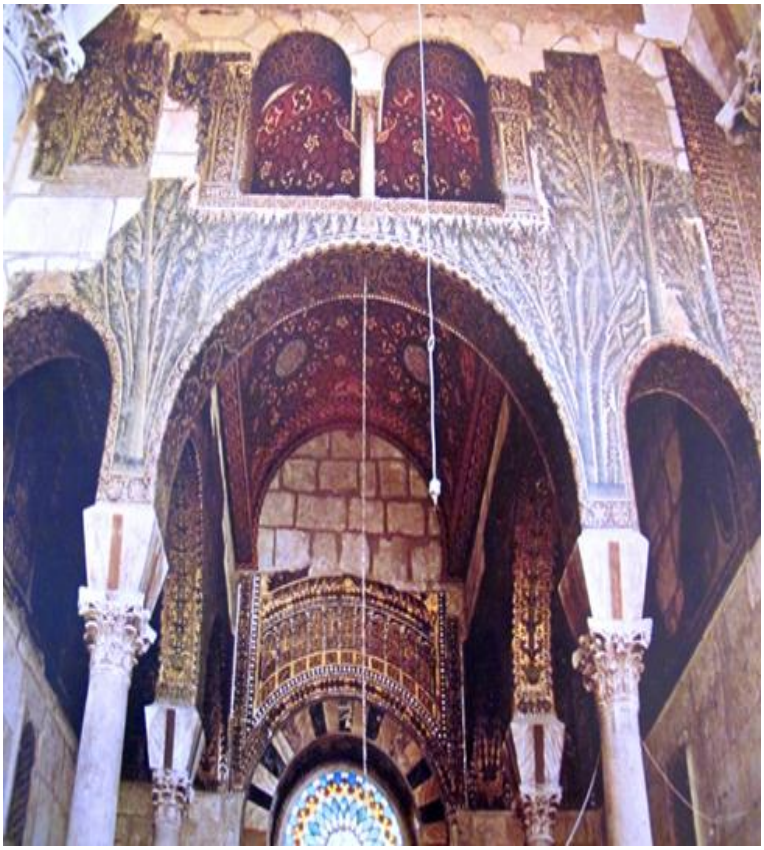

فسيفساء مدخل من مداخل المسجد الأموي بدمشق ،تمثيل الأعمدة المسجد كأنها أشجار، أنظر:

-D Umberto Scerrato, traduction de Dominique Versini , Merveilles du monde Islam ,Fernand Nathan ,paris ,1977, p24

الصورة رقم : 4

لوحات من الخزف المغطى بطبقة من المينا التركوازية والكوبلتية المندمجة في تزيينات المعمارية . سمرقند في بوابة ضريح سعد الملك أق (Shâd –i Mulk Aqa)في مدينة (Shah –i Zinde) أنظر :

Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,Edition CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000 ,p :98.

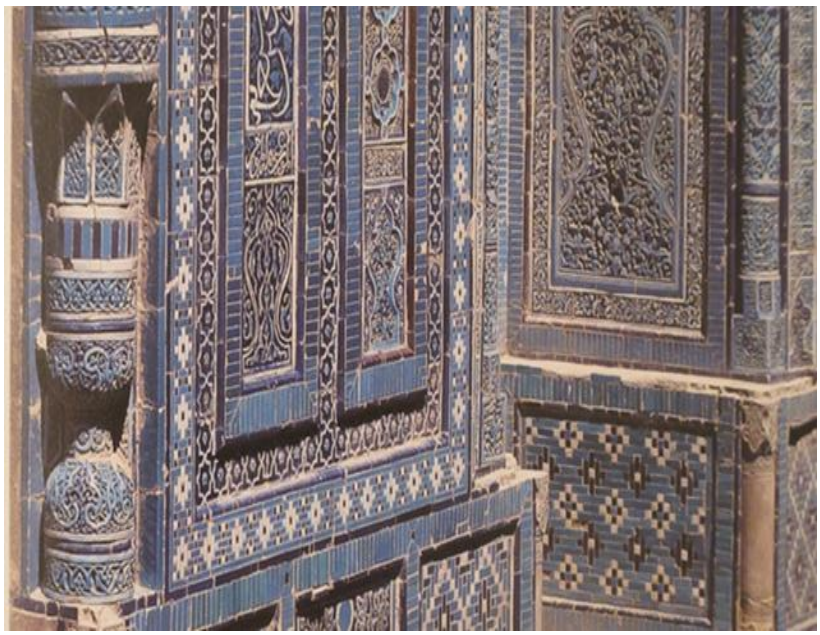

الصورة رقم :5

مدخل للضريح سعد الملك اقا1371م-1383م

كل الواجهات مكسوة بالخزف الدي يغلب فيها اللون ازرق و الأخضر . هدا المعلم يضم قبر أميرة ويعتبر من أجمل المعالم في سمرقند. أنظر :

Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,Edition CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000 ,p :99.

الصورة رقم :6.

فسيفساء خزفية نباتية هندسية كتابية ،مدرسة الزرقاء في توكات (Tokat)في القرن 13م.

Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,Edition CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000 ,p : 100.

الصورة رقم:7.

بلاطة خزفية زخرفة نباتية وحيوانية (رسم عدة أنواع من الطيور ،من بينها الطاوس)بداية القرن 16م الموجودة بقصر Top kapi في اسطنبول(تركيا) والألوان المستعملة ، الابيض و الازرق .

Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,Edition CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000 ,p :102

الصورة رقم: 8

بلاطات خزفية من امان زد جفر من دمغان في ايران (l'iman-zada ja'far à Damghan en iran) سنة 1267م هده التقنية والأشكال هي من اختصاص ورشات قشان (متحف اللوفر،فرنسا) أنظر :

Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,Edition CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000 ,p :146

الصورة رقم: 9. أ

بلاطات خزفية من البريق المعدني تظم أشكال نجمية ثمانية تتخللها أشكال صليبية تزخرفها كتبة كوفية متكررة نصها : اليمن.

مكان الحفظ : متحف الوطني للأثار القديمة . الجزائر.

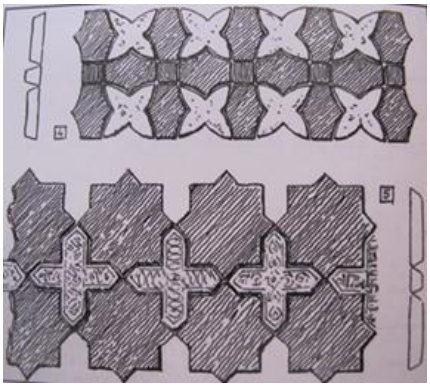

الصورة رقم : 9 . ب

قطع من تبليط خزفي حمادية

أنظر: نجاة عروة ، من وحي الثراث المعماري و الحرفي في الجزائر ، دار النشر دحلب ، الجزائر ،2011م،ص: 139.

صورة رقم:10.

زخرفة نباتية لمسجد (shah) في اصفهان شرع في عملها في 1611م. هي طريقة أكثرها سرعة في الانجاز ،لأنالعناصر الزخرفية ترسم على المربع الخزفي مباشرة ، استعملت بكثرة ،خاصة في أعمال الكبيرة في اصفهان خلال فترة (shah abbas 1er) أنظر :

Dominique clévenot, Gérard Dégeorge ,DECORS D ISLAM ,Edition CITADELLES ET MAZENOD ,PARIS 2000 ,p :102

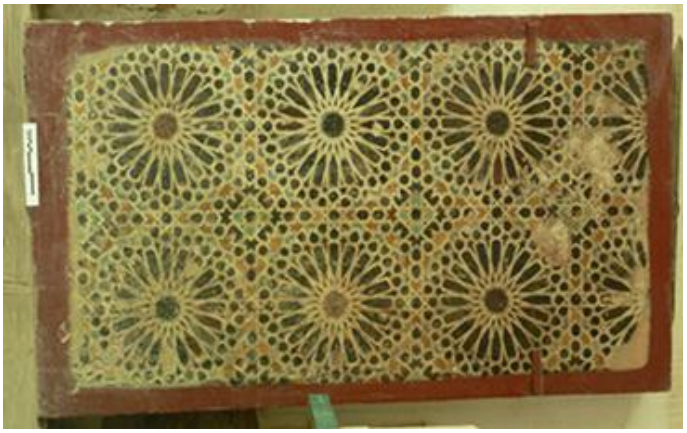

صورة رقم : 11.

أرضية من زليج المدرسة التاشفينية / متحف المدرسة.

رقم جرد الحالي: 194 ـ91 ورقم جرد مارسي: 194 لسنة 1906م ،أطباق نجمية استعمل فيها 20ضلع.

عرضها: 82سم /طولها: 1.51م

صورة رقم :12.

أرضية من زليج المدرسة التاشفينية / متحف المدرسة ، هي معروضة اليوم في متحف الفن و التاريخ . تلمسان .

. رقم جرد الحالي: z/33.

ـ رقم جرد مارسي لسنة 1906م هو: 193.

ـ أطباق نجمية ذات 20 ضلع .

ـ عرضها: 55سم / طولها: 52سم .

صورة رقم:13.

أرضية من زليج المدرسة التاشفينية / متحف المدرسة ، .

. رقم جرد z/30.

ـ أطباق نجمية 8 أضلاع بالألوان (الأزرق ، عسلي ، الأسود).

. عرضها: 55سم/ طولها :1.35م

صورة رقم 14.

لوحة مجمعة لزليج نباتي وهندسي للمدرسة التاشفينية(وهي قطع من زليج واجهة باب المدرسة التاشفينية ،أنظر رسم رقم:4).

متحف الوطني للأثار القديمة ،تحمل رقم الجرد: 184.

صورة من مذكرة ماجيستار :دليلة مطماطي بن زرقة ، الزليج على العمائر الدينية والمدنية من القرن 13م الى 16م ،مذكرة الماجستير في الاثار الاسلامية ،اشراف الدكتورة : خديجة نشار ،جامعة الجزائر 2،سنة الجامعية 2011م/2012م.

صورة رقم :15.

زليج هندسي للمدرسة التاشفينية تلمسان .

استعمل فيها أطباق النجمية الثمانية الأضلاع .

معروضة اليوم في المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ تلمسان .

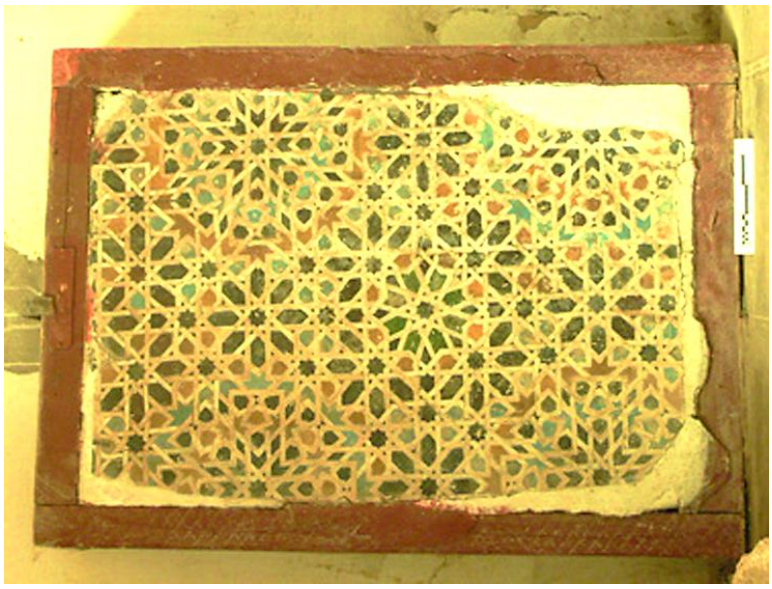

صورة رقم :16.

تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة .

- رقم جرد : 201.

- 8 أضلاع في الأطباق النجمية بألوان(الأسود ، الأخضر).

عرضها : 71سم / طولها : 1.035م

صورة رقم :17.

تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة.

- رقم الجرد الحالي :91/199.

- رقم جرد مارسي لسنة 1906م :199.

صورة رقم :18.

تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة .

رقم جرد مارسي لسنة 1906م :200.

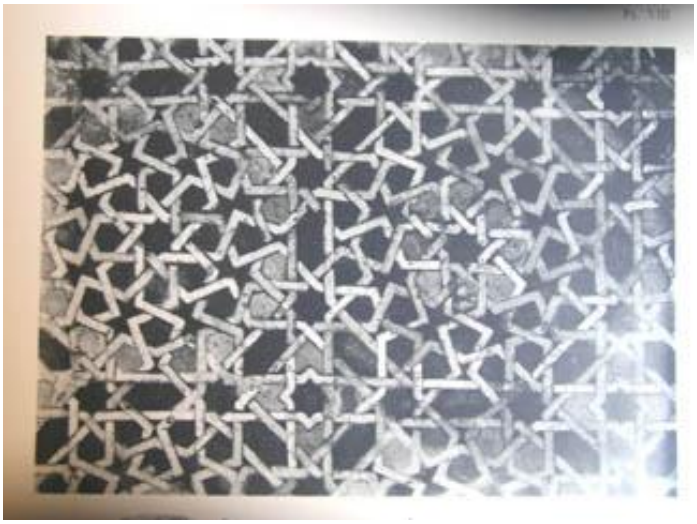

صورة رقم :19.

تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة

.

رقم جرد مارسي :196. تشبه اللوحة 91/199.

صورة رقم :20.

تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة

رقم جرد الحالي :sn 0506 .

طول اللوحة : 1.23م / عرضها :61سم

ـ أطباق نجمية بعشرون ضلع .

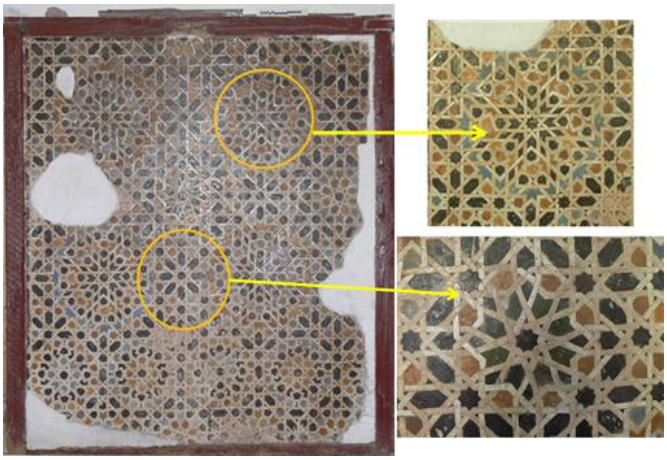

صورة رقم :21.

تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة

رقم جرد الحالي :sn 0306 .

ـ عرض اللوحة الزليج: 1.51م / طولها: 1.28م.

صورة رقم : 22.

كسوة جدارية من الزليج ،ضريح سيدي ابراهيم المصمودي (مقبرة ملوك بني زيان).

جدارة الجنوبي للضريح .

صورة رقم :23.

23/أ

23/ب

لوحتين من زليج مجهولة الموقع/ متحف المدرسة .

13/أ ، تحمل رقم جرد:z/007

معروضة في متحف الوطني للفن والتاريخ .

13/ ب،تحمل رقم الجرد :040/ z.

صورة رقم :24.

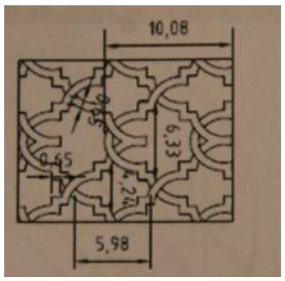

أرضية بزليج مزخرفة بشبكة معينات في قصر المشور في عتبت باب القاعة الشرقية .

موقعها حسب خريطة شبكية لمخطط حفرية 2008م هوw50.

صورة رقم : 25 .

نافورة غير واضحة الملامح مغلوقه بقطع من أجر ، استعمل في حدودها شريط من زليج بشبكة المعينات , اكتشفت في حفريات 2010م لكنها اليوم اندثرت .

صورة رقم: 26.

قطع من أفاريز مجهولة الموقع من مجموعة متحف المدرسة / معروضة اليوم في متحف العمومي الوطني للفن والتاريخ .

26/أ: رقم جرد:sn1 26/ب: رقم الجرد: 023/z

صورة رقم : 27.

شريط لضفيرة من زليج / من مجموعة المتحف المدرسة ، موقعها الأصلي مأذنة أبي الحسن التنسي .

رقم الجرد :sn2.

معروضة اليوم في المتحف الفن والتاريخ تلمسان .

الصورة رقم :28.

تبليط من الزليج / من مجموعة متحف المدرسة تلمسان .

رقم الجرد: مجهول .

طول اللوحة : 72سم / عرضها :68سم.

الصورة رقم : 29.

زليج من مختاف المواقع على شكل شرفات / مجموعة متحف المدرسة .

رقم جرد 19/أ :sn6

رقم جرد19/ب:sn9

رقم جرد19/ج :sn13

رقم جرد19/د:sn4

رقم جرد19/هـ:sn10

29/أ

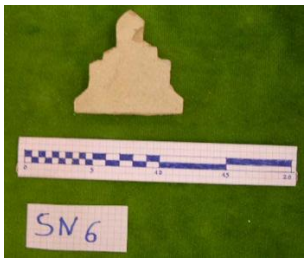

29/ب

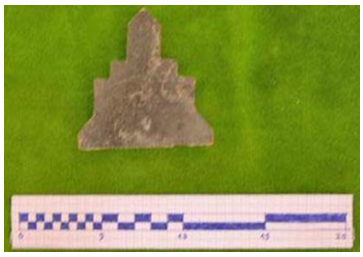

29/ج

29/د

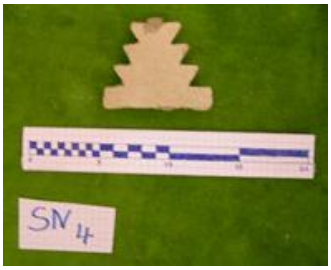

29/هـ

شكل رقم : 7.
زليج نباتي المدرسة التاشفينية . أنظر:
- Ahmed khoumas , Chérazad Nafa, l'Algérie et son patrimoine ,Monum ,éditions du patrimoine,Paris,2003,p :97.

الصورة رقم :30.

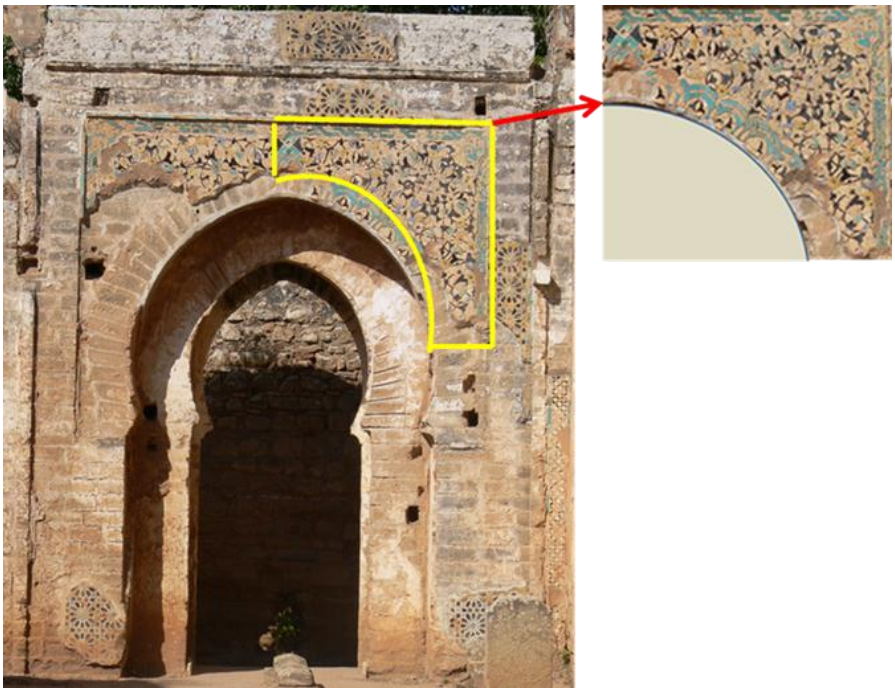

صورة عن مدخل مدرسة شالة بالمغرب الأقصى. التي تعود للفترة المرينية .

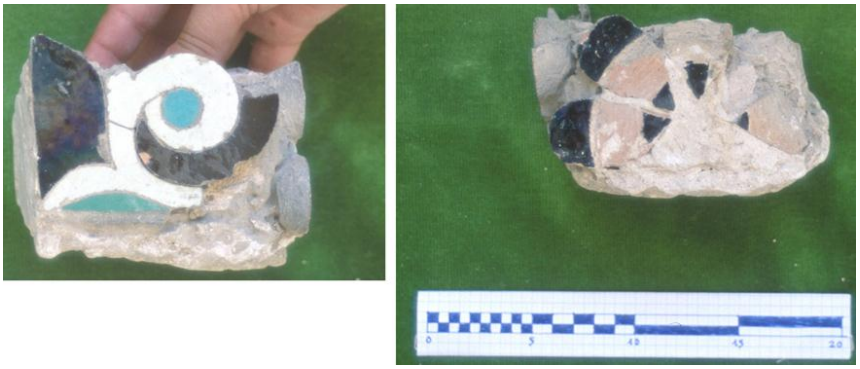

الصورة رقم : 31.
زليج نباتي لمسجد أبي الحسن التنسي/ من مجموعة متحف المدرسة .
رقم الجرد الحالي : sn30
رقم جرد مارسي لسنة 1903م:202.

الصورة رقم : 32.

كسوة جدارية من زليج هندسي الذي يشبه زليج المشور وتبليط من أجر والزليج وقطع عينات من زليج و الأجر. من اكتشاف الطالب الباحث . من موقع المنية يوم 2013/5/3م.

الصورة رقم :33.

التاج الزياني الذي اكتشفه الطالب في موقع المنية سنة 2013م.

الصورة رقم : 34.

زليج نباتي زياني ، موقع منية الصافصيف / من مجموعة متحف المدرسة .

رقم الجرد الحالي : sn22

هذه القطعة تنتسب الى مجموعة ألفراد بال لسنة 1933م

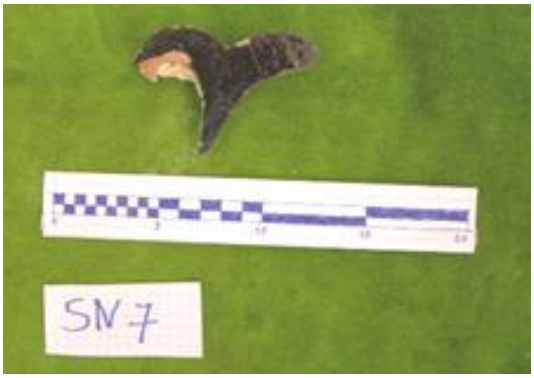

الصورة رقم :35.

قطعة زليج نباتي زياني (مروحة نخيلية مزدوجة) / من مجموعة متحف المدرسة .

رقم جرد الحالي :sn007

الصورة رقم : 36.

زليج نباتي زياني ، موقع منية الصافصيف / من مجموعة متحف المدرسة.

رقم الجرد الحالي :028/z

هذه القطعة تنتسب الى مجموعة المجرودة ألفراد بال لسنة 1933م

الصورة رقم : 37.

زليج كتابي (المقشر/excisés) / من مجموعة متحف المدرسة .

رقم الجرد :sn28

الصورة رقم : 38 .

فترة اهمال البناية (قصر المشور).

الصورة على اليمين : الواجهة الجنوبية لقصر ، تطل اليوم على الحوض المركزي للقصر.

الصورة على اليسار : نفس الجدار ، من داخل القاعة .

الصورة رقم :39

الزخرفة الجصية المكتشفة سنة 1989م.

الصورة رقم : 40.

الزليج المكتشف خلال التسعينيات قرن 20م : زليج ذو أشكال هندسية مكوّنة من خطوط منحنية، ومنكسرة بيضاء اللّون تتخلّلها قطع نجمية ثمانية الرؤوس (خاتم سليمان ،أو الحتيم) وأخرى ذات أشكال هندسية مختلفة، والألوان المستعملة في القطع الاخرى هي الأسود والأزرق والأخضر والأصفر

الصورة رقم : 41.

قطع جصية مكتشفة في القاعة الشمالية 2D20 في قصر المشور أثناء حفريات 2008م.

الصورة رقم : 42.

تبليط من الأجر تحث تبليط من حجر تافزة .موقع قصر المشور الجهة الجنوبية .

ملاحظة كان يرتفع هذا التبليط فوق حوض المركزي للقصر بحوالي 1.20م.

الصورة رقم : 43.

عملية الحفر في المنطقة الغربية للقصر / حفرية 2009م.

الصورة رقم :44.

أسبار في المنطقة الغربية للقصر / حفرية 2009م.

الصورة رقم : 45.

مربعات الحرفية 2009م ، وتبليط من زليج مكتشف في تسعينات قرن 20من طرف عمال ، حاولوا اقتلاع جدور شجرة التشنار .

الصورة رقم : 46.

عملية حفر حوض المركزي للقصر المشور / حفرية 2010م .

الصورة رقم : 47.

الجهة الغربية من القصر ظهور ملامح حوض ثاني بنفس الزليج ونفس القياسات / حفرية 2010م

الصورة رقم : 48 .

الجهة الشمالية للقصر المشور ظهور هياكل وأرضيات عديدة .

ملاحظة: ردمت جميع الهياكل والأرضيات فور انتهاء من الحفر لقيان ببناء قصر جديد سياحي .

الصورة رقم : 49. زليج نوع أربعة من قصر المشور/ حفرية 2010م.

الصورة رقم :50. زليج النوع الخامس من قصر المشور / حفرية 2008م

الصورة رقم :51. زليج نباتي نوع العاشر/ حفرية 2010م

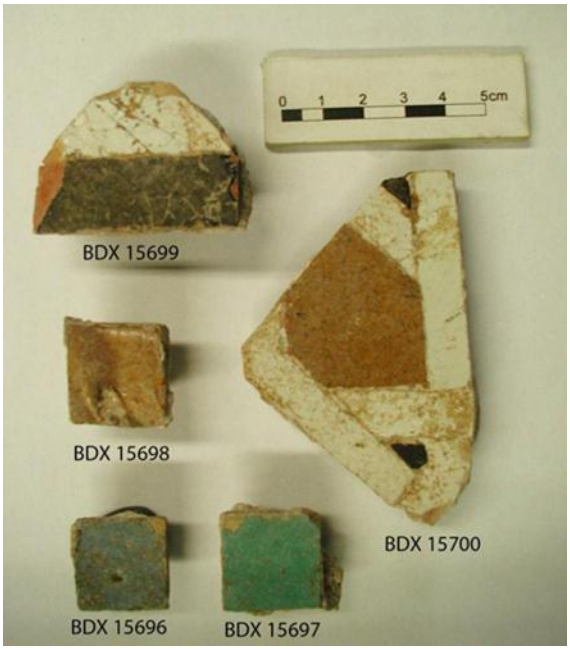

الصورة رقم : 52. عينات زليج نوع الأول والثاني .

الزليج النوع الأول :رقم جرد المخبر BDX15700 نسميها نحن العينة رقم :1

النوع الثاني : أخد من أربع عينات وسميت BDX15696 نسميها نحن العينة رقم :2 / BDX15697 نسميها العينة رقم :3 / BDX15698 العينة رقم :4 / العينة رقم :5 هي BDX15699.

اللّوحات

لوحة رقم :1. ـ مخطط لثكنة المصطفى . أنظر:

Agnès Charpentier ,et d’autres,l’image de Tlemcen dans les archives françaises , Mauguin , Blida , Algérie, 2011,p :152.

ـ صورة ملتقطة من مئذنة مسجد المشور لموقع الثكنة بعد عملية الهدم سنة 2013م

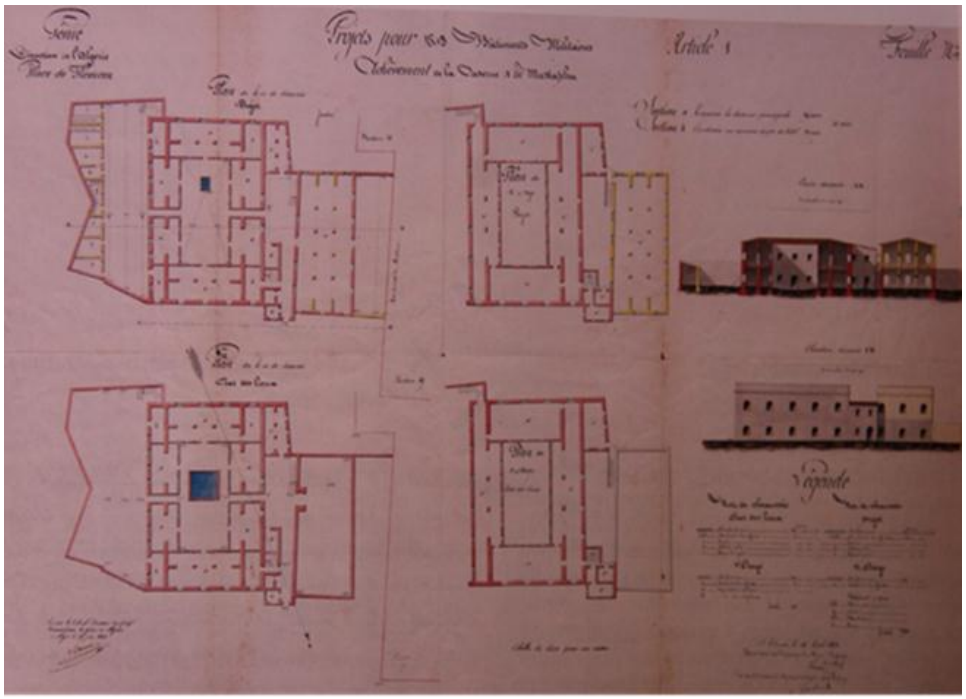

لوحة رقم : 2 .موقع قلعة المشور وقصر المشور، مخطط مدينة تلمسان 1858م من مصلحة الأثار لوزارة الدفاع /محفوظات الهندسة 1vh1813ملف 1 ورقة 2

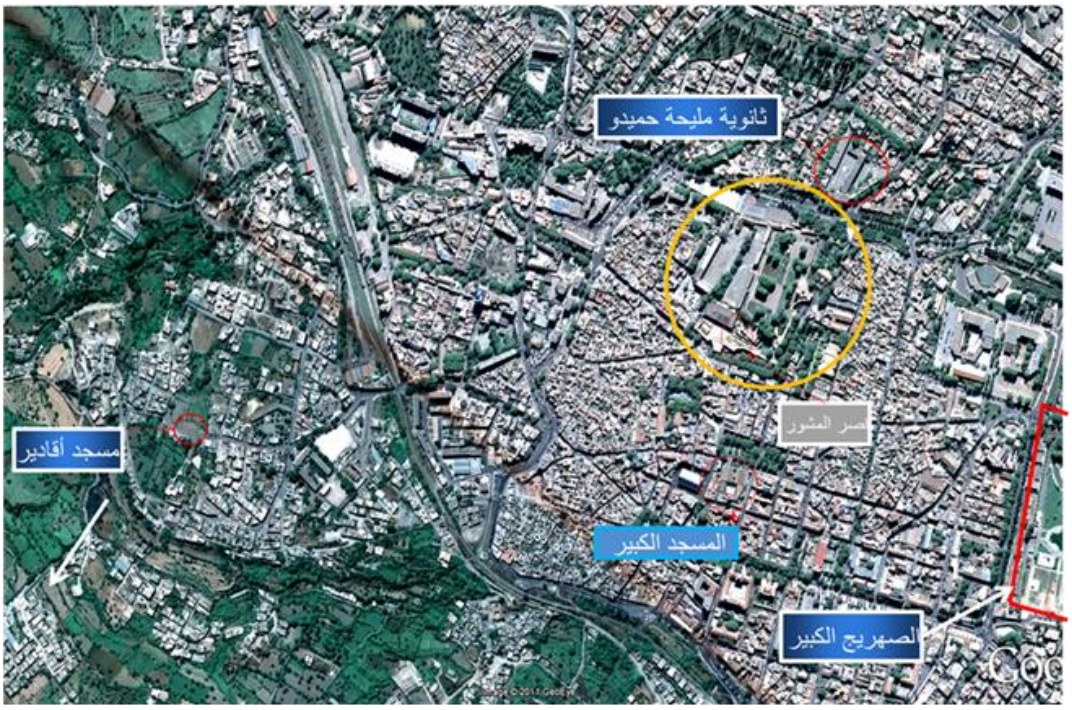

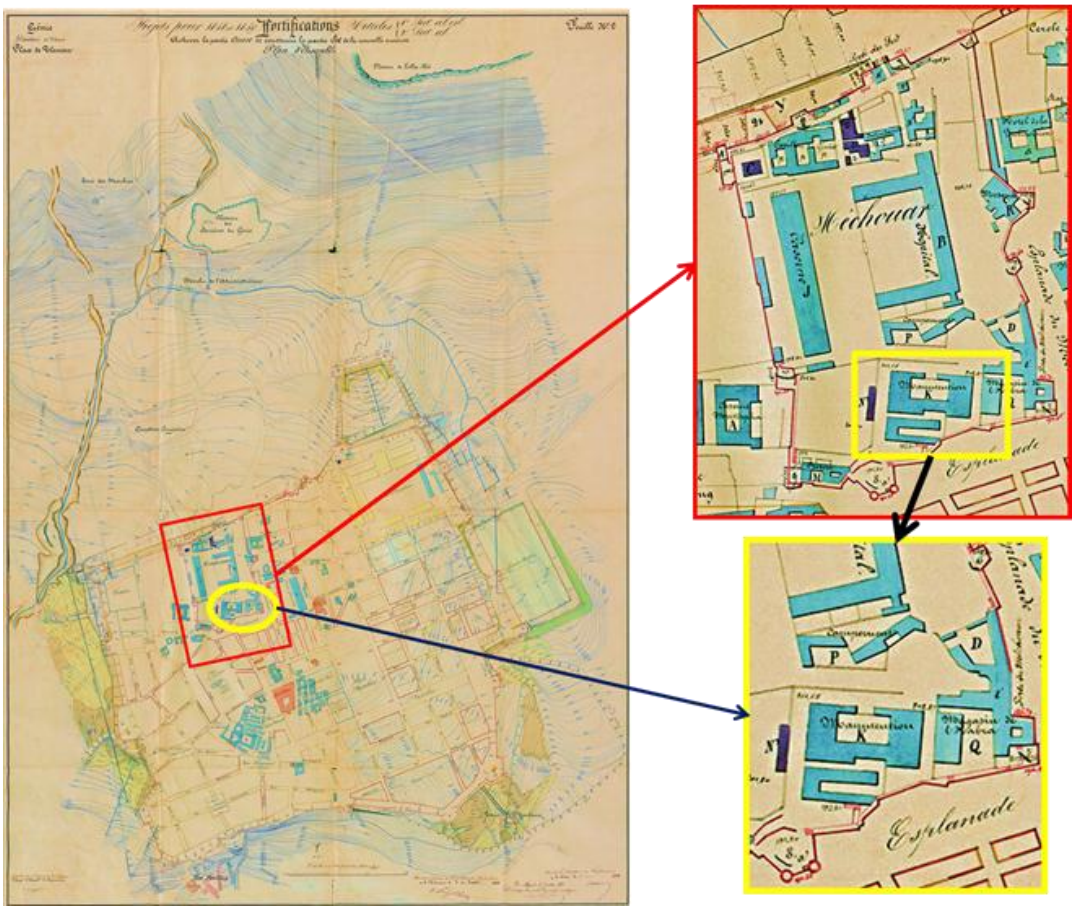

لوحة رقم :3 . صورة عن موقع قبل قيام بحفريات(الواجهة الجنوبية للقاعات الشمالية لقصر) .

- مجال حفريات المقام على موقع قصر المشور .

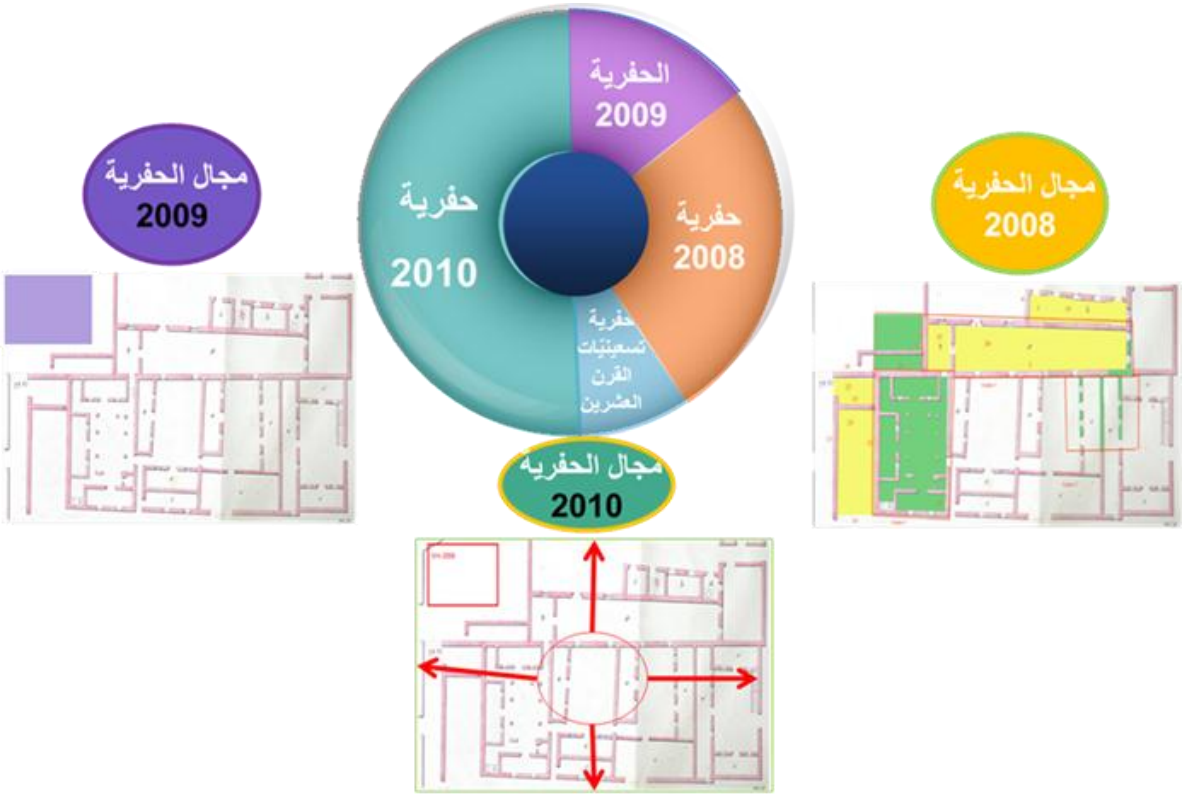

لوحة رقم :4. موقع قصر المشور داخل القلعة

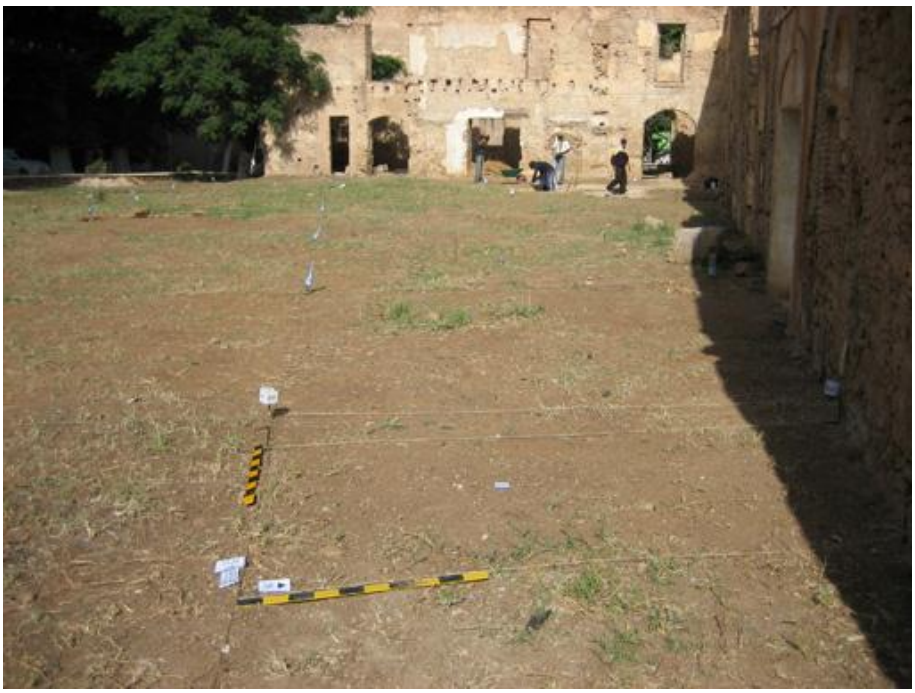

صورة يظهر منها مكان وجود الحوض المركزي للقصر قبل أن يكتشف و واجهة الجنوبية للقاعة الشمالية و واجهة الشرقية للقاعة الغربية التي تطل اليوم على الحوض المركزي للقصر .

لوحة رقم : 5: صورة عن طلبة جامعة تلمسان قسم الأثار يساعدون في انجاز الخريطة الشبكية لحفرية 2008م/ خريطة الشبكية ومخطط لهياكل المتبقية للقصر المشور منجزة خلالة بعثة حفرية 2008م.

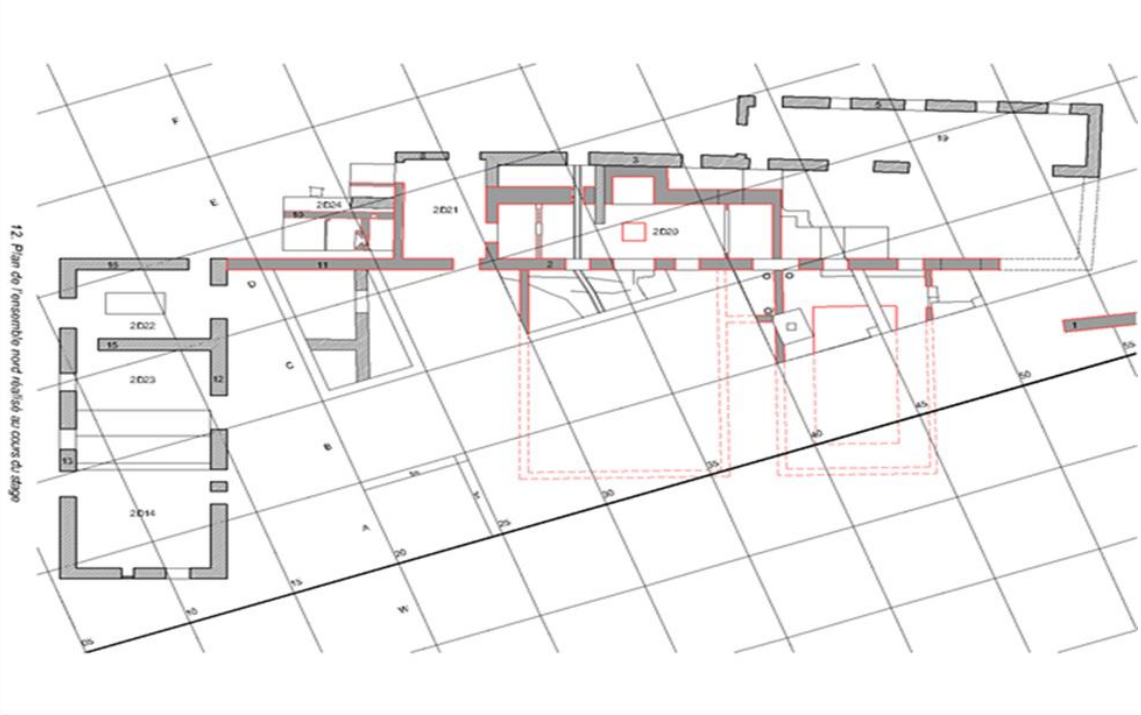

لوحة رقم : 6. الهياكل والأساسات و أرضيات من الزليج /حفرية 2008م (القاعة الشمالية / 2D20)

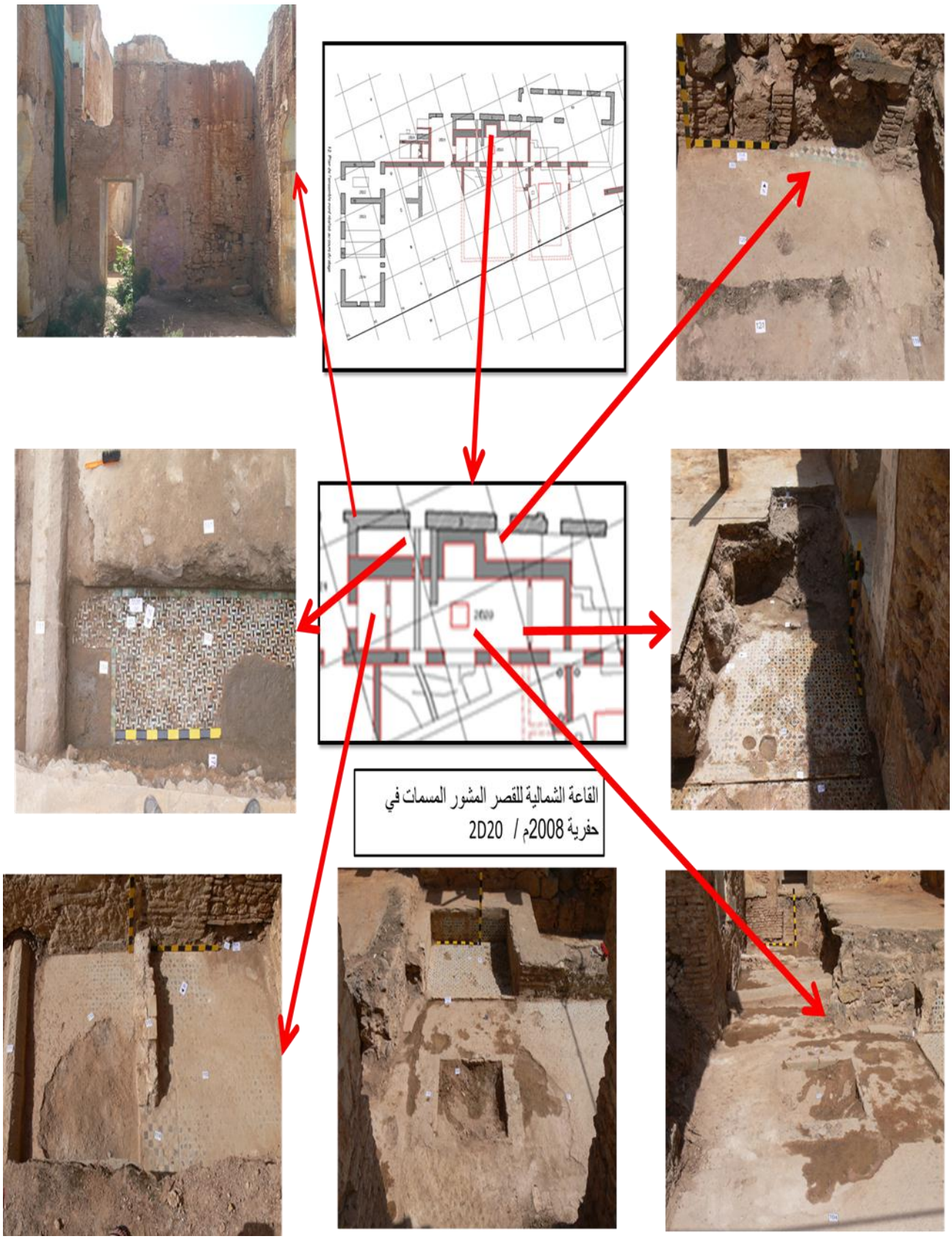

لوحة رقم : 7. مخطط مكتب الدراسات Arcade لحفرية 2010م يظهر منها العديد من الهياكل / مخطط حفرية 2008م نوضح مكان الحوض الذي اكتشف في حفرية 2010م .

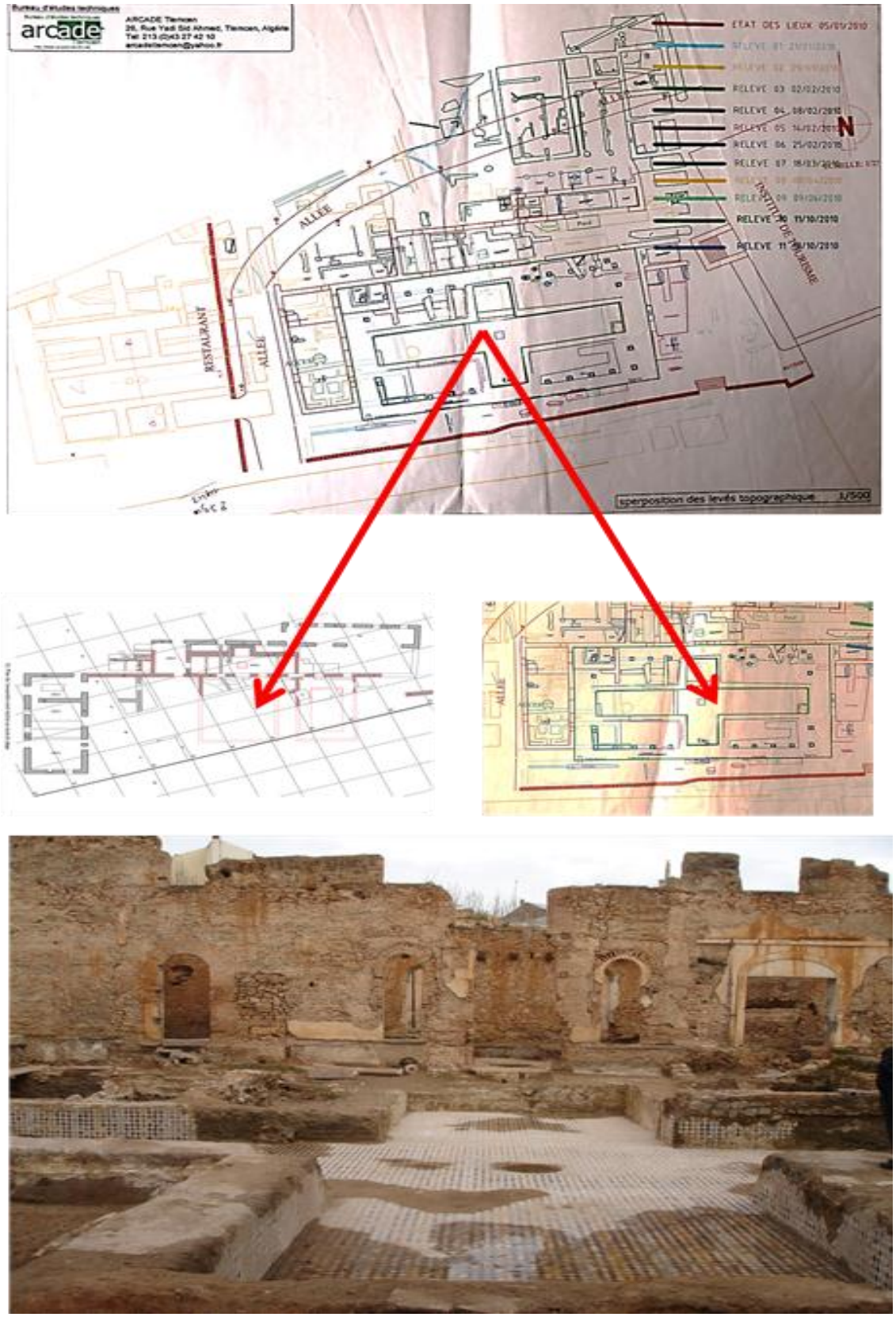

لوحة رقم : 8. مخطط عام لحفرية 2010م / مخطط من تقرير أولي حول الحفرية الانقادية لقلعة المشور تلمسان أوت 2010م ، ص : 5 - 6.

باللون الأخضر: المنطقة الأولى تضم الهياكل التي كانت موجودة والتي حفرت في2008م.

اللون الأصفر: المنطقة الثانية هياكل لقاعات في الجهة الشرقية والجنوبية ، وهو نفس المقطع للمنطقة الأولى الى أنه معكوس (أي الهيكل المكمل للقصر)

اللون الأسود : المنطقة الثالثة الحوض المركزي .

اللون الأحمر : منطقة الرابعة مجموعة من هياكل الأساسات و الأرضيات المختلف ومطامر ونافورات في الجهة الشمالية للموقع .

اللون البني: المنطقة الخامسة ، حوض ثاني يشبه الحوض مركزي في تبليطه (الزليج) وقياساته في الجهة الغربية من الموقع .

لوحة رقم :9.

زليج قصر المشور نوع الأول / صور تظهر انتشاره في القاعة الشمالية 2D20. رسم من التقرير الأولي لحفرية 2010م

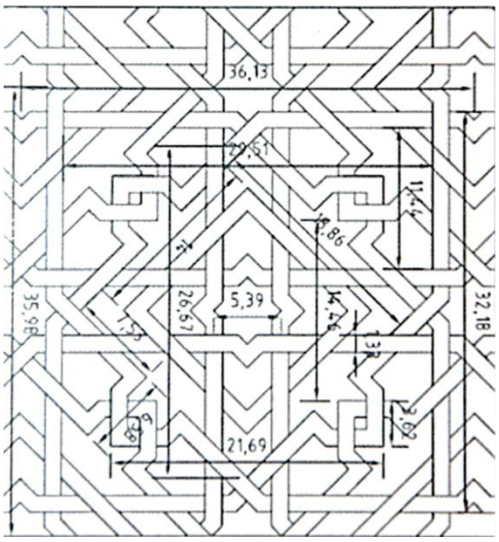

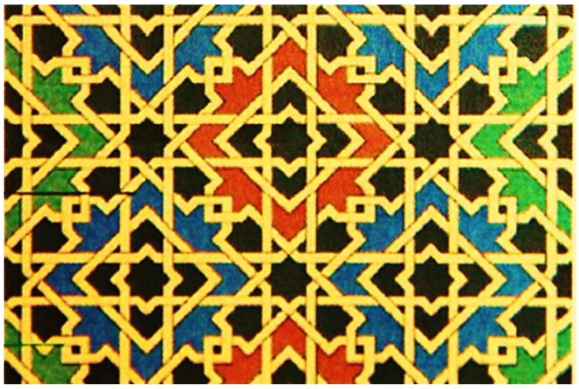

لوحة رقم : 10. نموذج لبطاقة تحليلية لزليج / استعملها الطالب في جرد مجموعة زليج قصر المشور

ملاحظة : الصورة الفتوغرافية ورسم القطعة ومخطط لإظهار مكان القطعة ،وضعت خلف البطاقة. **من انجاز الطالب**.

Tlemcen – mechouar : 2012/2013 FICHE D'ANALYSE DE ZELLij

Recherche: magistère archéologique Maghreb islamique.
Sujet :zellij zianides a Tlemcen 13/14 siècle . (étude archéologique de zellij découvert en 2008 /2009 au mechouar)
بحث : ماجستير علم الاثار المغرب الاسلامي .
الموضوع : زليج الزياني في القرنين 13/14م(دراسة فنية للزليج المكتشف في حفريات المشور 2008/2009م

Expédition :(on coche sur l'icone pour montrer la provenance du zellij .
mission 2008 collaboration avec l'université de Sorbonne et l université de Tlemcen.
mission 2009 collaboration avec l'université de Sorbonne et l université de Tlemcen.
compagne de fouilles, (ARCAD , Deryes 2010).
Bureau d études ARCAD 2011.

Date de l'Inventaire : تاريخ الجرد | Date de découverte : تاريخ الاكتشاف: | Secteur / région : المنطقة :

Lieu et numéro de l'Inventaire : رقم ومكان الجرد: | Numéro de couche : رقم الطبقة : | Numéro de carre : رقم المربع : | Numéro de la pièce :(n° objet) رقم القطعة:

Description de la pièce :
Siècle : قرن | Dynastie : دولة/ مملكة : | Région : مكان / منطقة:

Forme de zellij et type de décore شكل الزليج ونوع الزخرفة | Type : نوع

Floral	نباتي	Fin	رقيقة	Fragment unique	قطعة واحدة
Géométrique	هندسي	Moyen	متوسطة	Motif complet	كاملة الزخرفة
Epigraphique	كتابي	Gras	غليظة	Motif incomplet	ناقصة الملامح

Forme de la base : شكل القاعدة

	pointue مستدقة		Moyen متوسطة		Plat مسطحة

Type de coupe : نوع القطع / نوع الكسر

	Coupe net قطع منتظم		Coupe irrégulière قطع غير منتظم

Nom ou appellation de la pièce : اسم القطعة : | Appellation du décore : اسم الزخرفة

Emplacement d'origine :(on coche sur l'emplacement) موقع الأصلي

Pavage des sols أرضية	Mur جدار	Écoinçon des portes بنقية	frise افريز	Portique رواق	escalier درج	Seuil عتبة

Composition des matériaux et couleurs :

couleur de la glaçure: لون	Mortier :(épaisseur /la chaude) ملاط	la pate :(couleur /dureté) عجينة	Provenance argile مصدر العجينة:

Etat de la pièce : (bien – moyen – mauvaise) حالة القطعة: | Qualité de fabrication : (bien – moyen – mauvaise – remploi de zellij d'une autre période) نوعية الصنع :

Technique de fabrication : تقنية الصنع: | Atelier : ورشة:

Longueur :طول	Largeur :عرض	Largeur des joins : عرض الفواصل	Epaisseur :سمك
Description :وصف	Observations :ملاحظات		Comparaison : مقارنة

Rédige par : DENDANE MOHAMMED AMINE

لوحة رقم : 11.

افريز بالزخرفة نباتية في جهة الشرقية للقاعة الشمالية 2D20 للقصر المشور . رسم من التقرير الأولي لحفرية 2010م

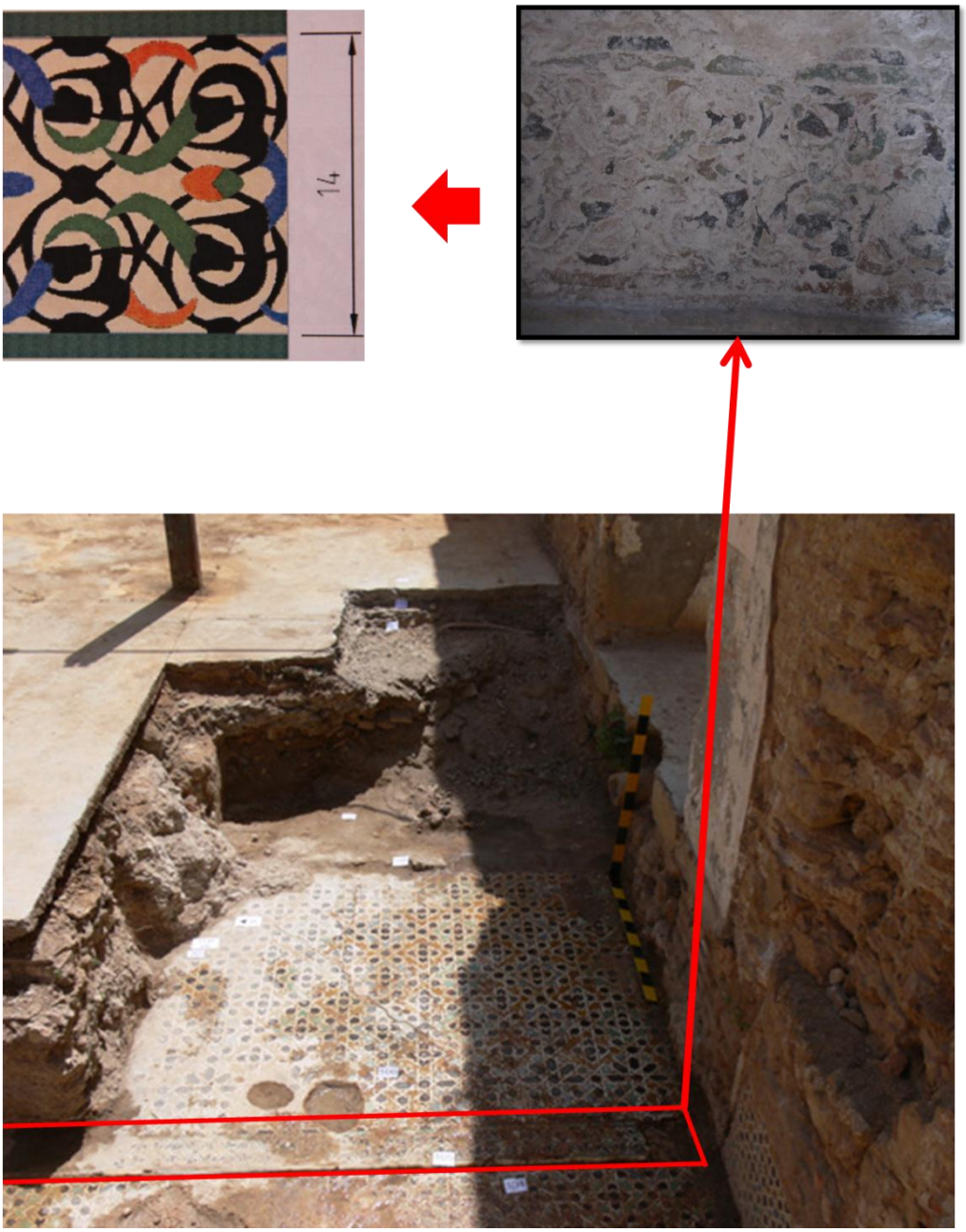

لوحة رقم :12. زليج نوع الثاني هندسي للقصر المشور/ يتواجد في الجهة الغربية للقاعة الشمالية . رسم من التقرير الأولي لحفرية 2010م

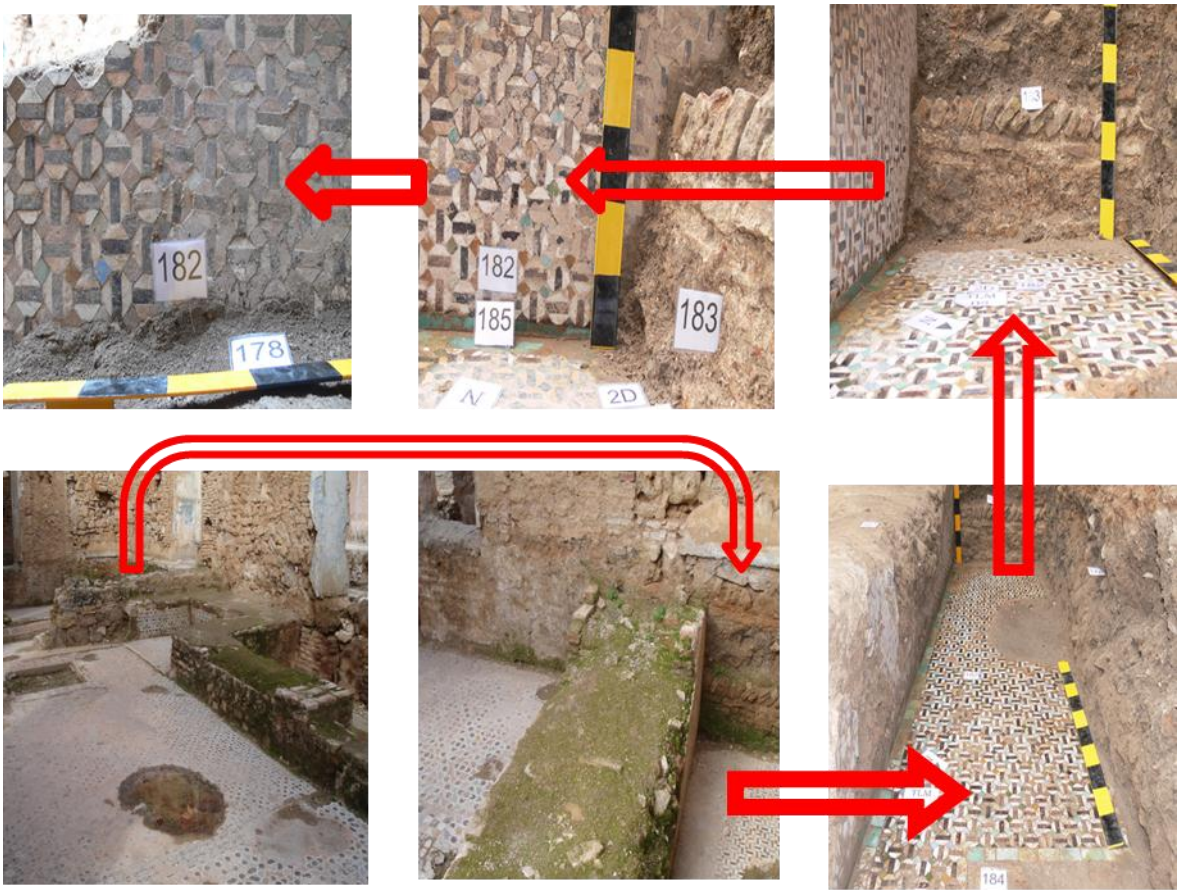

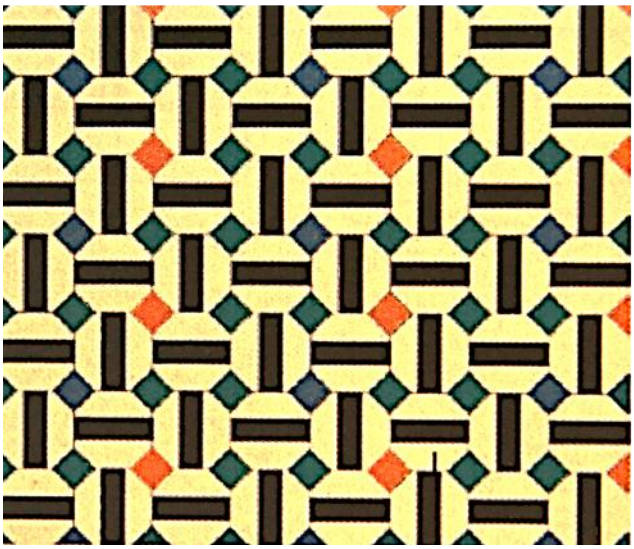

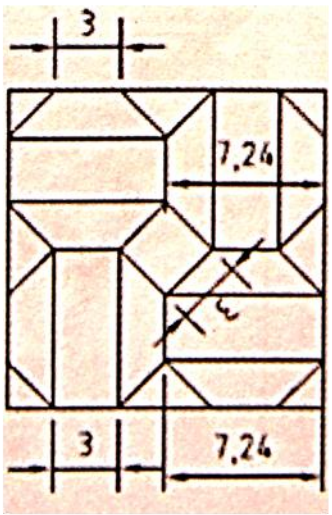

لوحة رقم :13. زليج نوع الثالث هندسي من قصر المشور / يتواجد في عدة مناطق منها القاعة الشمالية والقاعة الشرقية. رسم من التقرير الأولي لحفرية 2010م

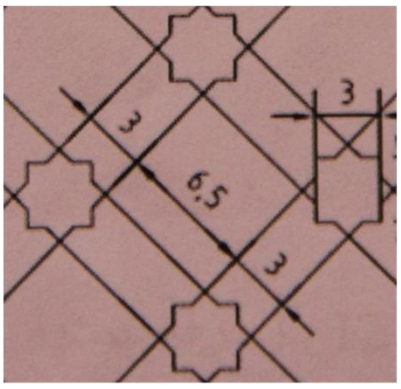

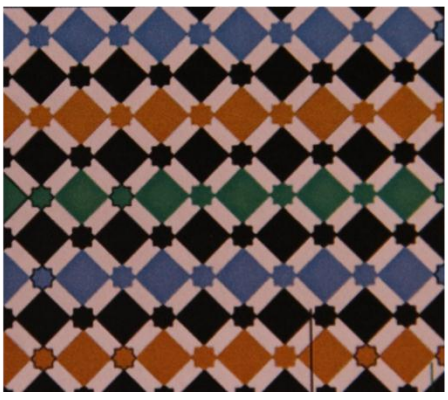

لوحة رقم : 14 . زليج نباتي من قصر المشور ، نوع السابع / حفرية 2010م , متواجد في الجهة الشرقية للقصر(القاعة الشرقية).رسم من التقرير الأولي لحفرية 2010م

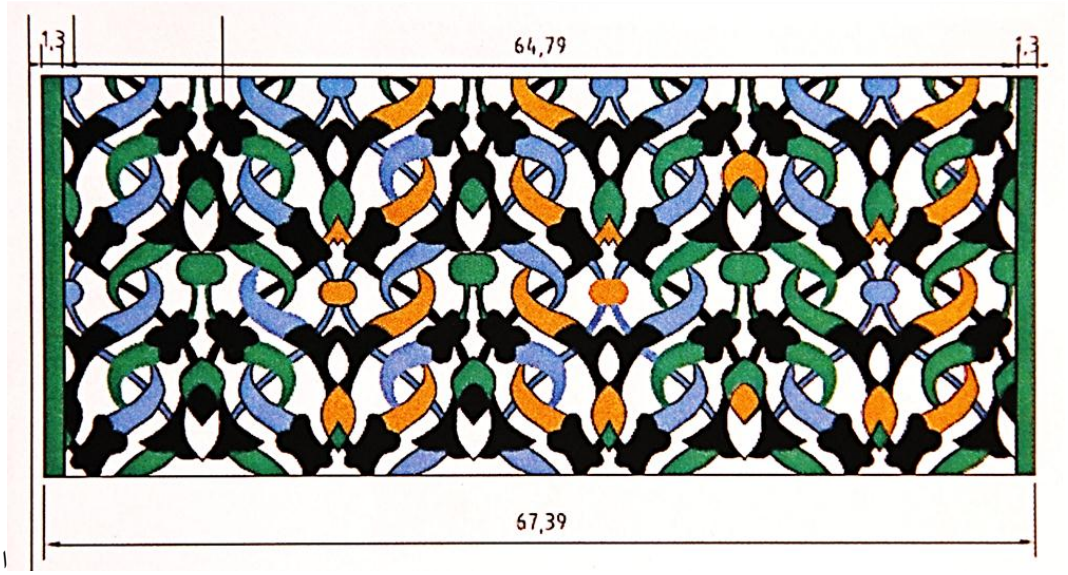

لوحة رقم 15.

الورشات المتداولة على صناعة الزليج . أنظر: 1. André paccard , le Maroc et l’artisanat Traditionnel islamique dans l’architecture, tome 3 ,éditions atelier 74,france ,1981.

لوحة رقم 16 . صور طبقات عينات الزليج صادرة عن شاشة المجهرة الأشعة البيضاء **(تقرير الداخلي بين مخبر فرنسا عياد بن عمارة ، ومخبر السيد رضوان بشير)**

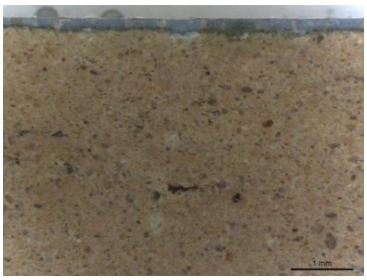

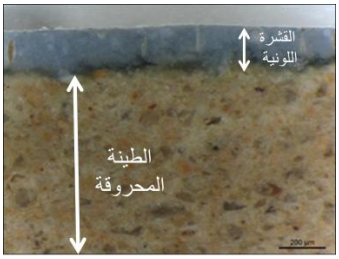

العينة رقم : 2. زليج الأزرق ـ من زليج قصر المشور النوع الثاني / منظر من شاشة المجهر الأشعة البيضاء

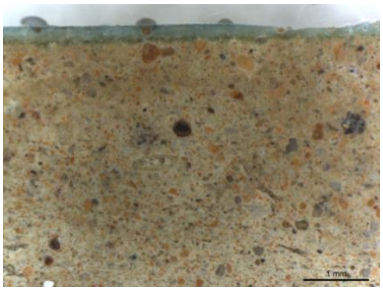

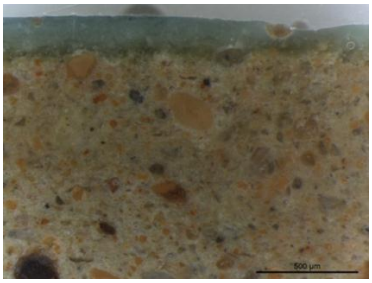

العينة رقم : 3. زليج الأخضر ـ من زليج قصر المشور النوع الثاني / منظر من شاشة المجهر الأشعة البيضاء

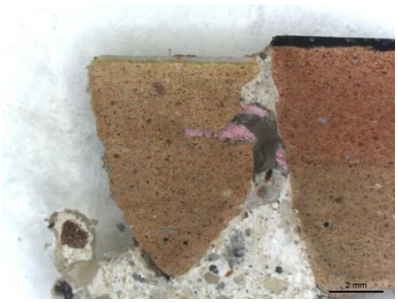

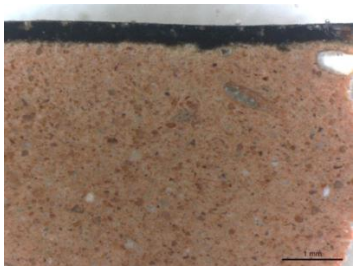

العينة رقم : 5. زليج الأسود وأبيض ـ من زليج قصر المشور النوع الثاني / منظر من شاشة المجهر الأشعة البيضاء

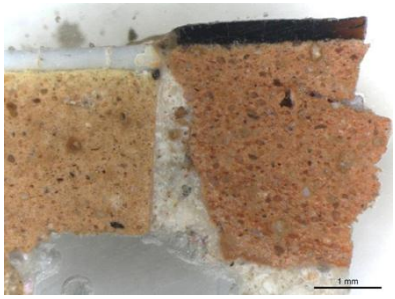

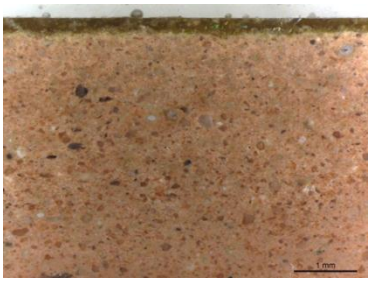

العينة رقم : 1. زليج أصفر عسلي وأسود وأبيض من زليج قصر المشور النوع الثاني / منظر من شاشة المجهر الأشعة البيضاء

لوحة رقم :17. صور صادرة عن شاشة مجهر المسح الالكتروني MEB لعينات من الزليج قصر المشور من **(تقرير الداخلي بين مخبر فرنسا عياد بن عمارة ، ومخبر السيد رضوان بشير).**

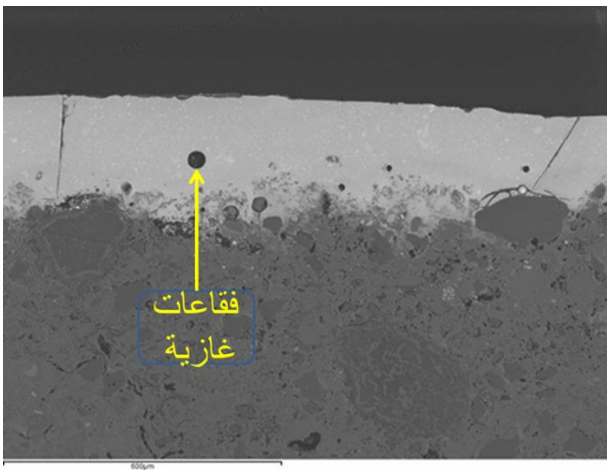

العينة رقم : 3.زليج أخضر اللون / يظهر تواجد فقاعات غازية

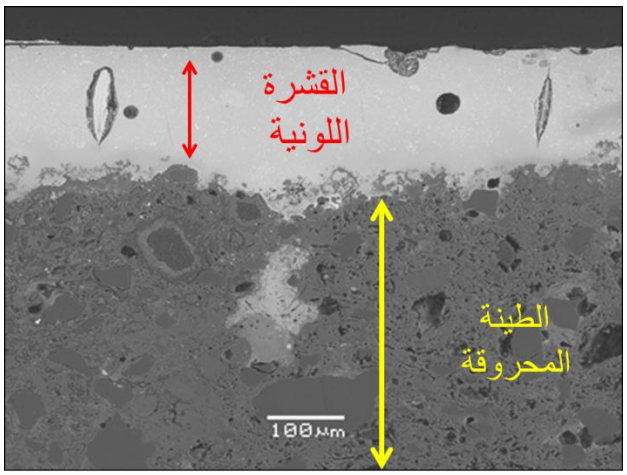

العينة رقم : 2.زليج أزرق يظهرفي المقطع القشرة اللونية باللون الفاتح والطينة المحروقة باللون الرمادي

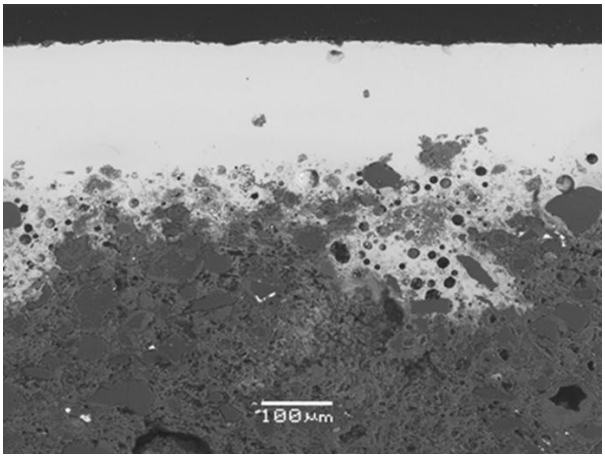

العينة رقم : 1. زليج أصفر العسلي .

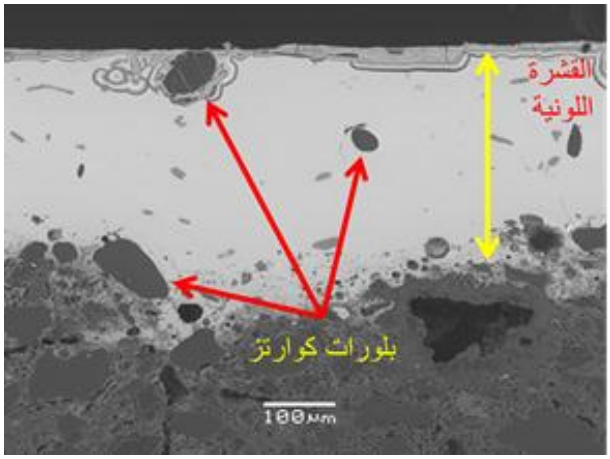

العينة رقم : 5. زليج الأسود/ تظهرفيه حبيبات الكواتز .

لوحة رقم : 18. موقع قلعة المشور بالنسبة لمسجد الكبير . الصورة /أنظر: www.yannarthu sbertrand2.org

رسم من انجاز **الطالب الباحث** بمساعدة تقنني هندسة معمارية السيد : رحمون محمد.في اطار أعمال معرض في تظاهرت تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية2011م .**حقوق الطبع ونشر محفوظة** . يظهر منظر كلي للمعالم الزيانية في تلمسان.

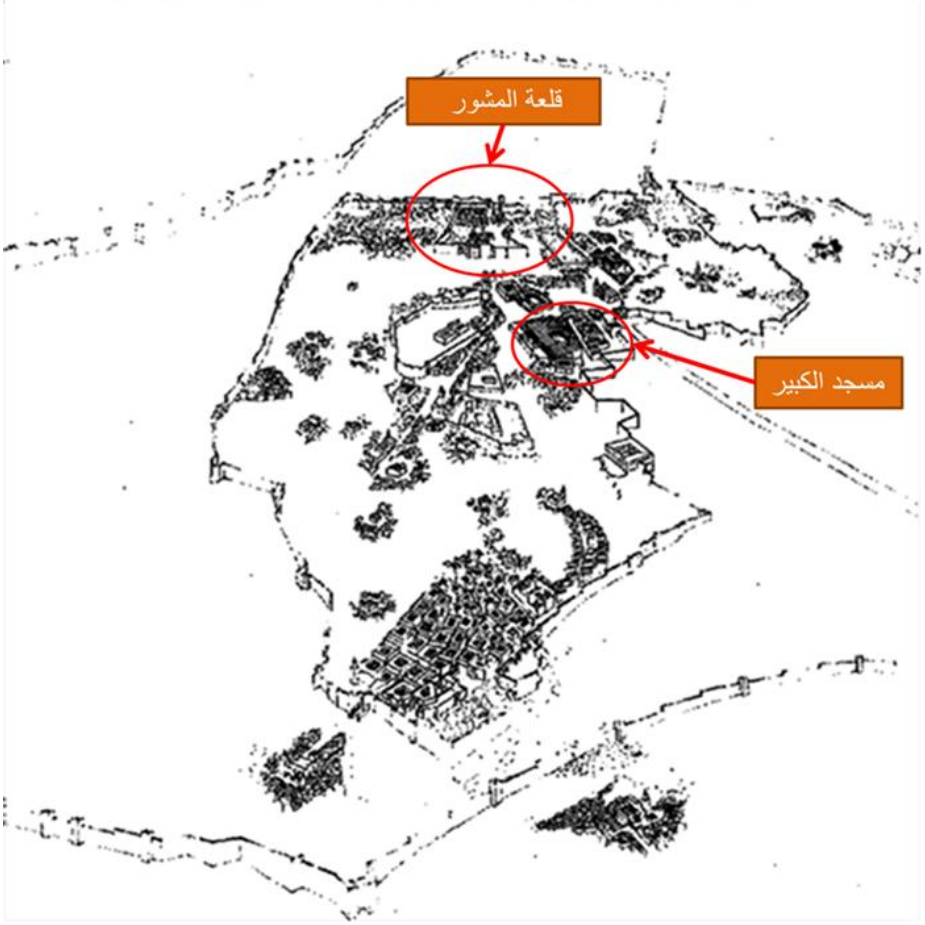

مراجع البحث

ومصادره

- القرآن الكريم، وبهامشه تفسير وبيان القرآن الكريم للشيخ حسنين مخلوف، ومذيّلا بأسباب النّزول للأمام النّيسابوري، الطّبعة الرّابعة، دار الفجر الإسلامي، دمشق، سوريا، 1997م، 1418هـ.

أ- مصادر البحث باللّغة العربيّة:

1. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972م.
2. أبي العباس أحمد القلقشندي، الصبح الأعشى ، مطبعة الاميرية بالقاهرة ، 1914م.
3. أبي زكرياء يحي ابن خلدون التونسي ، مقتطف من كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،عناية وتقديم محمد بن احمد باغلي ، المجلد 2، الأصالة لنشر و التوزيع ، الجزائر العاصمة ،2011م.
4. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من عصر الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ،دار الصادر ، بيروت ،سنة1988م.
5. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الاسلامي ، الطبعة الثانية، بيروت ،لبنان ، سنة 1983م
6. جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الافريقي المصري ،لسان العرب ،المجلد الخامس ،دار الكتب العلمية، لبنان ،2005م.
7. عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ، بيروت لبنان، 1993م.
8. عبد الرحمن ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون المسمى : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاشرهم من دوي الشأن الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ،دار الفكر ،بيروت ،لبنان ، 2000م .
9. عبد الرحمن بن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،الجزء 7،ص102.
10. علي الجزنائي ، جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ، أكادمية المغربية ، الطبعة الثانية ، سنة 1991م.
11. محمد بن القاسم الانصاري السبتي، اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأثار

، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية، الرباط ، 1983م.

12. محمود مقديش ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الاخبار ، تحقيق : علي الزواري ومحمد محفوظ ، المجلد الأول ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان ، ،سنة 1988م.

13. محي الدين أبي محمد عبد الواحد ابن علي التميمي المراكشي ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة بريل ، مدينة لبدن ، سنة 1881م.

14. مرمول كربخال، افريقيا ، ترجمة : محمد حجي وأخرون ، دار النشر المعرفة ، المغرب ، 1989م

15. مؤلف مجهول ، السفر الثاني من زهرة البستان في دولة بني زيان ، عناية وتقديم محمد بن أحمد باغلي ،الأصالة للنشر و التوزيع ،الجزائر العاصمة ، سنة2011م.

16. يحي ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق : عبد الحميد حاجيات ،المكتبة الوطنية ،الجزائر، ،سنة 1980.

ب- المراجع العربيّة:

1. أحمد فكري ،أثار الاسلامية في الأندلس ،مركز تحقيقات كاسويرت للعلوم الاسلامية ،مصر ،سنة مجهولة.
2. الحاج رمضان شاوش ، باقة السوسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، سنة 1995م.
3. السيد عد العزيز سالم ،أحمد المختار العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب و الأندلس ، دار النهضة العربية ، لبنان ، 1969م.
4. ج.س. كولان ،الأندلس ، ترجمة عبد الحميد يونس و أخرون ،كتب دائرة المعارف الاسلامية ،مصر. لبنان، سنة 1980م .
5. جورج مارسي ، مدن الفن الشهير ، ترجمة : سعيد دحماني، 1، (Editions du Tell) البليدة الجزائر ،سنة2004م.
6. حسن مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة، الكويت ، 1990م.
7. حنان عبد الفتاح مطاوع ، الفنون الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ، 2011م.

8. روجيه لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة : نقولا زياد ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، نيورك، سنة 1967م .
9. زكي محمد حسن ، في الفنون الاسلامية ، اتحاد أساتذة الرسم، مصر ، سنة مجهولة.
10. زهرة عساوي ،مربعات الخزف في الجزائر (الفترة العثمانية) ، البرزخ ، الجزائر العاصمة ،2003م.
11. سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة و الفنون في الدولة الاسلامية ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، سنة مجهولة .
12. شارل بروسلار، كتابات شواهد وقبور سلاطين و أمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان ، عربه وقدمه :الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، سنة 2011م.
13. صالح بن قربة ، تاريخ الجزائر في عصر الوسيط من خلال المصادر ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ، الجزائر ، 2007م.
14. صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ الى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم لنشر و التوزيع ، عنابة ، الجزائر، 2005م.
15. عبد الأحد السبتي ، حليمة فرحات ، المدينة في عصر الوسيط لقضايا و وثائق من تاريخ المغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، الناشر المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، 1994م
16. عبد الحميد حاجيات ، أبوا حمو موسى الزياني حياته و اثاره ، طبعة بن مرابط ، تلمسان ، الجزائر ، سنة 2011م.
17. عبد العزيز الفلالي ، دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الاسلامي ، دار الهدى ،عين الميلة ، الجزائر ،سنة 2012م.
18. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس (دراسة تاريخية ، عمرانية ،أثرية في العصر الاسلامي)، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ،سنة 1997م.
19. عبد العزيز محمود لعرج ،الزليج في العمارة الاسلامية بالجزائر في العصر التركي (دراسة أثرية فنية) ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1990م.
20. عمر سعيدان ، علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلث الأول و الثاني من القرن 14م ، ثالة ، الجزائر ، 2011م.

21. كلود عبيد ، التصوير وتجلياته في التراث الاسلامي (دراسة حضارية . جمالية . مقارنة)،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، سنة 2008م.

22. محمد الطيب عقاب ،من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل (مربعات الخزفية)،مجلة الدراسات الأثرية ،العدد2،جامعة الجزائر ، سنة 1992م.

23. محمد الصغير غانم ، مواقع وحضرات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، عين الميلة – الجزائر ، سنة 2003م.

24. محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، دار توبقال للنشر ،دار البيضاء ، المغرب ، سنة 1989م.

25. محمد بن عمرو الطّمار ، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984.

26. محمد حمزة اسماعيل الحداد ،مدخل الى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الاسلامية ،مكتبة الزهراء ، الطبعة الثالثة ،مصر ،2008م.

27. محمد رزوق ، دراسات في تاريخ المغرب ، أفريقيا الشرق ،الاسكندرية ، سنة 1991م.

28. محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب و الاندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، سنة مجهولة.

29. محمد عبد الله عنان ، الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا (دراسة تاريخية اثرية) ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997م.

30. محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الاسلامي و الاندلس في عصر المريني ، دار القلم لنشر و التوزيع ، صنعاء ، 1985م ، ص 321.

31. نجاة عروة ، من وحي الثراث المعماري و الحرفي في الجزائر ، دار النشر دحلب ، الجزائر ،2011م.

32. واشنطن ايرقينغ ، الحمراء (قصة أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الاندلس واسبانيا ،ترجمة هاني يحي نصري ،مركز الانماء الحضاري ، حلب ، 1996.

33. وليم و جورج مارسي ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة علي محمد بورويبة و اخرون ، الاصالة لنشر و التوزيع ،الجزائر العاصمة ، 2011م.

34. يحي بو عزيز،تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر،1985 م.

35. يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، الجزء الاول : الجزائر القديمة و الوسيطة ، ديوان

المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م .

ث- مراجع باللّغة الفرنسيّة:

1. André Paccard, « le Maroc et l'artisanat Traditionnel islamique dans l'architecture », tome 3, Editions Atelier 74, France ,1981.
2. Agnès Charpentier, et d'autres, « L'image de Tlemcen dans les archives françaises », Mauguin, Blida, Algérie, 2011.
3. Agnès Charpentier et d'autres, « La collection des pièces architecturale du musée de Tlemcen », recherche soutenue et financées par la Fondation MAX Van Berchem , Genève-Suisse, 2012.
4. Ahmed Khoumas, Chérazad Nafa, « l'Algérie et son patrimoine monumental », Editions du patrimoine, Paris, 2003.
5. Blanchard et d'autres, « Répertoire graphique du décor géométrique dans la mosaïque antique », Aiema, Paris, 1973
6. Dr Umberto Scerrato, « Traduction de Dominique Versini , Merveilles du monde Islamique », Fernand Nathan, Paris, 1977.
7. Dominique clévenot, Gérard Dégeorge, « Décors d'Islam », Editions Citadelles et Mazenod, Paris, 2000.
8. Emma Biggs, « Techniques de la mosaïque », Traduit par Dominique Saran, Editions Eyrolles, Paris, 2000.
9. Fawwaz al KHrayshel et d'autre, « Les Omeyyades, naissance de l'art islamique», cycle international d'expositions, Mussée sans Frontière, Jordanie.
10. Georges Marcais, « L'architecture musulmane », Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1954.
11. Henri Stirelin, « Architecture de l'Islam de l'Atlantique au Gange », Office du livre, Suisse, 1979.
12. Labbé Barges, « Souvenirs d'un voyage à Tlemcen », Benjamin Duprat, libraire de l'Institut et de la Bibliothèque Impériale, Paris, 1859.
13. Robert Brunschwig, « La Berbérie Orientale sous les Hafsides », Adrien Maisonneuve, 1947.
14. Rachid Bourouiba, « L'art musulman en Algérie », Société Nationale d'édition et la diffusion, Alger, 1983.

جـ- المجلات العلمية باللغة العربيّة وباللغة الفرنسيّة :

1. الطيب عقاب ،من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل (مربعات الخزفية)،مجلة الدراسات الأثرية ،العدد2،جامعة الجزائر ، سنة 1992م

2. عبد الحميد حاجيات ، تلمسان مركز اشعاع ثقافي في المغرب الاسلامي ، هذا البحث ألقي في الملتقى الدولي حول المراكز التقافية في المغرب الاسلامي ، وهران ، 18- 20 أفريل 1993م ، ونشر ضمن أعمال الملتقى ، ثم أعيد نشره في مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، عدد 10، ص: 181- 192.

3. عبد العزيز سالم ، العمارة الاندلسية في الأندلس وتطورها ، بحث من مجلة عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، عدد أبريل ـمايو ـ ينيوا ، الكويت ، سنة 1977م.

4. عبد العزيز سالم ، بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، العدد 1-2، مدريد ،اسبانيا ، سنة 1957م.

5. عبد العزيز لعرج ، تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية ، مجلة الوعي تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية ،دار الوعي ، العدد المزدوج (43) أفريل ـ ماي 2011م.

6. لخضر درياس، وأخرون ، تقرير أولي حول الحفرية الانقادية لقلعة المشور ـ تلمسان ، أوت 2010 م.

7. محمد مشنان ، المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية ، أستاذ بكلية العلوم الاسلامية ، الجزائر ، 2009/12/2م.

8. ناصر الدين سعيدوني ،الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان" أثناء القرنين السادس

عشر و السابع عشر، حوليات جامعة الجزائر ، العدد7،الجزائر ، سنة 1993م.

9. نعيمة الحضري ، الهوية والتكوينات المعمارية والعناصر الجمالية في العمارة الاسلامية المغربية ، مقالة من كلية الآداب والعلوم الانسانية ،شعبة التاريخ ، تخصص عمارة الاسلامية ، القنيطرة ، سنة مجهولة.

1. Agnès Charpentier et d'autres, « Découvrir Tlemcen », «stage archéologues de la cité» organisé en coopération avec Urmed Sorbonne-UVSQ à l'Université Abu Bakr Belkaïd en juin et juillet 2010.
2. Alessandro Zucchiatti et d'autres, « Etude PIXE de Zelliges et mortiers marocains du XXVe au XVIIIe Siècle », programme européen EU-ARTECH, Italie, les 19, 20 et 23 octobre 2006.
3. Alfred Bel, « Vestiges d'une villa royal musulmane » (du début du XIV siècle dans la banlieue de Tlemcen, extrait du cinquième congrès international d'archéologie, Alger 14 – 16 avril 1980.
4. Ayed Ben Amara, « Recherche d'indices sur les techniques de fabrication de zelliges du 14e siècle (chellah, Maroc) », Revue d'Archéométrie, France, 27-2003.
5. Fouad Ghomari et d'autres, « La médina de Tlemcen l'héritage de l'histoire », Ministère de la Culture, département des expositions, Tlemcen de la culture capitale islamique, 2011.
6. Gratuze B., Soullier I., Blet M., Vallauri L, « De l'origine du cobalt : du verre à la céramique », Revue de l'Archéométrie, 1996.
7. Institut du Monde Arabe et d'autres, « Sur les traces des Andalous », Ministère de la culture, Tlemcen, 2011.
8. philippe Colomban, « Secrets retrouvés du lustre abbasside », Revue Céramique et verre, n° 139 novembre- décembre, France, 2004.
9. S.Dahmani, A.Khelifa, « Les Fouilles d'Agadir », rapport préliminaire 1973-1974, Bulletin D'Archéologie Algérienne, Tome VI 1975-1976, société Nationale d'édition et diffusion, Alger, 1980.
10. Zine Eddine Seffadj et d'autres, « Architecture et histoire des sites et monuments de Tlemcen », Ministère de la culture, département des expositions, Tlemcen capitale de la culture islamique, 2011.

حـ- قواميس باللغة العربيّة:

1. حلمي عزيز، قاموس المصطلحات الأثرية و الفنية (إنجليزي، فرنسي ، عربي)، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ، مكتبة لبنان ،سنة 1993م.
2. سامي محمد نوار ، الكامل في المصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية ،الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ،2002م.
3. عفيف البهنسي ، الجمالية الفنية في المفردات العمارة الاسلامية ، عالم الفكر ، سنة 2006م.
4. غالب عبد الرحيم ، موسوعة العمارة الاسلامية ، جروس برس ، بيروت، 1988م.
5. ـ ابراهيم أنيس ، معجم الوسيط ،دار الدعوة للنشر والتوزيع ، اسطنبول ، تركيا ، سنة1985م.

خـ- رسائل جامعيّة:

1. الأخضر عبدلي ، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان ،أطروحة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الاسلامي ، تحث اشراف : الدكتور عبد الحميد حاجيات ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ،قسم التاريخ، سنة الجامعية 2004م2005م.
2. بسام كامل عبد الرزاق شقدان ، تلمسان في عهد الزياني ،رسالة ماجيستر في التاريخ ، اشراف هاشم أبو رميلة ، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين ، 2002م.
3. بودواية مبخوت ، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان ، رسالة دكتوراه ، اشراف : عبد الحميد حاجيات ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، كلية الاداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، سنة 2005-2006م.
4. دليلة مطماطي بن زرقة ، الزليج على العمائر الدينية والمدنية من القرن 13م الى 16م ،مذكرة الماجستير في الاثار الاسلامية ،اشراف الدكتورة : خديجة نشار ،جامعة الجزائر 2،سنة الجامعية 2011م/2012م.
5. سيدي محمد نقادي ، الخِطّة العمرانية بتلمسان ودلالتها الاجتماعية، 2012 .
6. لبنى محمد أحمد الشوره ، التحكم في معالجة الطلاءات الزجاجية للحصول على ملامس لمنتجات الخزف الفني ، بحث مقدم للحصول على درجة ماجستير ، اشراف : عمر محمد عبد العزيز ، جامعة

حلوان .كلية الفنون التطبيقية قسم الخزف ، سنة الجامعية 2002م .

7. ليلى أحمد النجار، العلاقات بين المغرب و الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، تحث اشراف الدكتور أحمد السيد صراج ،جامعة أم القرى ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية ،مكة المكرمة ، سنة الجامعية 1982م1983م.
8. يحى أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية واثارها في المغرب والأندلس ، دراسة تاريخية مقارنة ،رسالة دكتورا ،اشراف : طاهر راغب حسين ، جامعة القاهرة ، قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، سنة2000م.

د- مواقع الإنترنت :

1- www.ambafrance- ma.org/efmaroc/

2- www .Merzak.bolg.fr.

3- www.yannarthu sbertrand2.org

الفهارس

فهرس

الأشكال

1- رسومات للزليج المدرسة التاشفينية.....ص132
2- زليج مدرسة تاشفنية / أطباق نجمية ذات 12 ضلع و 8 أضلاع من رسم Duthoit..... ص132
3- رسم لتبليط من زليج للمدرسة التاشفينية .تظهر أطباق نجمية ذات عشرة أضلاع.....ص133
4- مقطع لواجهة مدخل المدرسة التاشفينية.....ص133
5- رسم لتبليط من زليج للمدرسة التاشفينية .تظهر أطباق نجمية ذات ثمانية أضلاع1..... ص134
6- رسم لتبليط من زليج للمدرسة التاشفينية .تظهر أطباق نجمية ذات ثمانية أضلاع 2.....ص134
7- زليج نباتي المدرسة التاشفينية.....ص149

فهرس الصّور

فـــهـرس الصّـــور

1- فسيفساء الأسد القصر الأموي.....ص136

2- فسيفساء قبة الصخرة.....ص136

3- فسيفساء قبة الصخرة .منظر مقرب.....ص136

4- فسيفساء مسجد الأموي.....ص137

5- فسيفساء مدخل من مداخل المسجد الأموي.....ص137

6- لوحات من الخزف المغطى بطبقة من المينا التركوازية والكوبلتية المندمجة في تزيينات المعمارية.....ص138

7- مدخل للضريح سعد الملك اقا1371م-1383م..... ص138

8- فسيفساء خزفية نباتية هندسية كتابية..... ص139

9- بلاطة خزفية زخرفة نباتية وحيوانية.....ص139

10- بلاطات خزفية من امان زد جفر من دمغان في ايران.....ص140

11- بلاطات خزفية من البريق المعدني تظم أشكال نجمية.....ص140

12- قطع من تبليط خزفي حمادية.....ص140

13- زخرفة نباتية لمسجد (shah) في اصفهان.....ص141

14- أرضية من زليج المدرسة التاشفينية.....ص142

15- أرضية من زليج المدرسة التاشفينية.....ص142

16- أرضية من زليج المدرسة التاشفينية.....ص142

17- لوحة مجمعة لزليج نباتي وهندسي للمدرسة التاشفينية.....ص143

18- زليج هندسي للمدرسة التاشفينية تلمسان.....ص143

19- تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة، رقم جرد : 201 .....ص144

20- تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة. رقم الجرد الحالي :91/199.....ص144

21- تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة . رقم جرد مارسي لسنة 1906م :200.....ص144

22- تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة رقم جرد مارسي :196. تشبه اللوحة 91/199.....ص145

23- تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة رقم جرد الحالي sn0506 .....ص145

24- تبليط من زليج المشور/ متحف المدرسة رقم جرد الحالي :sn 0306.....ص145

25- كسوة جدارية من الزليج ،ضريح سيدي ابراهيم المصمودي (مقبرة ملوك بني زيان).....ص146

26- لوحتين من زليج مجهولة الموقع/ متحف المدرسة ص146
27- أرضية بزليج مزخرفة بشبكة معينات في قصر المشور في عتبت باب القاعة الشرقية ص146
28- نافورة غير واضحة الملامح مغلوقه بقطع من أجر.....ص147
29- قطع من أفاريز مجهولة الموقع من مجموعة متحف المدرسة ص147
30- شريط لضفيرة من زليج.....ص147
31- تبليط من الزليج / من مجموعة متحف المدرسة تلمسان.....ص148
32- زليج من مختلف المواقع على شكل شرفات / مجموعة متحف المدرسة ص148
33- صورة عن مدخل مدرسة شالة بالمغرب الأقصى. التي تعود للفترة المرينية.....ص149
34- زليج نباتي لمسجد أبي الحسن التنسي/ من مجموعة متحف المدرسة.....ص149
35- كسوة جدارية من زليج هندسي . من اكتشاف الطالب الباحث.....ص149
36- التاج الزياني الذي اكتشفه الطالب في موقع المنية سنة 2013م.....ص150
37- زليج نباتي زياني ، موقع منية الصافصيف / من مجموعة متحف المدرسة.....ص150
38- قطعة زليج نباتي زياني (مروحة نخيلية مزدوجة) / من مجموعة متحف المدرسة.....ص151
39- زليج نباتي زياني ، موقع منية الصافصيف / من مجموعة متحف المدرسة.....ص151
40- زليج كتابي (المقشر/ excisés) / من مجموعة متحف المدرسة.....ص151
41- فترة اهمال البناية (قصر المشور).....ص152
42- الزخرفة الجصية المكتشفة سنة 1989م.....ص152
43- الزليج المكتشف خلال التسعينيات قرن 20م.....ص153
44- قطع جصية مكتشفة في القاعة الشمالية D202 في قصر المشور أثناء حفريات 2008م.....ص153
45- تبليط من الأجر تحث تبليط من حجر تافزة .موقع قصر المشور .الجهة الجنوبية ص153
46- عملية الحفر في المنطقة الغربية للقصر / حفرية 2009م.....ص154
47- أسبار في المنطقة الغربية للقصر / حفرية 2009م.....ص154
48- مربعات الحرفية 2009م ، وتبليط من زليج مكتشف في تسعينات قرن 20من طرف عمال.....ص154
49- عملية حفر حوض المركزي للقصر المشور / حفرية 2010م.....ص155
50- الجهة الغربية من القصر ظهور ملامح حوض ثاني بنفس الزليج ونفس القياسات / حفرية 2010م.....ص155

51- الجهة الشمالية للقصر المشور ظهور هياكل وأرضيات عديدة.....ص155
52- زليج نوع أربعة.....ص156
53- زليج النوع الخامس.....ص156
54- زليج نباتي نوع العاشر.....ص156
55- عينات زليج نوع الأول والثاني.....ص157

فهرس اللّوحات

فهرس اللوحات

1- مخطط لثكنة المصطفى و صورة لموقع الثكنة بعد عملية الهدم سنة 2013م.....ص160
2- موقع قلعة المشور وقصر المشور.....ص161
3- مجال حفريات المقام على موقع قصر المشور.....ص162
4- موقع قصر المشور داخل القلعة.....ص163
5- طلبة جامعة تلمسان قسم الأثار يساعدون في انجاز الخريطة الشبكية لحفرية 2008م.....ص164
6- الهياكل والأساسات و أرضيات من الزليج /حفرية 2008م (القاعة الشمالية / D202)....ص165
7- مخطط مكتب الدراسات Arcade لحفرية 2010م يظهر منها العديد من الهياكل.....ص166
8- مخطط عام لحفرية 2010م / مخطط من تقرير أولي حول الحفرية الانقادية.....ص167
9- زليج قصر المشور نوع الأول / صور تظهر انتشاره في القاعة الشمالية D202.....ص168
10- نموذج لبطاقة تحليلية لزليج.....ص169
11- افريز بالزخرفة نباتية في جهة الشرقية للقاعة الشماليةD202 للقصر المشور.....ص170
12- زليج نوع الثاني هندسي للقصر المشور/ يتواجد في الجهة الغربية للقاعة الشمالية.....ص171
13- زليج نوع الثالث هندسي من قصر المشور.....ص172
14- زليج نباتي من قصر المشور ، نوع السابع / حفرية 2010م.....ص173
15- الورشات المتداولة على صناعة الزليج.....ص174
16- صور طبقات عينات الزليج صادرة عن شاشة المجهرة الأشعة البيضاء 175
17- صور صادرة عن شاشة مجهر المسح الالكتروني MEB لعينات من الزليج قصر ص176
18- موقع قلعة المشور بالنسبة لمسجد الكبير.....ص177

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدّمة:.....ص أ

الفصل التّمهيدي:مفاهيم عامّة.....ص1

1- مفهوم الفسيفساء الاسلاميّة.....ص3

أ- لغة ص3

ب- اصطلاحا.....ص3

ج - لمحة تاريخية عن الفسيفساء.....ص3

د- الفسيفساء الاسلامية.....ص4

2 - مفهوم البلاطات الخزفية. ص7

أ- لغة.....ص7

ب- اصطلاحا. ص7

3 . الخزف.....ص7

أ. لغة.....ص7

ب- اصطلاحا.....ص8

لمحة تاريخية عن البلاطات الخزفية(المربعات الخزفية) ص8

4 . مفهوم القاشاني. ص13

أ . لغة.....ص13

ب- اصطلاحا. ص13

ج- لمحة تاريخية عن الخزف القاشاني. ص13

5 . مفهوم الزليج.....ص16

أ . لغة ص16

ب- اصطلاحا.....ص17

ج . لمحة تاريخية عن الزليج.....ص27

الفصل الأول : تلمسان عاصمة الدّولة الزّيانيّة ص29

1 . الإطار الجغرافي لمدينة تلمسان.....ص30

2. الإطار التاريخي لمدينة تلمسان.....ص32

ا - أصل التسمية.....ص32

ب- المراحل التاريخية الكبرى لمدينة تلمسان.....ص35

1 . فترة ما قبل التاريخ في تلمسان. ص35

2 . فترة تلمسان القديمة.....ص37

3 . فترة الفتوحات الإسلامية.....ص39

ج . لمحة تاريخية عن دولة بني عبد الواد (1236م/1554م).....ص43

1 . أصل بني عبد الواد.....ص43

2 . مقدمات نشأة دولة بني عبد الواد.....ص43

3 . أبرز المراحل والمحطات التاريخية لدولة بني عبد الواد.....ص44

د . مظاهر الحياة المختلفة لدولة بني زيان.....ص52

1. المظهر الاجتماعي.....ص52

. أهم العناصر السكانية الأجناسيّة المكونة للمجتمع الزّياني.....ص52

أ . البربر.....ص52

ب . العرب .(العرب الأوائل، عرب بنو هلال، عرب المتحضرين المهاجرين من أهل الأندلس).....ص54

ج . اليهود والنّصارى.....ص56

2 . المظهر الاقتصادي.....ص58

أ . الصناعة.....ص59

ب . التجارة.....ص60

3 . المظهر الديني و الاشعاع الثقافي.....ص60

الفصل الثاني : تقنيات الزليج كفن حرفي مغربي أندلسي.....ص62

1 . لمحة تاريخية عن ظهور الزليج في الأندلس والمغرب وتلمسان.....ص63

2 . حرفة الزليج و تقنيات صناعته والورشات المتداولة على تجسيده.....ص67

أ. حرفة الزليج.....ص67

ب . تقنيات صناعة الزليج والورشات المتداولة على تجسيده.....ص68

- ورشة تحضير العجينة.....ص70
- قولبة المربعات.....ص70
- حرق المربعات.....ص70
- عملية تقطيع المربعات وتشكيل عناصر الزليج المختلفة.....ص71
- عملية الرشم المربعات الزليج.....ص71
- عملية تقطيع المربعات (تعرف بالمغرب الاقصى بعملية التكسير ص72
- نقل قطع الزليج.....ص73
- جمع وتشكيل لوحات الزخرفية من الزليج.....ص73
- جمع القطع.....ص73
- تلحيم القطع.....ص73

ج . أنواع الزليج.....ص75

. الزليج المنجز على الأعمدة.....ص76

فهرس الموضوعات

. الزليج المحفور (Zelliges excisés) ص76

. الزليج التوريق أو الكتابة المؤلفة.....ص77

3 . الأشكال و العناصر الفنية للزليج الهندسي والنباتي والألوان المستعملة فيه.....ص78

أ. شرح الأشكال الفنية للزليج الهندسي والنباتي.....ص78

*الألواح الزخرفية للزليج (أصل التشكيلات الزخرفية ودلالتها) ص79

* قطع الزليج(الفرم). ص81

ب . الألوان المستعملة في الزليج.....ص82

*الطلاءات المختلفة و الطلاءات الرصاصية.....ص84

. طلاءات الرماد.....ص84

. الطلاءات الطينية.....ص84

. الطلاءات الفلدسبارية.....ص84

. الطلاءات البخارية.....ص84

*الطلاءات الرصاصية ص85

. الأكاسيد.....ص85

4 . المعالم التلمسانية التي تزخر بالفن الزليج. ص87

الفصل الثالث : الزليج في العمارة الزيانية وقصر المشور ص89

1 . العمارة الزيانية والزليج ص90

2 . موضوعات الألواح الزخرفية للزليج الزياني.....ص93

أ . الموضوعات الزخرفة الهندسية. ص93

1 . الاطباق النجمية.....ص94

2 . شبكة المعينات ص97

3 . الأفاريز.....ص98

4 . الضفائر.....ص98

5 . أشكال النجمية ص99

6 . المربعات.....ص99

7 . المستطيلات.....ص100

8 . المضلعات.....ص100

9 . الشرفات و الاقواس ص100

ب . الموضوعات الزخرفية النباتية.....ص101

ج . الموضوعات الزخرفية الكتابية.....ص102

3 . قلعة المشور وقصر المكتشف.....ص103

أ . موقع قلعة المشور. ص103

ب . لمحة تاريخية عن قلعة المشور.....ص103

ج . قصر المشور. ص104

. بعض المراحل تاريخية عن قصر المشور في العصر الحديث ص105

- الفترة الفرنسية. ص105

- ما بعد الاستقلال –القرن العشرين ص105
- القرن الواحد والعشرين: ص105

د . حفريات المتداولة على موقع القصر.....ص106

- المرحلة الأولية للبحوث والاكتشاف.....ص106
- المرحلة الثانية(أسبار واكتشافات) ص106
- الحفرية المشتركة 2008.....ص106
- حفرية 2009.....ص109
- حفرية 2010م.....ص109

4 . زليج موقع قصر المشور ص111

5 زليج قصر المشور نتائج أولية للتّحاليل.....**ص115**

أ . أهداف التحاليل الأولية.....ص116

ب . تقديم عينات المدروسة في المخبر ص117

ج . اعداد العينات والمراحل المتبعة للتحاليل.....ص117

د . نتائج التجارب وقراءات.....ص119

الخاتمة. **ص125**

الملاحق:.....**ص130**

- **الأشكال**:.....**ص131**
- **الصّور**:.....**ص136**
- **اللّوحات**:.....**ص159**

مراجع البحث:..... **ص178**

الفهارس:.....**ص188**

فهرس الأشكال:.....**ص189**

فهرس الموضوعات

فهرس الصّور:.....ص191

فهرس اللّوحات:.....ص195

فهرس الموضوعات:.....ص197

الملخّص: يعتبر الزليج من بين الفنون التطبيقية والحرف التّزينية، الأكثر انتشارا في المغرب الاسلامي، والأندلس في العمائر المختلفة، لذا جاءت هذه الدراسة الأثرية للتّعريف بهذا الموروث الثقافي المادّي، الخالد، والشّاهد، على الفترة الحيويّة للدّولة الزّيانية (خلال القرنين 13م 14م)، في مجال بناء المنشآت بتلمسان. ويعتبر قصر المشور النّموذج الوحيد، والمعروف عن هذه الفترة، والذي يمكن من خلاله فهم نمط البناء عند ملوك هذه الدّولة، وقد تعاقبت عليه أعمال أثرية متنوعة كالأسبار، الحفريات المنظّمة والمشتركة والإنقاذية، التي أبانت عن الكثير من الأرضيات، والكسوات الزّليجيّة، وتمّ اكتشاف عدّة مجموعات من اللقى الأثرية، من بينها الزّليج "حفرية 2008م و2009م"، واهتمّت هذه الدّراسة بالتّوغل في تقنياته الفنّية في صناعته وتشكيله، والتّعرف على المواد المستعملة فيه، ثمّ الخروج بتصنيفاتها المميّزة لها، من خلال عيّنات مختارة من الموقع بعد عرضها على مجموعة من الأساليب المخبريّة.

.كلمات مفتاحية : الزّليج، الدولة الزيانية، تلمسان، المغرب الأوسط، قصر المشور، التّقنيات الفنّية، الزّخرفة،الحفريات الأثرية.

Résumé : Le zellige est considère comme un art décorative très répondu dans le Maghreb islamique, et l'Andalousie dans ces différentes constructions, c'est pour cela que nous avons aborde cette étude archéologique afin de faire découvrir ce patrimoine culturel, et qui reflète une époque de dynastie ziannides durant le(13et14eme siècle) dans le domaine décoration et des constructions a Tlemcen. Le palais du Méchouar est considéré comme un exemple unique datant de cette époque et témoignant de l'architecteur des souverains de cette dynastie. Ce monument a subit plusieurs travaux archéologiques, sondages, et fouille préventives qui ont aide a découvrir plusieurs vestiges archéologiques parmi eux ; el zellige de fouilles de 2008 – 2009 qui nous ont permis d étudier profondément les technique artistique de ca fabrication et détecter les matières impliquées dans sa production, après plusieurs analyse a travers quelques échantillons, Choisis de la collections de zellige du Méchouar.

Mots clés : zellige – Dynastie ziannides –Tlemcen – Maghreb centrale –palais du Méchouar – Techniques artistiques – Décoration – Fouilles archeologiques.

Summary: Zellige is considered a very decorative art in the Islamic Maghreb, and Andalousie. in these constructions is why we address this archaeological study in order to discover the cultural heritage and reflects a time of dynasty during ziannides (13,14eme century), in the field of design and construction has Tlemcen.

The "ksar Méchouar" is considered a unique example from this period and reflecting the architecture rulers of this dynasty. This monument has undergone several preventive archaeological work , surveys and excavations that have helped to discover among them several archaeological remains; el décor of excavations of 2008 - 2009 which allowed us to study deeply the artistic technique ca manufacturing and detecting materials involved in its production, after several analysis through some samples , choose the collections zellige Méchouar .

Keywords : zellige - Dynasty ziannides - Tlemcen - Maghreb Islamic - "ksar Méchouar" - Artistic Techniques - Decoration - archaeological excavations.